

الاستشراق الألماني والشعر العربي

بين القدامى والمحدثين

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي

تخصّص: دراسات أدبية مقارنة

إشراف الأستاذ الدكتور:

حمودي محمّد

إعداد الطالب:

طاهير محمد أمين

أعضاء اللّجنة المناقشة

رئيساً	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم	د/ المكروم سعيد
مشرفاً ومقرراً	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم	أ.د/ حمودي محمد
عضواً مناقشاً	جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم	د/ حظّاب طانية
عضواً مناقشاً	جامعة أحمد زبانية - غليزان	د/ عبد الله بوقصة
عضواً مناقشاً	جامعة حسبية بن بوعلي - شلف	د/ جغدم الحاج
عضواً مناقشاً	جامعة جيلالي بونعامة - خميس مليانة	د/ بن علوة خيرة

كلمة شكر

اللهم لك الشكر وأحمد حتى ترضى، ولك أ حمد والشكر إذا رضيت،
ولك أ حمد والشكر بعد الرضا، أنت خلقتني وصورتني كما تشاء بإتقان.
هديتني بفضلك إلى شرائع الحق والإيمان. وأسبغت علي من نعمك
بلا عد ولا حسابن. فلك المхамد كلها نحواطري وجوارحي ولساني.
ولك الشكر يا ذا أجود والإنعام والإحسان.

وخالص شكري إلى من أثار لي طريق البحث وأولاني بنصائحه،
وبتوجيهاته وتوصياته، ولم يبخل بالمتابعة أجدية المرتبطة بضرورة
علمية البحث وصرامته، فله شكري وامتناني الأستاذ الدكتور:

محمد

وجزيل الشكر لأعضاء اللجنة المناقشة التي تفضلت بقراءة هذا
البحث وأشرفت على تقويمه ونقده، وتكرمت علي بالآراء السديدة.

الطالب: طاهر محمد أمين

مقدمة

الاستشراق ظاهرة تعكس العلاقة بين الشرق والغرب، بحيث يشكّل الطرف الأول موضوع الدراسة والبحث للثاني في مجالات حيوية عدّة منها الأدبية واستقطبت هذه الدراسات اهتمام الباحثين والدّارسين والنّقاد في هذا المجال، لم امتاز به الأدب العربي من خصوصيّات حضاريّة وفكريّة، كانت مدعاة تعمّق المستشرقين فيه درسا وتحليلا... وغيرها.

حاول الاستشراق رسم الشرق وعلومه بصور عديدة في عيون وعقول الغربيين وذلك بناء على أهداف مختلفة سطرّها إيديولوجيّات وسياسات البلدان الأوروبيّة، فأسّست مدارس لدراسة الشرق وآدابه.

المدرسة الألمانية من بين المدارس الاستشراقية التي تبنت فكرا خاصّا ومنهجًا مختلفًا في دراسة الأدب العربي، من خلال ثلّة من المستشرقين الذين بذلوا جهودًا لخدمة اللّغة العربيّة أوّلا وتاريخها ثانيا والإرث الشعري القلم وكانت هذه الجهود على جبهات شتى تصبّ في هدف واحد، حيث كشفوا الغطاء عن مخطوطات قديمة ونشروها ونصوص قديمة حقّقوها، فأحيوا بذلك مرحلة تاريخيّة مهمّة وغنيّة في ثقافة العرب.

انتهج الألمان منهجا مغايرا وصارما ودرسا منهجيا وفيّا، سار عليه القدامى والمحدثون، رغم اختلاف الظرف الزماني والموضوعات والقضايا التي أثّرت حول الشعر العربي، في ماهيته وبيدياته ووصوله وتدوينه وقراءته، فنأوا بأنفسهم عن التّوجهات السياسيّة ولم يكونوا مسيّرين من طرف حكومتهم ولم يلقوا الدّعم منها في نفس الوقت.

لا يمكن أن نغمطهم حقّهم في ازدهار الدراسات حول الشعر العربي في العالمين العربي والغربي، في إعادة بعث تاريخه ودراسة وفق مناهج حديثة، كشفت عن ميزات أخرى له وحتىّ بعض الشعراء المعروفين وتقديمهم كذلك لمجموعة لا بأس بها من القصائد والأشعار العربية التي كانت مغمورة.

قضية الشعر العربي شغلت المستشرقين الألمان وغير الألمان منذ زمن طويل وشغلت بذلك علماءنا ومفكرينا وولدت بينهم ردود أفعال مختلفة ومتباينة، فشقّ منهم كان معرضا لكلّ ما هو غربيّ وشقّ معتدل انتقى ما يتناسب مع دينه ولغته وتفكيره، شقّ آخر مؤيّد تأثّر بعلوم الغرب والمناهج النقدية الحديثة في دراسة الأدب العربي والشعر، لأنّ العلاقة بينهما كانت مباشرة والأثر كان واضحا وجليّا، فقد تتلمذوا على أيديهم ونهلوا العلوم والآداب بمعيتهم، فلم يكن لهم ليحيدوا عن دريهم.

الاستشراق الألماني تميّز عن المدارس الاستشراقية الأخرى بالحياد والموضوعية أيضا، فهو لم يرتبط بالاستعمار ولم يسيطر على عالمنا الإسلامي، من هنا حظي بسمعة طيبة واشتهر مستشرقوه بالأعمال الجلييلة التي قدّموها، بدءا برايسكه وزيجريد هونكه وبروكلمان، وصولا إلى آنا ماري شميل ووريناتا يعقوبي... وغيرهم، زيادة على اختلاف قراءاتهم للشعر العربي، وهذا ما أثرى الدرس الاستشراقي في التأثير به وفهم النصوص الشعرية من زوايا مختلفة، فلا يمكننا أن نرفض الاستشراق الألماني كلية ولا تقبله كذلك جملة وتفصيلا وإنما التطور التقديرة والموضوعية في الدراسات المقارنة التي تنصف الطرف الآخر.

خصوصية المدرسة الألمانية في منهجها وطرحها وبحثها أدى بنا إلى طرح جملة من التساؤلات التي سنخصّها بالدراسة والتي نجملها في:

- ما هي المنهجية الاستشراقية التي انفردت بها المدرسة الألمانية في دراسة الأدب العربي والشعر تحديدا؟
- وما هي جملة التي قدّمتها خدمة له؟ وما طبيعة دراسة المستشرقين الألمان القدامى والمحدثين حول الشعر العربي؟
- وما هي أبرز الاستنتاجات من خلال المقارنة بينهما؟ وما هو أثر المدرسة الألمانية في الدارسين العرب وردود أفعالهم تجاهها؟ وما طبيعة الاستشراق الألماني اليوم في ظلّ الحداثة والعولمة؟ .
- سبقتنا دراسات حول الاستشراق الألماني، لكننا لم نطلع على دراسة مقارنة بين القدامى والمحدثين منهم حول الشعر العربي وهذا ما شجّعنا إلى المضى في هذا البحث محاولين استظهار أوجه التشابه والاختلاف بينها وأهم الأعمال المقدمة في ذلك والتنوع الذي مسّ هذه الدراسات حول الشعر العربي.
- أمّا دواعي اختيار هذا الموضوع، فهو عدم وجود دراسة مستقلة عن الاستشراق الألماني في علاقته بالشعر العربي، بل كانت دراسات تتناول الاستشراق الألماني بصورة عامة ولم يكن التركيز على جنس الشعر والموضوعات المتعلقة به ولم تكن تلك المقارنة بين الجيلين.

من المراجع التي ساعدتنا على التعامل مع طبيعة هذا البحث، كتب لها علاقة بالمنهج التاريخي أبرزها كتاب يوهان فوك (تاريخ حركة الاستشراق)، بالإضافة إلى كتب الاختصاص مثل: يحيى وهيب الجبوري (المستشرقون والشعر الجاهلي)، عبد الرحمن بدوي (موسوعة المستشرقين)، أحمد سمايلوفيتش (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، نجيب العقيقي (المستشرقون)، رضوان السيد (المستشرقون)

الألمان)، علي إبراهيم التملة (إسهامات المستشرقين في نشر التراث الإسلامي)، كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي)، صلاح الدين المنجد (المستشرقون الألمان) وغيرهم باللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى.

ارتأينا تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول يتصدّرها مدخل تناولنا فيه تعريف الاستشراق وبدايات الاستشراق الألماني وتاريخه ونشأته وتطوره.

عنونا الفصل الأول: الخلفيات الاستيمية للفكر الاستشراقي، تضمن المنهجية الاستشراقية في دراسة الأدب العربي بالمقارنة مع المنهجية الألمانية، ثمّ دراسة الاستشراق للأدب العربي القديم والحديث وصولاً إلى أهمّ إنجازات الاستشراق الألماني في حقل الأدب العربي والشعر.

خصّصنا الفصل الثاني: للدراسة التطبيقية تحت عنوان: الاستشراق الألماني والشعر العربي، عرضنا من خلاله دراسة القدامى للشعر العربي أولاً واخترنا ثلّة منهم وراعينا التنوع فيما بينهم لإثراء البحث حوله، ثمّ انتقلنا إلى دراسة المحدثين للشعر وراعينا نفس التنوع في اختيار المستشرقين، أخيراً عقدنا المقارنة بين الفئتين في دراساتهم للشعر العربي وموضوعاته.

فيما اشتمل الفصل الثالث على: الاستشراق الألماني والتحديات الشرقية، احتوى ثلاث مباحث أولها: الشعر الصوّفي عند الألمان بين التأثير والتأثر وثانيهما: أثر المدرسة الألمانية في الدارسين العرب وموقفهم منها، أمّا ثالثها: الاستشراق الألماني راهنا.

أمّا الخاتمة فتضمّنت أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث وإجابة موجزة عن الإشكاليات التي طرحناها في مقدمة عملنا.

تطلّب البحث في هذا المجال دقة وقراءة متأنية، ليكون العمل بقدر الإنجاز الذي قدّمه هؤلاء المستشرقون خدمة للشعر العربي والأدب عموماً، فكان لزاماً علينا التأمّن في اختيار المستشرقين الذين يجسّدون هذا العمل وانتقاء منهم من كانت دراسته تختلف - ولو بالقدر القليل - عن نظيره، فوجدنا في ذلك خيطاً رفيعاً يفصل بينهم، لأنّ موضوع الدراسة مشترك بينهم، ممّا حتمّ علينا التّريث والتّصرف الدّقيق، واتبعنا في ذلك منهجاً تاريخياً، رصدنا من خلاله بدايات الاستشراق وأهمّ الأعمال التاريخية لبعض المستشرقين على رأسهم كارل بروكلمان

ومنهجاً مقارناً، استخلصنا من خلاله أوجهها مختلفة منها متشابهة وأخرى مختلفة في دراسة الشعر العربي وموضوعاته وأهم القضايا الجوهرية التي راجت حوله قديماً وحديثاً.

وكعادة كل باحث فقد واجهتنا عقبات جمة، كان على رأسها افتقار المراجع التي تدرس المستشرقون الألمان في علاقتهم بالشعر العربي، لأنّ جلّ الدراسات كانت في الإسلاميات، من جهة أخرى لا يمكننا إحصاء جميع جهود المستشرقين وأعمالهم حول الشعر العربي، ممّا صعّب علينا عملية الانتقاء، كذلك شخّ الدراسات حول الأدب العربي والشعر الحديث في أعمالهم، بالإضافة إلى المواقف العربية الكثيرة التي لم يتسنى لنا رصدها كلّها والتي تتطلّب الصفحات الطوال.

أشكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور **حمودي محمد** وأقرّ بفضلته بعد الله سبحانه وتعالى وأعترف بجميله وأوجه له جزيل الشكر والعرفان، لم تحمله معي من مشقة التوجيه والاعتناء بهذا البحث وصبره وعطائه الفكري الذي ساهم بشكل كبير في انجازه وخاصة حسن معاملته.

وبعد... ما هذا البحث المتواضع إلاّ محاولة لإحداث المقارنة بين جيلين من المستشرقين الألمان في إسهاماتهم اللغوية والأدبية واستخلاص التنوع الحاصل في دراساتهم للشعر العربي القديم والحديث واثراً المدرة في الدارسين العرب ومنهج البحث.

إلى أستاذي الأستاذ الدكتور: **حمودي محمد** أسمى معاني التقدير والإجلال

والله وليّ التوفيق

مدخل

في رحاب الإستشراق

الاستشراق لفظ يتكرر كثيرا على ألسنة خطبائنا وعلمائنا ومثقفينا على اختلاف توجهاتهم ومشاربهم، متحدثين تارة عن الاستشراق كعلم أتى بما لم يأت به المسلمون والعرب، وتارة كالذم والاحتقار لاختلاف نظراتهم لهذا العلم، وبهذا احتلت قضية الاستشراق والمستشرقين أهمية خاصة بين قضايا العصر، تجلّت في اهتمام جميع علماء العالم الإسلاميّ بها، محاولين اقتفاء مسارها والتحقّق من نتائجها الفكرية والأدبية لالتقاءها أو التأثر بما ينفع منها للترقي و التطور.

ومما لاشكّ فيه أن الاستشراق له أثر كبير في العالم الغربي والعالم الإسلاميّ على السواء، ففي العالم الغربي لم يعد في وسع أحد أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا مرتبطا به أن يتخلّص من القيود التي فرضها الاستشراق على حرية الفكر أو العقل، في عالمنا العربي الإسلامي لا يكاد يجد المرء مجلّة أو صحيفة أو كتابا إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى شيء عن الاستشراق أو يمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة¹.

الاستشراق حركة فكرية وظاهرة معرفية مثيرة للنقاش، حرّكت ومازالت تحرك أقالما وتفتح نقاشات وقف فيه المتناظرون في معسكرين كبيرين: معسكر من المؤيدين وآخر من المعارضين، وقد ظهرت بين الطائفتين كوكبة ثالثة من تدعوا إلى نقد موضوعي يعكف على قراءة الاستشراق قراءة مجردة على المواقف المسبقة ملتزمة الحياد في إصدار الأحكام.

ويجدد بنا أن نعرّف هذه المفردة (استشراق) قبل الخوض في ماهية هذا العلم، فهناك تعاريف عديدة

للاستشراق:

لغة: الاستشراق كلمة مشتقة من مادة "شرق" يقال: "شرقت الشمس: طلعت و أشرقت: أضاءت"² ومن

"أشرقت الشمس شرقا و شروقا إذا طلعت"¹.

¹ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995، ص11.

² محمد أبوبكر الرازي، مختار الصحاح، تج: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990، ص218.

واستنادا إلى قواعد الصّرف وعلم الاشتقاق، يبدو معنى كلمة "استشراق" أدخل نفسه في أهل الشرق وأصبح منهم، أو بمعنى آخر آخَر أُمَّجَّه نحو الشَّرْق، أي صَوَّب وجهه نحو الشَّرْق، وقد ذكرت بعض المصادر اللّغوية الحديثة أن معنى "استشراق" طلب علوم الشَّرْق ولغاتهم².

أما عن المعاجم العربية الحديثة، فإن كلمة "استشراق" لم تخرج عن معنى الواحد في جَلِّها، "ففي المنهل جاءت لفظتا: "شرق" و "مستشرق" مقابلة للفظة الفرنسية "Orient" و "Oriental" الشرقي و المشرقي"³. أما في المصادر الغربية فيمكن الرجوع إلى معجم لاروس حيث يعرفه بما يلي:

"الاستشراق مجموعة نظم موضوعها وغرضها دراسة الحضارات الشرقية"⁴.

ومعجم آخر يعرفه كما يلي: "الاستشراق دراسة شعوب الشرق وحضاراتها"⁵

أما فيما يتعلّق بالمفهوم الاصطلاحي أو العلمي فلا يوجد تعريف ثابت متفق عليه للاستشراق وأصبح من الصّعب إيجاد مفهوم معيّن له.

الاستشراق هو "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" أما الشَّرْق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا من النّاحية الجنوبية الشَّرقية بالقياس إلينا"⁶.

ويقول فوك: "فإذا عرّفنا الاستشراق الآن على أنّه فقه اللغة (الفيلولوجيا) كما حرص المشرق بارث على تسميته فلا تكون بذلك قد مرّنا"⁷.

¹ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق أحمد عامر حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد10، ط1، 2005، ص207.

² أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، ص22.

³ سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، دار الكتاب، ط1، 2004، ص850-851.

⁴ Le petit la rousse, libraire la rousse, paris, 1986, p 707.

⁵ HACHETTE, 2005, hachette livre, paris, 2004, p1161.

⁶ بارث رودي ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص11.

⁷ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص9.

ويقول الزيات عن هذا المصطلح: "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأمه، ولغاته، وآدابه، وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنّه في العصور الوسيطة كان يقصد به الدّراسة العبرية لصلتها بالدّين، ودراسة العبرية لعلاقتها بالعلم"¹.

وهناك من يعرف الاستشراق: "بأنّه علم الشرق أو العالم الشرقي، وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يهتم بدراسة الشرق أقصاه وأوسطه وأدناه، في لغاته وآدابه، وحضارته وأديانه"². ويقول المستشرق الألماني بارث: "إن اسم الشرق قد تعرّض للتغيير في معناه، فالشرق بالقياس لنا نحن الألمان تعني العالم الإسلامي، العالم القابع خلف الستار الحديدي كما كان يسمى كذلك في الماضي"³.

في حين يذكر لنا شكري النجار في هذا الموضوع: "أنه يؤخذ بعدة معان متداخلة ومختلفة ولعل أهم معنى للكلمة هو المعنى الأكاديمي، إذ كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد، وثمة مفهوم آخر للاستشراق أعمّ هو اعتبار الاستشراق أسلوباً للتفكير يرتكز على التمييز الإنساني والمعرفي بين الشرق والغرب"⁴.

وقد يتوسع مفهوم الاستشراق ليشمل لغات هذه البلدان (الشرقية)، فالمستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الآخر بكل ما فيه وعليه وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق⁵.

ومن هذا كّلّه فإن مصطلح الاستشراق وتعريفه وحقيقته ظلّ يتّرحّج بين جملة من التعريفات، وكلّ منها تصبغه صبغة جديدة حسب ما يتناسب وفكرها وميوها، من حركة فكرية غربية إلى علم لدراسة الشرق و قضاياها إلى فرع المعرفة المتصلة بالشرق وغيرها، فلم نستقرّ حتى السّاعة على مفهوم شاف ومغزى حقيقي وصریح فهو بذلك حقل

¹ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر للطباعة، القاهرة، دت، ص512.

² محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص18.

³ نايف بن تنيان، محمد آل سعود، المستشرقون وتوجيه السادة التعليمية في العالم العربي، الرياض، 1414هـ، ص17.

⁴ شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق؟، مجلة الفكر العربي، العدد 31، سنة 1983، ص59-60.

⁵ ينظر، محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983، ص11.

بحث تتباين فيه الآراء و تتنوع بتنوع موضوعاته واختلافها عن بعضها وعدم تجانسها، وهذا التنوع والاختلاف لدى جملة من الباحثين والمهتمين بهذا الحقل جعل منهم يقرون بزئبقية هذا الموضوع، وليس له تعريفا ثابتا، وأن هذا الأمر ضربا من المستحيل.

الظاهرة الاستشراقية لا يمكن لها أن تستقر عند حركة معينة، فهي بتعدد حركاتها تتعدد أهدافها وتختلف باختلاف الطابع والجو التي تدرس فيه، والغايات المسطرة آنفا فزئبقية الاستشراق في مفهومه جعل منه متعدد المفاهيم ومتغير التعريفات ومتأقلم حسب الزمان و المكان، وهذا ما يشكل خصوصيته.

ولعلّ السبب الرئيسي في ذلك يعود بدرجة أولى إلى غموض المصطلح الذي خصّ بهذا الميدان، وهو على قدر من الشمول، بحيث أنه يدل على كل شيء، ولا يكاد يدلّ على شيء بعينه، ففيه يحشر علم الآثار والأدب، ويقرن علم الاجتماع بالإسلاميات، تمّ تجمع هذه الاختصاصات وغيرها تحت عنوانه الواحد دون مراعاة لما بينها من فروق نوعية، واختلافات جوهرية¹.

فالتعريف الأعمّ للاستشراق هو دراسة الشّرق في ثقافته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه، من قبل علماء ومؤسسات علمية غربية².

والأعمّ من ذلك هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين ومجتمعاتهم، وتفاصيل حياتهم من غير المسلمين ومن مؤسسات علمية غير مسلمة.

من خلال التعاريف السابقة الغربية والعربية للاستشراق، يتضح لنا أنّها تتقاطع في شيء من التعريف، ويبقى مشترك لديها وذلك في دراسة علوم الشّرق وآدابها وعاداتها وتقاليدها... فهل المقصود هو الشّرق بصفة عامة؟ أم دراسة حضارة الإسلام والعرب الموجودة في الشّرق؟.

¹ علي بن إبراهيم التّملة، مصادر الاستشراق و المستشرقين ومصدرتهم، مكتبة بيسان، بيروت، 2011، ص 262.

² رودى بارث، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص 11.

ليس القصد من إغفال جهة أو مكان إدخال العرب غير المسلمين فقط بل إدخال الشرقيين غير المسلمين بشكل عام، وحتى من الشرقيين الذين يحاولون الاطلاع على الحضارة الإسلامية والعلوم العربية، فهناك من المستشرقين اليابان وكوريا والصين والهند ودول جنوب آسيا الأخرى وإفريقيا... وغيرها.

لأأس من القول بأن المستشرقين من غير الغربيين ربما يكونون عالة على المستشرقين الغربيين، حين تتلمذوا على أيديهم أو قرؤوا إنتاجاتهم الفكرية، أو تبنا منهجهم في البحث، أو حاولوا تدقيق بعض أغراضهم التي سعى الغربيون إلى تدقيقها من خلال دراستهم ونشاطاتهم في هذا المجال، إلا أن المستشرقين من غير الغربيين قد يكونون أكثر إقبالا على الموضوعية في دراسة علوم المسلمين، وما يتعلق بهم لأسباب عدّة منها:

1- إنّ المستشرقين من غير الغربيين قد لا يملكون الجذور التاريخية التي دفعت إلى الاستشراق، وإن كنا لا نستطيع أن نحرر بعض المستشرقين من هذه الجذور.

2- إن المستشرقين من غير الغربيين قد ظهوروا في وقت بداية المسلمين حركة فكرية قوية، كان لها أثر في نشر التراث وترجمة شيء منه على لغات أخرى غير العربية، لاسيما الألمانية ثم الإنجليزية، اللغة الشائعة في معاهد العلم اليوم¹.

ولأجل ذلك كله، لا يمكن تصنيف المستشرقين في صنف واحد والحكم عليهم بموقف واحد، فهناك أصناف مختلفة، منهم فئة ومعظمهم من اليهود ومن يتعاطف معهم، درسوا الإسلام وعلوم الشرق لأهداف حبيثة قاصدين في ذلك محاربتة والتشكيك فيه والتأثير على المسلمين من خلال بثّ الأفكار المغرضة عنه، و التطرّق إلى الموضوعات الشاذّة والمسائل المسكوت عنها في الإسلام، وكذلك محاولة تحقير كل عمل عربي أو إنجاز إسلامي يحقق التقدم و البناء الفكري الحضاري.

¹ ينظر، عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، مكتبة ابن تيمية، البحرين، 1986، ص 7-14.

وصنف آخر اتسم بالموضوعية في الطرح والتقديم وله مآثر جمّة في نشر العلم والثقافة الشرقية والعربية بالخصوص من خلال تسهيل الوصول إلى المصادر القديمة والمحافظة على المؤلفات، بل تصنيفها وحفظها من التلف وإعادة فهرستها وحتى نشرها فالتعميم مرفوض والحكم العام غير مقبول.

والمستشرقون من حيث اهتماماتهم وميولاتهم أصناف:

- صنف اهتم بالقرآن الكريم وعلومه¹.
- صنف عُني بالأحكام الإسلامية الشاذة.
- صنف اهتم بالسيرة النبوية وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم².
- صنف ركّز على الطائفية والفرق الإسلامية³.
- صنف اهتم بالتوسع الإسلامي في العالم والفتوحات الإسلامية⁴.
- صنف ركز على نظام الحكم الإسلامي وطبيعة الحكم المسلمين من ولّاءة و أمراء وحكّام أمصار وحتى الخلفاء الراشدين خاصة في عصر الحضارة الإسلامية (العصر العباسي) وكانت هناك دراسات منفردة لبعض الشخصيات الإسلامية الحاكمة أمثال هارون الرشيد.
- صنف آخر ركّز على الآداب العربية و الفنون الإسلامية، من خطّ عربي ومعمار إسلامي وزخرفة وغيرها.
- وصنف آخر اهتم كثيرا بدراسة الحضارة الإسلامية ومالها من تأثير وما عليها من تأثر بالحضارات الأخرى والأمم الغريبة⁵.

¹ ينظر، علي بن ابراهيم النملة، المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010، ص269.

² ينظر، علي بن ابراهيم النملة، المستشرقون والسنة و السيرة في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010، ص157.

³ ينظر، علي بن ابراهيم النملة، المستشرقون والإسلام في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010، ص224.

⁴ ينظر، علي بن ابراهيم النملة، الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010، ص256.

⁵ ينظر، محمد عبد الفتاح عليان، أضواء على الاستشراق، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980، ص 53-57.

كلها أصناف اختلفت في منهجيتها لدراسة الشرق وعلومه، إضافة إلى صنف آخر هو من أبناء الجلدة العربية، ومن نفس المعتقد الإسلامي ممن تأثروا بالتيار الغربي وتعلموا على يد المستشرقين الألمان وغيرهم واتبعوا منهجهم في الدراسة والبحث.

تعددت مفاهيم الاستشراق وتعددت معها البدايات الأولى للاستشراق فبعضها يعطي تاريخاً بعينه، والبعض الآخر يعطي حقبة زمنية أو عصر من العصور التي مرّ بها الشرق وربطه بأحداث معينة، وإنما يعتمد على حوادث وغايات وأهداف أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي بداياته ومعها تغيرت مفاهيم حسب تغير فتراته.

وكما اختلف المفهوم والبدايات اختلفت كذلك في الدوافع والغايات، ويؤكد أحد الباحثين أن الدوافع والأهداف مهما اختلفت وتنوّعت فإنّها لا تخرج عن غايتين يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام، فيؤمن به ويحمل رايته.

2- معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجغرافيته ورجالاته وتراثه قصداً للوصول إليه¹.

واستشراق اليوم ليس هو استشراق أمس فما نقصده اليوم من استعمالنا للفظه استشراق، يختلف عن ذلك الاستشراق الأول بمفهومه اللغوي وبنشأته الأولى، فلقد تطوّر المفهوم وفما ولم يعد قاصراً على ذلك المفهوم الضيق.

الاستشراق اليوم مدرسة وعلم وسياسة اقتصاد، وبخاصة عندما يكون "الشرق" هو الإسلام كحضارة وعقيدة و تراث وأمة²، وموروث أدبي ضخم يحمل أسرار هذه الأمة وتاريخها.

الاستشراق مرتبط كل الارتباط بالموروث التاريخي للشخصية الغربية في نظرتها للحضارة العربية والإسلامية وهو موروث مثقل بالتراكمات النفسية، ومشاعر ضاغطة مسيطرة على حركة الفكر مؤثرة في السلوكيات

¹ ينظر، عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية، الدوحة، 1411هـ، ص38-39.

² محمد فاروق النبهان، الاستشراق، تعريفه، وآثاره و مدارسه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، 2012، ص12.

والمواقف... وارتبطت حركة الاستشراق اليوم بالمفهوم الحضاري الغربي الذي استطاع בזكاء أن يوجد تحالفين الثقافة والسياسية¹.

الاستشراق متشعب وله امتدادات يسعى من خلال التوسع المفاهيمي لماهية الأشياء والمواضيع والأصول والمعتقدات والحفريات وغيرها، ف "قراءة الاستشراق هي وعي لشخصيتنا أننا نرى الذات في مرآة الغرب، إنها اكتشاف التغريب السياسي والثقافي الذي يمارسه الغرب ضدنا بأيدينا، إنها أيضا دعوة لمعرفة من نحن؟ ودعوة إلى العودة إلى الذات، ولكن ليس إلى ذات مبهمه أو مشوهة، فالذات العربية منذ بداية القرن العشرين أصبحت مشوهة، فلم تعد شرقية ولا غربية"².

ظهرت مناهج واهتمامات جديدة وتسميات بديلة عن مصطلح الاستشراق مثل "خبر الشرق الأوسط" و "الدراسات الشرق الأوسطية" و "الدراسات الإقليمية" وغير ذلك من التسميات والمصطلحات التي أصبحت شائعة منذ النصف الثاني من القرن العشرين³، تتأقلم وفق التحديات والمستجدات الجديدة وطبيعة المجتمعات الشرقية المختلفة مما سبق في تفكيرها وفي تواصلها مع الآخر، والتعامل معه وخاصة في ظل العولمة والتطور التكنولوجي.

نشأة الاستشراق وتاريخ الاستشراق الألماني:

اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق، فليس هناك تحديد زمني واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدد تاريخا بعينه تكون فيه المنطلقات الأولى لاهتمام الاستشراق بعلوم الأمم الأخرى وثقافتها وعقائدها و آدابها وعاداتها وتقاليدها. "وقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق فبعضها يعطي تاريخا بعينه وبعضها الآخر يعطي حقبة أو عصر من عصور التي مرّ بها الشرق أو العالم، والبعض

¹ محمد فاروق النبهان، الاستشراق، تعريفه، وآثاره و مدارسه، مرجع سابق، ص12.

² محمد قدور تاج، الأدب العربي في ميزان الاستشراق، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص10.

³ محمد طاع الله، خصومة الاستشراق، الخطابات والزمانات، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختصر، القيروان، تونس، ط1، 2015، ص22.

الآخر لا يعطي زمنا و إنما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها فجعلت هي البدايات،¹
فمن الصّعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق.²

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن من المؤكد أن بعض الزّهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتعلموا على يد علماء مسلمين في مختلف العلوم.³

وقسم آخر ممن كتب عن الاستشراق رأي أن "بداية الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين، وحجّة هؤلاء أن العداء السياسي استحكمت بين النصارى والمسلمين أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ومن ثم أيام أخيه العادل أثر الهزائم المتكررة التي ألحقها هؤلاء القادة المسلمون بالصليبيين، فرض كل هذا على الغرب أن ينتقم لهزائمه"⁴، صعوبة المواجهة الكلاسيكية وعدم القدرة الميدانية فرض عليهم إيجاد بديل وسرّ هذه القوّة والتّماسك الصّفي.

تعدّدت الأقوال حول أول نشأة للاستشراق منهم من يقول أنها تعود للحروب الصليبية ما بين (491هـ-644هـ) (1098م-1251م)، ومنهم من يقول بأن فكرة الاستشراق تعود إلى غزوة مؤتة بين المسلمين و الروم (8هـ-629م)، وأقوال أخرى تقول أن في الحروب تحدث احتكاكات ومحاولات فهم الآخر من حيث التّفكير ومعرفة الأحوال عن الخصم، فالحروب، جانب مهم في احتكاك الحضارات ببعضها وبحث كل طرف عن أسرار الآخر للتغلب عليه وهزمه، ومن زاوية أخرى يقول بعضهم أن الاستشراق بدأ بشكل مؤسس بعد سنوات من دخول المسلمين إلى الأندلس، فتواجد المسلمين بأرض الأندلس كان لنحو سبعة قرون (92هـ-897م)

¹ سعدون بوفلاحة، الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية، العدد 3، 2005، ص120.

² محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص11.

³ مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1979، ص7.

⁴ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط1، 1983، ص20.

(711هـ-1492م)، هذه الحقبة جعلت الاحتكاك بين مجتمعين وليس جيشين كما كان في الحروب الصليبية ومدة طويلة في أمن وسلام وكما يقول ابن خلدون: "المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونخلته وسائر أحواله وعوائده"¹ لهذا سعى سكان الأندلس الأصليين إلى تثقيف أنفسهم فاحتكوا بالمسلمين ومدارسهم وعلومهم.

وقسم آخر يرجع نشوء الاستشراق إلى الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين في الأندلس ونصارها وخاصة بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة في سنة (488هـ-1085م)، فنشأت حركة التوبة و التّكفير عن الذنوب وكان مركزها في "ديركلوني" الذي سيطرت عليه طائفة الرهبان "البندكتيين برئاسة الراهب بطرس المحترم الفرنسي ومن هذا الدير انطلقت حركة التغيير النصرانية الاسبانية بكل كتبها وطقوسها وجعلها نصرانية كاتوليكية رومية صرفة،² بعد أن أصابها الفساد على حدّ زعمها لاكتسابها الكثير من الإسلام، فبدأت حربها ضد نصرانية اسبانيا وبالتالي إسلامها.

ويرى آخرون "أن نشوء الاستشراق كان لحاجة الغرب للرد على الإسلام أولاً ولمعرفة أسباب هذه القوّة الدافعة لأبنائه ثانياً، وخاصة بعد سقوط القسطنطينية في سنة 857هـ-1453م³. ومن ثمّ وصول العثمانيين إلى أسوار فيينا، فإن الإسلام وقف سدّاً منيعاً من انتشار التّصنافية.

ورأى فريق آخر "أنّ نشوء الاستشراق وخاصة عند أصحاب اللاهوت كان لحاجة هؤلاء إلى تفهّم العقلية السّامية لعلاقة هذه العقلية بالتّوراة والإنجيل، ولذلك انصبّت دراسة هؤلاء على اللّغة العبرية والآرامية والعربية وآداب هذه اللّغات"⁴.

¹ إسماعيل أحمد عمارة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حزين، عمان، ط2، 1992، ص25-26.

² قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، مرجع سابق، ص21.

³ مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار، بيروت، ط4، 1970، ص37.

⁴ قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، مرجع سابق، ص23.

وقسم آخر رأى أنّ "الاستعمار الأوربي لبعض البلدان العربية والإسلامية في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وجنوب شرق آسيا وحاجة هؤلاء إلى فهم عادات و تقاليد وأديان هذه الشعوب المستعمرة، لتوطيد سلطانهم وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها، كل ذلك دفعهم إلى تشجيع الاستشراق بصور شتى وأولته دولهم عنايتها وتشجيعها وحثت جامعاتها على دراسته"¹.

ويرى بعض الباحثين أن هناك أسبابا إضافية أخرى منها ما تأتي به هذه الدراسات من فائدة على التجار، وعلى نشاطات بعثات التبشير الأجنبية بين المسلمين².

أما في الغرب فيؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي 1312م بتأسيس عدد من الكراسي الأستاذية في العربية واليونانية والسريانية في جامعات باريس، أكسفورد، وبولونيا واجنوبن، وسلامانكا³. وبعض الباحثين يذهب إلى القول بأنّ البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، بينما يرى **رودي بارث**: "أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر الذي تمّت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضا في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي، وما ذهب إليه **بارث** في هذا الصدد سبق أن عبّر عنه كتاب المستشرق **جوستاف دوجا** (تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر) الذي صدر في باريس نهاية الستينيات من القرن الماضي⁴.

كما تأسس الاستشراق على يد **يوحنا الدمشقي** (المتوفي عام 748م)، وهو عالم مسيحي كان صديقا مقربا من الخليفة الأموي **يزيد بن معاوية**، لقد ادّعى أنّ الإسلام عبادة وثنية وأن الكعبة في مكة مجرد وثن، وأن النبي

¹ محمود سعدون الساموك، مناهج المستشرقين، جامعة بغداد، 1985، ص15.

² قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية و الافتعالية، مرجع سابق، ص24.

³ ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الإيمان العربية، بيروت، ط1، 1981، ص80.

⁴ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص26.

محمد رجل غير متدين بمساعدة كاهن أريوسي تعلم على يده، وبذلك أصبحت كتابات يوحنا مرجعا للمسيحيين عن الإسلام¹.

وتجدد الصراع العقائدي بين الطرفين المسيحي والإسلامي والاحتكاك العنفوي "فالحروب الصليبية هي تجدد للعداء القديم بين الشرق و الغرب، وهو العداء الذي لم يَحمد أبداً، ففي فترة مقدارها ألف سنة، ابتداء من الهجرة النبوية التي حصلت في سنة 622م إلى حصار الترك لمدينة فيينا 1683م، ظلّ خطر استيلاء المسلمين على أوروبا ماثلاً باستمرار في أذهان الناس، فهي إذا رد فعل من قبل الغرب ضد ضغط الشرق².

فالحروب الصليبية حركتها تعزى لدوافع دفيئة أوسع من أن ننسبها إلى رد فعل مخاوف قد يغذيها العداء التاريخي الطويل و المتجدد.

علامات بارزة في تاريخ بدايات الاستشراق قد عاصرت الحروب الصليبية، فمن جهة تبين أن البداية الفعلية للحروب الصليبية (التي استمرت عدة قرون) كانت في 27 نوفمبر 1095م، حيث خطب البابا أرويان الثاني الجموع المحتشدة في مدينة كليومون في الجنوب الفرنسي قائلاً: "ولست أنا الذي أنذركم، وإنما الرب نفسه يطلب إليكم ويحذركم بصفتكم حملة لواء المسيح والمبشرين الداعين إليه: أن تطهروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون من أولئك الرعايا"³.

ظل الاستشراق يتكون ويتطور مما رغب الغرب في معرفته، لا فيما كان بالإمكان معرفته، وفي الوقت الذي كانت الصورة الاستشراقية تنمو وتتشيّد في فعل بنائي، كان الإسلام يمتد إلى الأقطار العالمية ويتوسع جغرافياً ويتقدم ويهيمن على الفكر والإنسان كلّه.

¹ ضياء الدين ساردار، الاستشراق، صورة الشرق في الآداب و المعارف الغربية، ترجمة: صالح فخري، هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة، الإمارات، 2012، ص46.

² أرنسنت باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، ص13.

³ ينظر، زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة: غريب محمد غريب، مؤسسة بافاريا للنشر و الإعلام، ميونيخ، ألمانيا، ط2، 1419هـ، ص7.

سقطت القدس في أيدي الحملة الصليبية الأولى عام 1099م، وأدى ذلك إلى تأسيس ممالك صليبية في الشرق الأوسط وبقيت تلك الممالك في المنطقة أكثر من قرنين، القدس نفسها لم تعد إلى أيدي المسلمين قبل عام 1244م وعكًا عام 1291م¹.

يظهر تاريخ الاستشراق أنه لم يكن نظرة الغرب الخارجية نحو موضوع ثابت محدد هو الشرق إنه شكل من التأمل الداخلي المشغول بالاهتمامات والمشاكل والمخاوف والرغبات الخاصة بالغرب، والتي يعمل على تفقدتها باستخدام موضوع جرى اصطناعه، وإنشاؤه ثقافياً يدعى الشرق،² الذي تتميز بعقيدة ودين جديد يحمل فكر جديد لهذا، "تاريخ الاستشراق يبدأ مع تاريخ الإسلام، مع أزمة الجديد الوافد غير المسبوق والمدمر والذي يتطلب جواباً ملحاً، في سياق هذه الأزمة فقط يمكن لأوروبا للنشئ مفهوماً هو شكل من التعريف البديل للذات، الذي هو في الوقت نفسه معرفة اصطلاحية ووصف للموقف الغرب مما هو ليس غربياً أي الشرق"³.

وهناك من يجعل للاستشراق سبباً رئيساً وأسباباً فرعية، فالسبب الرئيس المباشر هو ديني بالدرجة الأولى، حيث ما تركته الحروب الصليبية من آثار عميقة، فضلاً عن حركة الإصلاح الديني المسيحي وما جاءت به من أحكام دعت بالإلحاح إلى إعادة النظر في شرح كتبهم الدينية بما يتلاءم مع التطورات المنبثقة من حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية ثم العربية الإسلامية لأن الأخيرة لازمة لفهم الأولى، لاسيما ما يتعلق بالجانب اللغوي، وبمرور الأيام اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات لغير العرب المسلمين⁴.

إنّ تاريخ الاستشراق هو بالضرورة تاريخ الأفكار التي حركت عواطف الغرب وأهلب فضولهم، وهو ليس بالتأكيد تاريخ حركة اللصيقة للتعامل مع الشرق و فهمه من قبل الغرب. "فالتوسع الإسلامي للحضارة الإسلامية

¹ ضياء الدين ساردار، الاستشراق، مرجع سابق، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 39.

³ نفسه، ص 45.

⁴ محمد البهي، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، ط 4، د.ت، ص 522.

في أوج قوتها و توسعاتها الجغرافية في آسيا وإفريقيا وحتى جنوب أوروبا، والتي أسهمت في ثقافة الإنسان، وأضافت الكثير من المعارف والنظريات والآراء في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، نشأ ذلك الاحتكاك بين الحضارتين الإسلامية والغربية¹.

ومما لا ريب فيه أن القرن السادس عشر كان خطوة عظيمة في تطور الاستشراق حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتابا بعد الآخر وخاصة بعد أن "أصبح في وسع الطباعة العربية في أوروبا أن تستعين في 1576م بالمطبعة التي أنشأها فرديناند ميديتشي، كاردينال ودوق توسكانيا الأكبر، ولا مرية في أنه قد اتخذ من العمل التبشيري مبررا لإنشائها وأخذت هذه المطبعة منذ البداية في طبع المؤلفات الطبية والفلسفية لابن سينا، وكتبا في النمو والجغرافيا والرياضيات، وغيرها من العلوم العربية وآدابها"².

والشائع أن كلمة مستشرق قد ظهرت لأول مرة في إنكلترا عام 1779م وفي فرنسا عام 1780م، تم أدرجت الكلمة في القاموس المجمع العلمي الفرنسي عام 1838م³.

ومنذ ذلك الحين خطى الاستشراق خطوة جديدة في الانطلاق وتثبيت آلياته وطرائقه في التأثير والتأثر بالعالم الشرقي وعلومه، فانتشرت المدارس لتعليم العربية في أوروبا كلها وبالأخص فرنسا وإنجلترا، وأقيمت المطابع لإصدار نفائس الكتب العربية وأخذ العلماء و الرهبان يتسابقون في دراستها والاطلاع على فحواها، ونشرها و التعليق عليها، واهتم الأباطرة الغرب بالمخطوطات العربية، فلم يألوا جهدا في اقتنائها، ثم طبعها على نفقتهم وبإشراف علمائهم، مما أدى إلى ازدهار الاستشراق، إذ أصبحت لغات الشرق ذات أهمية عظيمة، وقام بين العلماء وما اشتهر بمؤلفات لاتزال معروفة حتى الآن، ساهمت كلها في إثراء المعارف الشرقية من الكتب القديمة خاصة في

¹ ينظر، محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه و آثاره ومدارسه، مرجع سابق، ص8.

² أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وآثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص87.

³ أحمد السيد فرج، الاستشراق، الذرائع والنشأة و المحتوى، الرياض، 1992، ص18.

العلوم التجريبية كالفلك والرياضيات والطب وغيرها وتأثروا بعلماء عرب ومسلمين كالبيروني وابن هيثم وابن سينا وآخرين¹.

كان شعور أوروبا بالتحدي الإسلامي قويا ومثيرا للرغبة والخوف، فالبلاد الإسلامية قريبة جدًا لأوروبا من الناحية الجغرافية والإسلام... فضلا عما حققه من نجاح في هذا المجال التوسعي والتطور العسكري والحربي، فقد فتح مناطق كثيرة كانت تعتبر معاقل حصينة للمسيحية، وبهذا كان لزاما توظيف المعرفة والدراسة الاستشراقية لمعرفة سرّ هذا الزحف الحضاري والجغرافي وهذا التنامي السريع لأن المواجهة الكلاسيكية أصبحت غير مجدية وغير متكافئة².

لأجل ذلك شهد الاستشراق في القرنين السادس والسابع عشر ازدهارا كبيرا من النواحي العلمية والدراسية المتخصصة، وعندما أقبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق قد ثبتت أقدامه ووطد مراكزه، واستقل كيانه، وحدد معالمه، وتأثر بعوامل عديدة من أشهرها إنشاء كرسيين للعربية في جامعتي أكسفورد وكامبريدج، والتوسع الأوروبي في الشرق الأقصى، ولاسيما بالهند... وإقبال الطلاب في إنجلترا وفرنسا والهند على النصوص السنسكريتية ومصادر ثقافتها إقبالا ما اضطر مديري الجامعات إلى انتشار أقسام خاصة بها للعلوم الشرقية والتأطير الجيد لهذا التوجه الجديد نحو دراسة العلوم الشرقية و اللغة العربية³.

امتد أثر الاستشراق في القرن التاسع عشر إلى ألمانيا ثم إلى غيرها من عواصم العالم حتى يومنا هذا ثم اختتم الثامن عشر بحملة نابليون على مصر وما صاحبها من علماء ومعظم مستشرقين، فاتصل الشرق الأدنى بأوروبا في الثقافة و السياسة والاقتصاد اتصالا وثيقا لم يعرف من قبل وتبين منه أن العربية أصل كل ثقافة إسلامية في أي

¹ ينظر، أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص 87.

² ينظر، شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق؟، مجلة الفكر العربي، العدد 31، سنة 1983، ص 66.

³ ينظر، أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص 90.

لغة من اللغات، فلا بد من معرفة هذه اللغة لأنها الوسيلة و الحلقة الأساسية في الفهم الصحيح للعلوم و الإرث الشرقي والعربي على اختلافه¹.

اتصال الشرق بالغرب والصّلات المعرفية والتأثر به أخذت طوابع مختلفة ومناهل متعددة من الطّرف الغربي لأنّه الحلقة الأضعف والأقل بالمقارنة مع الجانب الشرقي الذي يعيش أوج تطوره وحضارته في مختلف العلوم السياسية، والعمرائية، الاقتصادية، العسكرية، الأدبية، الفنية... وغيرها.²

يمكن وصف السابقة في القرنين الثاني عشر والرابع عشر جهود استشراقي، وإنما هي اصطناعاً لأدوات أُفعل في ذلك الكفاح العسكري والسياسي والثقافي بين الدينين والثقافتين، حتى أعمال لوثر "M.luther" على الإسلام والترك في مطلع القرن السادس عشر بأنها كانت جزءاً من الحروب الدائرة بين المسيحية والإسلام منذ ظهوره في القرن السابع، وبدء التصدي له دنيا وثقافيا في القرن التاسع من جانب اللاهوتيين البنزطيين، وما عرف الأوروبيون (غير اللاهوتيين) أشياء محددة عن عالم الإسلام الثقافي وبدون أغراض جدالية، إلا بعد قيام الفرنسي أنطوان غالان (1646م، 1715م) بترجمة أقاصيص وحكايات ألف ليلة و ليلة³.

لابدّ أن نتذكر بأنه قد وقع في القرن الثامن عشر في العالم العربي أحداث أثرت في حركة الاستشراق، ومهدت لبلوغه أوج قوته في القرن التاسع عشر منها: دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في الحجاز ونجاحها السريع في الجزيرة العربية وهجومها الجريء على أطراف الدولة العثمانية، فاهتم الاستشراق بهذه الظاهرة الجديدة، إذ إنها كانت بمثابة ميلاد جديد للأمة العربية، ثم بدأت البعثات التبشيرية تصل إلى بلاد الشام وغيرها من البلاد العربية، وافتتحت مدارسها وعينت بنشر الثقافة الغربية⁴.

¹ ينظر، علي حسن الخربوطل، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص81.

² ينظر، محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، آثاره ومدارسه، مرجع سابق، ص8-9.

³ ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، النشوء والتأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2016، ص15-16.

⁴ علي حسن الخربوطل، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص84.

ساعد العامل الجغرافي وقرب المسافة بين الشرق و الغرب في الاتصال المباشر وتنشيط فعل التأثير والتأثر بين الطرفين، ومحاولة الطرف الغربي الوصول إلى أكبر معرفة واستثمار أي فرصة سواء ذلك بالاعتماد على الرحلات العلمية أو التجارية أو أي وسيلة تواصلية تحقق له التقدم والحصول على الأثر الجديد الذي يدفع حركة الاستشراق إلى الأمام والاطلاع بصورة أكثر على الإرث الشرقي و الأدبي منه.

وفد إلى حاضرة المسلمين -بغداد- وكذلك غيرها عشرات من كتّاب الكنيسة لينهلوا من علوم الإسلام ويصلوا إلى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجموها بعدئذ إلى لغاتهم وخاصة اللاتينية، لغة الكنيسة أنداك لتعتمدها في نشر أفكارها ويمكن عدّ رحلاتهم كموجة استشراقية أولى بالمعنى الذي نقصده، فقد تعلموا خلالها العربية ونقلوا علومها إلى شعوبهم¹.

ويشير المنجد إلى أن الرحلات التي قام بها الأوروبيون إلى بلاد الشرق، كان لها أثر بارز في تاريخ الاستشراق، ودورا لا يستهان به في إيقاظ الرغبة في مشاهدة لتلك البلاد ودراسة ما يتعلق بتاريخها وحضارتها مع تأكيده على نصيب الألمان في تلك الرحلات وعرضه لنماذج من المستشرقين الألمان ممن قاموا برحلات في الشرق بما فيها البلاد العربية ومن أشهرهم: كارستن، نيبور، وأولريش زيتشن، ويوهان لدفيج ايكهارت، فقد كان هؤلاء مساهمة كبيرة في تحسين وضع الاستشراق في أوروبا جعله موضوعا دراسيا خاضعا للبحث العلمي بدلا من التعصب و الخرافة².

أدب الرحلة ساهم بالشكل الذي وجّه وأثرى الفكر الاستشراقي وكان عينيه التّواصلية في البلاد الشّرقية، الذي يعكس مختلف الصّور والتطورات سواء كان ذلك بأقلام هاوية أو مختصة في علوم وآداب شتى.

¹ سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص14.

² ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ج1، ط1، 1978، ص79-92.

تاريخ الاستشراق الألماني:

في الشأن الألماني يذكر أن الاستشراق قد انتعش مع حركة القسّ الألماني مارتن لوتر الذي سبق القول عنه إنّهُ تأثر في حركته بالقرآن الكريم، حيث هبّت مجموعة من المفكرين الألمان لمؤازرته في حركته، وذلك بالرجوع إلى الثورات، ثم انتقل الاهتمام من الثورات واللغة العبرية إلى اللغة العربية، وقيام مراكز تعليم اللغة العربية في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي¹.

وهناك من يقول أن الجذور الأولى لاتصال ألمانيا بالشرق والعرب والمسلمين تعود إلى أيام الحملة الصليبية الثانية سنة (1147، 1149م) التي قامت بها أوروبا ضد الشرق العربي الإسلامي عند نهاية العصور الوسطى (سبع حملات عسكرية) تصدى لها العرب المسلمون كل من السلاجقة والزنكيين، والأيوبيين، والمماليك، فقد الألمان حينها من المشاركين في الحج (حج المسيحيين) إلى الأراضي المقدسة بالقدس، حيث قدّموا وصفا دقيقا لهذه البلاد ونقلوا بعضا من حضاراتها بعد عودتهم منه، كما شاركوا الرهبان في الترجمة عن العربية في الأندلس.

وفي القرن الرابع عشر والخامس عشر ميلادي انعقدت النيّة في إنشاء كراسي لدراسة اللغات الشرقية في ألمانيا، كانت تلك النيّة متزامنة مع إنشاء الجامعات الألمانية التي تأخر تأسيسها في ألمانيا عن بقية بلدان أوروبا²، وهناك وجهة نظر أخرى تذكر أن البدايات الحقيقية لتأثر الألمان ثقافيا بالعرب يرجع إلى ترجمة المباشرة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية والتي تمت سنة 1694م، عندما أصدر قسيس من مدينة هامبورغ يدعى هينكلمان الطبعة الأولى، فأيقظ بعمله هذا اهتمام الغرب بالإسلام والعرب، وما قبل ذلك من اتّصال بين الشرق والغرب، لاسيما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، وكان طابع الاتصال هذا قد سيطرت عليه الحروب

¹ رياض هاشم هادي، الحركة الاستشراقية دراسة تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص 25-26.

² عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق، مفاهيم صلات جهود، ط1 (د.ت. د.م)، ص 435.

الصليبية، و التي انطلقت من ألمانيا نفسها، وكان يخضع لرقابة شديدة من الكنيسة، ولم تظهر أبحاث الاستشراق الحرّة إلى من خلال التغييرات الفكرية التي رافقت القرنين الخامس عشر والسادس عشر¹.

في القرن السادس عشر والسابع عشر أخذ الغرب يضاعف من اهتمامه بالثقافة العربية والإسلامية ويطبع الكتب العربية وينشئ مدارس من علومها ويقوم كراسي في جامعات الغرب للاهتمام بالمصادر العربية، تحقيقا لها وخدمة لها وكشفا عن كنوز المعرفة في تراثنا، في وقت الذي كان فيه العالم الإسلامي غافلا عن كل ما حوله، مستسلما لواقعه، راضيا بتخلفه، إلا أن هاذين القرنين يعدان "مرحلة في تاريخ الاستشراق الألماني إذ يمكن فيها تشخيص سمات واضحة للاستشراق في ألمانيا لأن الدراسات الشرقية في وقتها لاقت اهتماما واضحا خلال هاذين القرنين وبالأخصّ القرن السادس عشر، من خلال المساعي العلمية التي قامت بها شخصيات ألمانية كان لها دور تأسيسي لتلك الدراسات، وعرفت تلك الشخصيات باسم: أساتذة اللغات الشرقية ابتداء عمل هؤلاء الأساتذة بتعليم اللغات العبرية لدارسي اللاهوت مع إعطاء محاضرات في تفسير التوراة، إضافة إلى تعليم العربية والسريانية وغيرها من اللغات السامية².

وكان دور الاستشراق الألماني في هذه الفترة التاريخية إيجابيا، خدم الثقافة العربية، وشجّع حركة البحث والنقد، وسعى في تطوير مناهج الدراسات الإسلامية واستطاع المستشرقون أن يعرّفوا الغرب بالتراث العربي الإسلامي، وأن يصحّحوا كثيرا من المفاهيم الخاطئة عن هذا التراث، وبالرغم مما كان المستشرقون يحملونه في أعماقهم من عداوة للحضارة الإسلامية فإن معظمهم كان يحرص على الموضوعية، أو على الأقل يتظاهر بالموضوعية والحياد و الأنصاف، وهذا موقف جدير بأن يكون في مواطن التقدير والثناء، ومما لاشكّ فيه أن حركة الاستشراق أيقظت النشاط العلمي في العالم العربي، وأسهمت في تقديم مناهج البحث وتشجعت على تكوين مدارس للبحث

¹ مصطفى ماهر، حوار بين الألمان و العرب، الأسبوع الثقافي العربي في تونس لعام 1974، الهيئة المصرية للكتاب 1976، ص 306.

² هاشم إسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفد ديتريش فيشر، (د.م)، ط 1، 1994، ص 11.

العلمي وإنشاء كراسي متخصصة في المعاهد و الجامعات العربية، دفعت بها إلى التعرف أكثر والاحتكاك بالشكل الأمثل والأجمع¹.

كان تحرك المستشرقين الألمان العملي لدراسة الشرق في هذا القرن متكئا على مخطوطات مكتبة بوستل في مدينة فالس و التي أصبحت أساسا مهما بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية في ألمانيا²، ولمع الكثير من المستشرقين الألمان في هذا الوقت أمثال كريستمان الذي ألف كتاب لتعليم حروف اللغة العربية وأنشأ مطبعة لطباعة هذا الكتاب بحروف خشبية، وعمانوئيل ترميليوس الذي حاول دراسة الشرق من خلال كتابة في قواعد اللغتين الكلدانية والسريانية وترجم الإنجيل والتوراة إلى اللغة اللاتينية تلميذة فاي يوليوس الذي ترجم الكتاب المقدس.

وإذا تقدمنا في الزمن أكثر الأهداف على حالها لا تتغير، فيذكر الباحث الألماني هوبرت هير كומר أن مارتن لوثر تدخل لرفع الحظر الذي فرضته بلدية "بازل" السويسرية على طبع ترجمة لاتينية للقرآن الكريم أتمها يوحنا أوبرين لسنة 1542م، وعبر لوثر عن حجته يقول: "لقد استيقنت أنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجا لمحمد أو الأتراك، ولا أشد ضررا من جميع أنواع الأسلحة من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أي كتاب بغيبض وفضيح وملعون هذا القرآن... مليء بالأكاذيب والخرافات و الفضائع³.

في القرن السابع عشر ظهر مستشقا بارزا في ألمانيا جرومانوس الذي وضع معجما عربيا لاتينيا بعنوان: Iginguance arabical.com fabric (لاتينية إيطالية)، وظل هذا المعجم مستعملا حتى منتصف القرن التاسع عشر رغم رداءته، كما ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية.

وكان كريسمان المتوفى سنة 1613م، أول مستشرق ألماني قد اهتم بتدريس اللغة ووضع فهرسا مختصرا لمجموعة من المخطوطات التي اقتناها أحد النبلاء الألمان، وفي عام 1975م عين كرستيمان أستاذ بجامعة

¹ ينظر، محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه آثاره ومدارسه، مرجع سابق، ص 18-19.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج1، مرجع سابق، ص15.

³ قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، مجلة عالم المعرفة، رقم 149، مايو، 1990.

هايدلبرك، اقترح إنشاء كرسي للدراسات العربية... وكان رايסקه أول مستشرق ألماني يوقف حياته لدراسة اللغة العربية و الحضارة الإسلامية¹.

وفي منتصف القرن الثامن عشر -على سبيل المثال لا الحصر- كتب العالم الألماني سبتزن يقول: "إن رغبتني في زيارة العالم العربي وإفريقيا، قد ازدادت أكثر فأكثر وقد وجدت أن الشرقيين بشر مثلنا"²، ففي هذا القرن الدراسات العربية في ألمانيا الاتحادية لم تبدأ منذ زمن مبكر في سائر الدول الأوروبية ولم تنشط إلى في القرن الثامن عشر.

وفي القرن نفسه دشنت أول طبعة للقرآن الكريم بحروف عربية، وما تزال توجد منها نسخة في الوقت الحاضر، كان القائم على تلك الترجمة ابراهام هنلكمان في مدينة هامبورج بألمانيا، وتم طباعتها في مطبعة chillebiana Shultgios سنة (1694م) وتقع في 560 صفحة، وفي برلين نشرت مختارات من القرآن الكريم باللغة العربية والفارسية والتركية واللاتينية سنة 1702م قام بنشرها أندريا أكلولوثوس اللاهوتي و أستاذ اللغات الشرقية في براتسلافا وتقع في 57 صفحة من قطع الورق وعنوانها باللاتينية:

coramquadrlingisarabici, persici, turcici, Alcoranca, sivespecimenal latin³.

كما أن سلسلة المؤتمرات الاستشراقية قد بدأت سنة 1873م، قد كانت هناك اتصالات واسعة بين المستشرقين وشبكة من المراسلين في شتى أنحاء العالم وكان جولدزيهر يوصي المستشرقين قائلاً:

Always answer letter, and attend the congress of orientalis¹.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص1.

² نسيم مجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند (ادوارد سعيد، حسن حنيفي، عبد الله العروي)، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2005، ص68.

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984، ص439.

شهد القرن الثامن عشر في ألمانيا ظهور تيارين ثقافيين ومستقلين ومتواصلين في الوقت نفسه هما: تيار الرومانسية، وتيار التاريخانية الأكاديمية،² التيار الرومانسي المصاحب للعاطفة والتروعة والخيال حيث كتب الشاعر الألماني غوته في عام 1774م قصيدته الرائعة "نشيد محمد" وكذلك الديوان العربي الشرقي الذي قال فيه: "من يعرف نفسه والآخر يعرف هنا أيضا أن الشرق والغرب لا يمكن أن يتفرقا"³.

أما عن التاريخانيات الألمانية والهولندية، و الفرنسية هي التي بلورت... المعالم الأولى للاستشراق بمعناه العلمي، وكان الهولندي **توماس أربينيوس** (1584م-1624م)، قد قام بتأليف كتاب في النمو العربي باللغة اللاتينية، ظل معتمدا طوال حوالي قرنين، وازداد تأثيره في الألمان عندما قام الألماني "ميخائيليس michaelis" عام 1771م بترجمته إلى اللغة الألمانية⁴.

لا ننسى الرحلات الألمانية والاحتكاك المباشر بالأوطان العربية و شعوبها، أثر بشكل كبير في الرحالة الهواة والأدباء الذين وصلوا إلى هذه الأماكن وتأثروا بالتنوع الثقافي والأدبي والمعماري والعقائدي وغيره، فكان لهؤلاء دور كبير في التعرف على الشعب العربي والمداخل التي يمكن الاستفادة منها من قبل الغرب، و من أشهر الرحالة الألمان الذين رحلوا إلى الجزيرة العربية (نيبور) الذي كتب ثلاثة مجلدات روى فيها مغامراته ونتائج جولاته ورحلاته بعد أن عاد إلى أوروبا عام 1767م.

والمدقق في نشأة الاستشراق وتمرحله التاريخي ليس بحاجة إلى عناء كبير ليكشف كيف اتسعت مجالاته طورا بعد طور، على خطّ متواز مع نهضة الغرب العلمية ذلك أن صلة أكيدة تربط بين البحث الاستشراقي كميدان لتمريبات فكرهم على الأقل، ما ابتدع من مناهج وطرق هي على علاقة جدلية دائمة مع حقل اختبارها، وفي هذا السياق لم يعد سحر الشرق ولا براءته ملاذا للهرب من ضجيج مدينة الغرب في توليف حضارته التي تبقى غير

¹ محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، القاهرة، ص32.

² رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص25.

³ إبراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، بيروت، 1996، ص29.

⁴ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 16، 17.

مفهومة، ما لم يبحث المستشرقون عن مكوناتها وبعض أصولها المتجذرة في تربة الشرق المنهوبة على أكبر مخزون تاريخي من المعارف البشرية جمعاء¹.

إنّ أدب الرحلة خاصّة في هذه الفترة من الاحتكاك الألماني مع الشرق كان عائقا بروح السرد القصصي و الحكيم، لما في جعبة الآخرين من مفارقات وعجائب احتلت في الخيال الحيز الذي كانت تشغله الأساطير القديمة في أذهان الأوربيين لذا يجب الاعتراف بفضل هؤلاء القلة من الرحالة، الذين قضوا معظم وقتهم لافي توظيف حكايات عن السحر والجنّ، إنّما في العمل والتفرغ لكشف الرموز والاقتراب أكثر من الواقع والمنطق والحقيقة التي كانت موجودة في الشرق.

إنّ البحث في المنطلقات التاريخية لحركة الاستشراق يميلنا إلى البدايات التي سبقت ظهور الاستشراق التقليدي أواخر القرن الثامن عشر إذ أنّ تدقيق في زمن الاستشراق يقحم الباحث في نقاش حيثيات تبعده عن التحديدات التاريخية، لتجعله ينتهي عند قضايا سجالية ساخنة حول دوافع الحركة الاستشراقية، مراحلها، تفاعلاتها، نتائجها... إلخ².

ومن برز من المستشرقون في هذا القرن بالإضافة إلى **جوهان ميخائيليس**- كما سبق الذكر- نجد: **يوهان جاكوب رايسكه** أنموذجا بارزا في هذا القرن، حيث قام بجولة في هولندا لمراجعة المخطوطات العربية في جامعة لندن (1838م) وكان ذا رغبة بدراسة الشعر العربي وبالأخص القديم منه، "فأثبت أنّ اللّغة العربية مستقلة في التاريخ خلافا لما يراها المستشرقون بأنّها مجرد لغة إضافية من أجل دراسة العبرية، وأنّها تحمل قيما أخرى غير القيم اللّغوية"³، كما نقل في سنة 1739م، أشعار جريرة، واهتم بشكل خاص بقصائد العرب الشهيرة في عصر ما قبل الإسلام، وبالمعلقات التي عكف على دراستها مع شروح يحيى بن علي التبريزي، ومحمد بن إبراهيم المعروف

¹ نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص75.

² المرجع نفسه، ص 73.

³ أحمد حسن عبد السلام، تاريخ الاستشراق الألماني، مجلة الفكر العربي، العدد 31، السنة 5، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983، ص194.

بابن النحاس، ووقع اختياره أخيراً على أطولها في معلقة طرفة بن العبد¹، كما نشر رايسكه المقامة 26 بالعربية واللاتينية وذلك في سنة 1737م.

وعلى مشارف القرن التاسع عشر تبلورت المعالم الأولى للاستشراق الألماني بمعناه العلمي الموضوعي الواضح المعالم و السبيل، وحفل بالتقدم في دراساته الشرقية وتنوع بين دراسة اللغات وجمع وتحقيق النصوص القديمة ثم دراسة جغرافية للبلاد الشرقية والاهتمام بالتاريخ وأصوله المعرفية وجذوره وواقعه الاجتماعي والثقافي وحتى السياسي، ودور الدين في كل هذه المجالات ومن مظاهر ذلك استحداث كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية وبوتيرة متسارعة.

ففي هذه الفترة بدأ الاستشراق يتبلور ويأخذ أبعاداً مهمة في الجامعات الألمانية على أثر معطياته العلمية، وتعددت الموضوعات التي يدرسها، حيث كانت محاولات الخروج من ضغوط رجال اللاهوت على أشدها في ذلك الوقت، بعد أن أخذت الاختصاصات العلمية الأكاديمية حيزاً كبيراً في جامعات ألمانيا على حساب الدراسات اللاهوتية، وكان لقسم من المستشرقين محاولات لإظهار القدرات العلمية أكثر شمولية كما هو الحال مع المستشرق فيدهام الذي أبدى اهتمامات شملت إلى جانب الاستشراق اللغة الإنجليزية أيضاً وفي مقال... دعا إلى البدء بتعليم العربية السهلة، بدلا من العبرية الصعبة، و يعد أول من ألقى محاضرات حول القرآن الكريم في أرنلجن، و إلى جانب الدراسات العبرية عالج فيدهام في المقالات العديدة التي نشرها موضوعات في الفلسفة و العقيدة المسيحية وعلم الطبيعة².

وأما ما ذهب به جورج مقدسي بأن القرن التاسع عشر هو الذي شهد ميلاد الدراسات الإسلامية في الغرب فإنه يحمل على أن هذا القرن قد شهد نهضة كبيرة في الدراسات الاستشراقية، وقد ساعدت الحكومات

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 112.

² هاشم إسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية مهداة إلى المستشرق فريدريش فيشر، ط1، 1994، ص12-13.

الأوروبية الاستشراق طمعا للحصول على خدمة الأخيرة لأغراضها الاستعمارية، وفي هذا القرن تأسست الجمعيات الاستشراقية¹.

ومن دلائل بدايات الصّلات "رحلة القيصر وليم الثاني إلى إسطنبول عام 1889م وموافقة السلطان عبد الحميد الثاني على سكة حديد بغداد فتحا للباب أمام الانغماس الاقتصادي الألماني واسع النطاق في الإمبراطورية العثمانية، وتبع ذلك اتفاقية تجارية رسمية عام 1890م حيث سعت الدولة الألمانية ووكلاء اقتصادها إلى دمج أجزاء من الإمبراطورية العثمانية في منطقة النفوذ الألماني في الفترة التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى"²، فقد كانت هذه العلاقات أقرب إلى نوع الاستشراق، باعتبار التعاون الاقتصادي بين الجهتين يبعث إلى تبادلات معرفية أخرى خاصة في المجال علمي والأدبي الذي يؤكد استمرارية ونجاح العلاقة الاقتصادية و الاتفاقيات السياسية.

كما أدت المكتبات الألمانية دورا كبيرا في تطوير الدراسات الشرقية، وكانت هذه المكتبات على قسمين:

الأول: ألحق البلديات، وتبلغ سبعة آلاف مكتبة.

الثاني: تابعا للكنائس وبلغت إحدى عشر مكتبة.

وعدّت مكتبة برلين الوطنية، ومكتبات جامعات: جوتنجن، وهايديلبرغ وماينس، من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية لاسيما العربية، وقد قرّر مجلس العلوم الألماني توسيعها وإنشاء مثيلاتها للمعاهد والتنسيق فيما بينها للحيلولة دون تكرارها، كما أقيم متحف للفن الإسلامي في برلين عام 1904م احتوى على مصحف نادر من القرن السادس عشر ميلادي مكتوب بالخطّ الفارسي³.

¹ محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص32.

² محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة الاستعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص32.

³ نجيب العقيلي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب من تراجم المستشرقين و دراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، ط5، ج2، 2006، ص 343.

قام المستشرق **مارتين هارتمان** بتنبية الأذهان إلى أهمية دراسة العالم العربي الحديث فأسس الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية عام 1912م، وقد سبقت هذه الجمعية الألمانية التي تأسست عام 1745م، ولا تزال هذه الجمعية إلى اليوم تواصل نشاطاتها بالقيام بالدراسات الشرقية في ألمانيا وعقد المؤتمرات وإصدار النشرات و تنبيه الرأي العام الألماني إلى أهمية الدراسات الشرقية والدعوة إلى رعايتها¹.

وهذا وقد تغلغل الاستشراق الألماني في الدول الشرقية وبالأخص العربية منها من بوابة مصر ومن صورها هنا التغلغل في الوطن العربي هو ذلك "الاتفاق الذي عقد بين مصر والدول الأوروبية عام 1870م، بأن يكون مدير المكتبة الخديوية بالقاهرة عالماً ألمانيا، و كان أول مدير لها هو المستشرق **شتيرن**... وعندما تأسست الجامعة المصرية على يد الأمير **أحمد فؤاد** عين المستشرق الألماني **ليتمان** أستاذ اللغة العربية فيها عميداً لكلية الآداب 1910-1912م، وجاء بعده للتدريس في الجامعة المصرية مشاهير المستشرقين الألمان أمثال: **برجستراير**، و**شاده**، و**شاخت**... وغيرهم"².

كان **فريدريش روكرت** أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أولانجن، ووضع كتاباً في قواعد الشعر و البلاغة عند الفرس، وجمع كذلك فنون الشعر وعلوم اللغة وعمل سنوات عدّة في نسخ ما توفر لديه من الكتب والمخطوطات الشرقية والاقتباس منها، وكان متأثراً ومولعاً بالشاعر الصّوفي **جلال الدين الرومي** وترجم له مجموعة من المتون وأشعار هذا الشاعر.

وكان في برلين معهد للدراسات الشرقية قبل الحرب العالمية الثانية وأعيد فتحه في بون عام 1959م ووظيفته تعليم اللغات الشرقية الحيّة ولهجاتها، وتدريس الحضارة الإسلامية وكانت الشعوب الإسلامية والشعب العربي وخاصّة ما اتّصل منها بالتاريخ الحديث والأوضاع الراهنة في الوطن العربي³.

¹ سعدون الساموك، الاستشراق و مناهجه، مرجع سابق، ص 116، 117.

² ينظر، ألبرت ديتريش، ص 32، عن سعدون الساموك، الاستشراق و مناهجه، مرجع سابق، ص 118.

³ ألبرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي فيزيادان 1967، ص 30-39-42.

وسعيًا من الألمان في الاحتكاك من الآداب والعلوم الأخرى للبلدان الغير مسيحية وخاصة الشرقية وذلك تزامنا مع ظهور الدراسات الأدبية المقارنة في نهاية القرن التاسع عشر والتواصل المعرفي والأدبي وفكرة التأثير والتأثر بين البلدان، بعدما كان المجتمع الألماني منغلقا على نفسه - نوعا ما- فالثورة على الأمية في ألمانيا ألقت بظلالها على تنوع الاختصاصات في البيئة العلمية الألمانية بما في ذلك الالتفات إلى الثقافات الأخرى، ومنها الإسلامية، والإقبال عليها وعلى موروثها العلمي، بالجمع والحفظ، والدراسة والتحقق، والترجمة، والفهرسة، والتكشيف، والتشريح، فحاء الاستشراق الألماني وظهرت مؤسساته¹.

في القرن التاسع عشر كذلك وقعت أحداث أخرى كانت بمثابة قوة دفع للإستشراق والإستشراق الألماني بالأخص، فقد أصبحت مصر دولة شبه مستقلة تحت حكم محمد علي الذي كان يبذل كل ما في وسعه ليرتفع بهذه الدولة إلى مستوى الدول الأوروبية ويواكب النهضة العلمية والأدبية فيها، وقد شارك بقواته في إخماد نار الوهابية الإصلاحية، وأرسل أول بعثة علمية من الأزهرين إلى فرنسا، وكان أصحابها بمثابة نقطة تحول في نهضة العالم العربي ونهضة علم الاستشراق، في الوقت نفسه، وشرع محمد علي في إنشاء المعاهد والمدارس وجاء بعلماء من أوروبا وأدباء من ألمانيا للتدريس فيها، وفي فترة حكمه لمصر توافد عليها عدد كبير من المستشرقين وبالأخص الألمان منهم حيث كانت بصمتهم الأدبية واضحة في تدريس اللغة العربية واشتهر الألمان كثر وتقلدوا مناصب عدة في جامعة مصر، فقد رأى محمد علي أن هذا التواصل المعرفي يحقق الغايات الكبرى التي يسعى إليها لتطور مصر والبلاد العربية².

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ارتبطت نشاطات المستشرقين بالتطورات الاقتصادية والسياسية الجديدة عندما بدأت الرأسمالية تنمو نموًا حثيثًا وتحول نظام المنافسة الحرة إلى نظام الاحتكار، وتقسيم مناطق العالم إلى مناطق نفوذ مباشرة وغير مباشرة واستلزم الأمر التأثير في الثقافة عن طريق تطويعها وتوجيهها لارتباطها بالتاريخ

¹ علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق الألماني بين التميز والتحيّز، مكتبة بيسان للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص80.

² ينظر، أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص83-84.

والدين والحضارة من أجل التحكم في بعض اتجاهاتها المستقبلية عن طريق مؤسسات البحث العلمي والتربوي وغيرها¹.

وهناك ثلثة من المستشرقين الألمان الذين ساهموا في تطور الاستشراق في هذه الحقبة منهم أوكست ديلمان الذي أسس فقه اللغة الحبشية الجديد ودرس المخطوطات الأثيوبية ووضع فهرسا لوصف هذه المخطوطات، وكذلك جاكوب بارث من مؤلفاته اللغات السامية.

وله في ميدان الدراسات العربية، كتاب: الفصحى و ديوان القطامي، وصحح بعض النصوص العربية، و فليشر الذي قدم أبحاثا جمة في المكتبة الملكية الغنية بالمخطوطات الشرقية، وعاش في مصر فترة معتبرة وتعلم على يديه الكثير من الطلبة المصريين الذين أوفدهم محمد علي للتزود بالثقافة الأوروبية، وعمل أستاذا للغات الشرقية، وهو من أبرز المستعربين الأوروبيين.

ونجد كذلك هنريخ أوارد وتيودور نولدكه وفلهاوزن وفلهالم جايجر، كلهم مارسوا الأستاذية في الجامعات الألمانية لتدريس اللغات الشرقية، وصولا إلى كارل بروكلمان الذي قدم الكثير حول تاريخ الأدب العربي والعلوم الشرقية.

وقد نشطت أعمال الفهارس بشكل واضح في القرن التاسع عشر بسبب كثرة المكتبات وتنوع عناوينها، ففي مكتبة جوتنجن وضع بيرتش، الذي يعدّ من علماء المخطوطات وكبار مفرسيها فهرس لمخطوطاتها سنة 1878م، وصنف فيها 2891 مخطوطا، وفي مكتبة مدينة "برسلاو" وضع بروكلمان فهرس لمخطوطاتها من العربية والعبرية والفارسية والتركية سنة (1900م)، ومكتبة جامعة بون وضع فهرس لمخطوطاتها جيلد مايستر سنة 1864م، وضع فلهام ألفرد فهارس مكتبة الدولة ببرلين في عشرة أجزاء وفي محاولة استهدفت تسجيل كل

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 08.

الكتب الصّادرة، أو التي لاتزال تحت الطّبع، العربية والفارسية والتركية، قام تيودور زنكر بوضع معجم للشخصيات العربية والتركية في مجلدين عام 1876م¹.

ولا يمكن في هذا السّياق المرور دون ذكر الجذر الفيلولوجي لعلم الشرق دي ساسي "هذا ما بزغت غصونه في ألمانيا، مهد التّاريخانية، بل في فرنسا وعلى يد رجل واحد سعى إليه المستشرقين الألمان الأوائل في الربع الأوّل من القرن التّاسع عشر، إنّهُ سلفستر دي ساسي (1758-1838م) الذي تولّى إدارة مدرسة اللغات الشرقية الحيّة التي أنشأها الثورة الفرنسية (1795م) لمنافسة الجامعات البريطانية العريقة، في عمليات الصّراع على الشّرق"².

كان لظهور المستشرقين الألمانين نولدكه و بروكلمان في نهاية القرن التّاسع عشر الميلادي دور في نقل مستوى الدّراسات الشّرقية والارتقاء بها إلى المنهجية الرّاقية التي تتناسب ومستوى هذه العلوم، بما تركاه من أعمال بقيت معتمدة إلى هذا اليوم، وقد استمر نشاطهما إلى أواسط القرن العشرين الميلادي، لذا كان تأثيرهما على الدراسات الشرقية كبيراً، فأعمال نولدكه التي استمر بها من بعده تلامذته، قد تركت أثراً كبيراً في مسيرة الدراسات الشّرقية، وتركت صبغتها على مدرسة الإستشراق الألمانية وكانت أهم هذه الأعمال: (أصل وتركيب سور القرآن الكريم)، وهي رسالته التي نال عليها جائزة مجمع الكتابات والآداب في باريس عام 1858م وترجمتها إلى الألمانية ونشرها بعنوان: (تاريخ النص القرآني)، وله أعمال أخرى منها (في سبيل فهم الشعر الجاهلي) عام 1864م وقواعد إحدى اللهجات الآرامية عام 1875م³.

ومن أبرز أعمال كارل بروكلمان (كتابه تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الستة، الذي يعد المرجع الأبرز والمهم في المخطوطات العربية وأماكن تواجدها، فقد "عرض في كتابه تراجم العلماء والأدباء، في العصور

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 256.

² رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 18.

³ نجيب العقيلي، المستشرقون، ج 2، مرجع سابق، ص 379، 380.

الإسلامية، وذيل كل ترجمة بمصادرها، ووصف الكتب وميزاتها، وتاريخ طبعها، ومكانها في الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوروبا وفي غيرها....، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجامع علمية أخرى كثيرة، وقد حرر مواد كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية ودراسته وبحوثه في التاريخ واللغة والأدب، واللغات السامية، غزيرة ووفيرة"¹.

أصيب الاستشراق الألماني بانتكاسة كبيرة عند مجيء النازية إلى الحكم فترك أغلب المستشرقين البلاد وذهب القسم الأكبر منهم إلى الجامعات الأمريكية، مما أعطى الدراسات العربية والإسلامية فيها دفعا قويا، وجاءت الحرب العالمية الثانية (1939-1945م)، ليشهد الاستشراق الألماني ركودا آخر، وبعد انتهاء الحرب أخذ يستعيد نشاطه من جديد وهنا حدث شيء جديد ألا وهو تقسيم ألمانيا إلى قسمين غربية وشرقية، فأصبح الاستشراق يركّز على الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية وعلى مواضع حديثة أخرى لم يكن قد عرفها سابقا².

أما في مجال الفهرسة في منتصف القرن التاسع عشر "لوحظ أن النقص على أشده في وسائل الفهرسة، ليس في مجال الدراسات العربية وحدها بل في الدراسات الشرقية عامة، ما إن سجل شنورد في تصنيفه (المكتبة العربية) كل شيء تقريبا، وبلغ الرقم 500 وهو ما كان مطبوعا من النصوص العربية في أوروبا حتى العام 1810م، حتى ارتفع عدد النصوص وما يتصل بالأدب في هذه الأثناء بنمو كبير والفضل في ذلك يعود إلى المطبوعات الشرقية التي لم تفتقر"³.

كما اشتغل عمل الطباعة البيبليوجرافي في هذه الفترة عند المستشرقين الألمان ومن أبرزهم **فكتور شوفان** الذي سخر سنوات من عمره في هذه العملية "وبعد عمل تمهيدي استغرق عشرين سنة، وحوالي 7000 مجلد

¹ محمد محمود الطنجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1984، ص260.

² رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص09.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص256.

للصحف، بدأت الطباعة في سنة 1892م، وفي المجلدات التسعة الأولى عالج من حيث الجوهر أدب السمر الشعبي العربية، (الأمثال المجلد الأول)، كليلة ودمنة مع معالجتها (المجلد 2) الأساطير وروايات الفروسية (المجلد 3)، ألف ليلة وليلة (المجلد 4 و 5)، سندباد، والدراسات حوله (المجلد 6) وأخيرا عدة مجموعات من الأحكام والأقوال المأثورة¹.

وخلال القرن العشرين قد جرت أحداث هامة أدت إلى تحولات خطيرة في العالم العربي، وفي الإستشراق كذلك، حيث أضرمت نار الوطنية عند العرب واشتدت الدعوة للإصلاح، وظهرت الروح الثورية التي استمدت عناصرها من ثورة "أحمد عرابي" وأنشئت بالقاهرة الجامعة الأهلية التي احتضنت عددا من المستشرقين الذين تولوا الدراسة فيها وخرجوا دفعات من الطلاب العرب واندلعت نيران الثورة المصرية الكبرى، وفي عام 1919م، عادة العناصر التقدمية من الخارج مسلحين بأفكار حديثة وملتهبين حماسة للوطن والعروبة والإسلام، ودارت مناقشات حامية بين الثائرين والعناصر الأخرى التي كانت تحالفهم في أسلوب العمل لتحقيق الاستقلال ومهما يكن، من أمر فإن الثورة على المستعمر والمعارك السياسية الداخلية نهضت بالعالم العربي وقدمت أجياله السابقة في مئات السنين².

الحركة الاستعمارية الأوروبية على عموم الدول العربية سهّلت من العمل الاستشراقي في الاستفادة والاتصال المباشر بالتراث العربي والعرب أنفسهم، لكن الاستشراق الألماني لم يساهم في هذه الحركة، لكن من المفكرين العرب لم يبرؤه لأنه - في اعتقادهم - ذلّل الطريق للبلدان الأوروبية المستعمرة للولوج إلى هذه البلدان بعد الإطلاع على فكرهم ونمط عيشهم وثقافتهم وعاداتهم من خلال بعض المستشرقين الألمان الرحالة وغيرهم ممن احتكوا بالبلدان العربية وتأثروا بها وكتبوا عنها وعن مجتمعاتها، ويبقى القصد هو الفيصل في الحكم، لكن الدول

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 257.

² أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 85-86.

الاستعمارية الأوروبية استفادة من هذا الموضوع بالشكل الذي يتناسب وأطماعها التوسعية والسلطوية على الشعوب الشرقية.

وخلال ستينيات القرن الماضي تزايد عدد المستشرقين الذين أدركوا ضرورة الانفتاح على موضوعات جديدة بخاصة في جامعتي برلين وهامبورغ¹، ولقد وصف أوجين فيرت حالة الاستشراق الألماني بقوله: "يقتصر محراب المعبد على فيلولوجيا اللغات السامية وهي الوحيدة التي تحظى من المستشرقين بالبحث الجاد بينما ينشغل التاريخ والدين والقانون الإسلامي بالحجرات الخارجية للمكان المقدس وعلى عتبة أبواب المعبد يقف الاقتصاد والتاريخ الاجتماعي والجغرافي والحضارة المادية للشرق الأوسط الإسلامي"².

كان للدراسات الإستشراقية الألمانية نصيب من التخصص والمعاصرة في القرن العشرين إلى طبيعة الموضوعات التي تناولتها قياسا بالقرون الماضية، وعلى يد أعلام هذا القرن من المستشرقين الذين عملوا على دراسة الموضوعات المرتبطة بالعصر الحاضر، ففي هذا الصدد يشير المستشرق الألماني أودو شتاينباخ في دراسة عن (مؤسسات البحث والمعلومات عن الشرق المرتبط بالعصر الحاضر في ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية) إلى بداية جديدة في علم الشرق المرتبط بالحاضر بعد عام 1945م خاصة في الجامعة الحرة في برلين الغربية³.

إزالة حائط برلين الذي كان يفصل الألمانيتين (الشرقية والغربية) وتطور الألماني وانفتاحه على الدول الأخرى بما فيها الأوروبية وغير الأوروبية وتطور مناهج البحث العلمي ووسائل الاتصال، انعكس إيجابا على الإستشراق وقدم له تلك الدفعة الإيجابية وظهرت ثلة من المستشرقين الألمان المحدثين كان لهم من الاحتكاك مساهم في تغيير-نوعا ما- من فكرة الاستشراق لدى العرب والبلدان الشرقية بصفة عامة من بين هؤلاء ياكوبي و آنا ماري شميل كانت لهم نظراتهم الخاصة للشرق العربي والإسلامي وتجربتهم تبلورت في أعمال أدبية وفكرية أثرت المكتبة

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 09.

² إبراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، بيروت، 1996، ص 90.

³ أحمد محمود هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه و توجهاته المستقبلية، تقدم: محمود حمدي زقزوق، مراجعة: فهمي حجازي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 2000، ص 16-17.

الألمانية، زيادة على النصوص القديمة والمعاجم والمخطوطات وغيرها، هذا النمط الجديد من التأثير الغربي بالشرق والألماني تحديداً تعكسه طبيعة المؤثرات والعودة التي كان لها التأثير القوي في النظرة المختلفة والمنهجية المغايرة في التأثير بالشرق وعلومه وحتى شخصياته المعروفة عبر الزمن وحاضراً.

تعدّ جمعية المستشرقين الألمان من أبرز الجمعيات الإستشراقية في العالم، أسّسها المستشرق **فلاشير** 1961م في مدينة "هاله" على غرار الجمعيتين الفرنسية والإنجليزية، ومازالت حتى يومنا هذا تواصل نشاطها في جمع شمل المستشرقين الألمان ودراسة التراث العربي الإسلامي ومعرفة كنوزه، وأيضاً تأسس المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت عام 1961م وهو تابع للجمعية الاستشراقية، ويعدّ أول معهد يتم تأسيسه خارج ألمانيا، وأول مدير للمعهد كان **هانس روبرت رويمر** وفيما بعد تعاقب على إدارته آخرون كان من بينهم مستشرقين وهو يضم مكتبة ضخمة، ويقوم بنشر سلسلة من كتب تعرف باسم نصوص ودراسات بيروتية صدر العدد الأول منها عام 1964م، وكانت دراسة عن اللهجة اللبنانية¹.

من أبرز المستشرقين الألمان في القرن العشرين كذلك نجد **هلموت ريتز** من بين أعلام اللغة العربية الألمان معرفة وتدرّيساً ولا يقلّ شأناً عن **نولدكه** و**بروكلمان** وإتقانه ومعرفته للغة العربية ساعده في ترجمة العديد من الكتب والخوض في موضوعات إستشراقية عديدة حيث قام بإصدار مجلة الإسلام مع زميله المقرّب **بيكر** سنة 1960م. "ولو تأملنا الآثار العلمية التي خلفها ريتز، لتبين لنا اتّساع رقعتها وفخامة مكانتها، خاصّة وأنّها تعالج قدراً هائلاً من موضوعات الحضارات الإسلامية، كما أنّها تربط مختلف ميادين الإستشراق بعضها ببعض الآخر **فريتز** حقّق أثناء إقامته في تركيا نصوص (تمثيلات القراقوز) وترجمها إلى الألمانية بمهارة فائقة، حتى أنه استطاع في هذه الترجمات أن يوجد مضاهيات ألمانية شعبية لكل لعب لفظي وارد في الأصول الشرّقية"².

¹ إبراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، مرجع سابق، ص 91-92.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج 1، مرجع سابق، ص 185.

ومن بين مستشرفي هذا العصر (الألمان) **جوليوس روسكا** الذي قام بمجهودات لا يستهان بها في الدراسات الشرقية من خلال إعادة تحقيق بعض المؤلفات القديمة وتصحيح بعض تواريخها، وقدم دراسات عن **الغزويني**، وكذلك **أينو ليمان** من خلال وضعه قاموس (تجري - ألماني - إنجليزي) "واهتم بالأدب الشعبي عند العرب من حكايات وأمثال ومواويل وأناشيد دينية"¹، وكان **ليمان** من بين المستشرقين الألمان الذين زاروا الشرق وألمحوا وسحروا بجماله انطلاقاً من معرفة سابقة عن التراث في المخطوط والكتب والروايات وأدب الرحلات، فكانت رحلته استكشافية تنقّب عن مخطوطات جديدة كما "اهتم بمعالجة مسائل الوزن الشعري والأدب الأثيوبي، وأوضاع أثيوبيا الحديثة على اختلاف أنواعها وكان اتجاهه الاختصاصي في ضمن حقل الإستشراق الواسع نتيجة موهبة لغوية فردية هدّبت منذ الصغر وتأثير متواصل عميق الأثر من أساتذته المستشرقين وعلى رأسهم **نولدكه**"².

سهولة الاتصال بين ألمانيا والشرق في خضم التطور التكنولوجي والاتصالي الحاصل في العالم ساهم بالقدر الذي يدعم وبشكل كبير جهود المستشرقين الذين "أحسنوا استثمار التسارع التكنولوجي في نهضة الاستشراق وإقامة مؤسسات استشرافية في بلدان عربية على غرار بيروت، والقاهرة، وإسطنبول ويرجع الفضل في تثبيت الوضع العلمي للاستشراق الألماني خلال القرن العشرين"³.

يؤكد **صلاح الدين المنجد** على دور الرحالة الأوروبيين إلى الدول الشرقية وتأثرهم بها بناء على معرفة سابقة بهم أدبية أو علمية أو غيرها، كانت هذه الرحلات ذات الأثر البارز في تاريخ الاستشراق، وكان لها الدور الأساسي والبلغ في إثارة الرغبة والفضول إلى النخبة أو العامة في اكتشاف هذه المناطق والاطلاع على ثقافتها وعلومها، وتعلقت بشكل كبير بتاريخها وحضارتها، مع التأكيد على نصيب الألمان في تلك الرحلات ومن أشهر من قاموا بهذه الرحلات من الألمان نجد: **كارستن نيور**، وأولريش زيتسن، و**يوهان لدفيج بوكهارت**، فقد كان

¹ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 512.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج 1، مرجع سابق، ص 188.

³ عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق مفاهيم صلات جهود، مرجع سابق، ص 491.

لهؤلاء مساهمة في تحسين وضع الاستشراق في أوروبا وألمانيا بشكل خاص، وجعلوه موضوعا دراسيا خاضعا للبحث العلمي بدلا من التعصب والخرافة اللتين التصقتا بالمجتمعات الشرقية وتسليط الضوء على الجانب الإيجابي الذي دعم الحضارة الأوروبية وساهم في بنائها¹.

ويؤكد الدارسين والمهتمين بالشأن الاستشراقي والدراسات الأدبية المقارنة أن الاستشراق الألماني بقي محافظا على مستوى لائقا من الموضوعية، ونأى بنفسه عن التيارات الفكرية المعادية للشرق والإسلام والصراعات الإيديولوجية والحركات الاستعمارية التي انتشرت بشكل كبير في هذه الفترة ويدل ذلك "ما أبداه مستشرقون ألمان كبار من أمثال فرتز سبات و جوزيف فاناس ويوهانسن من الارتياح إلى إهمال هتلر والنظام النازي لهم، وعدم استعمالهم في حروبه، وهو ما يؤكد حيادية المستشرقين الألمان في اختيار الموضوعات التي يدرسونها"².

ويمكن القول أنه بنهاية القرن العشرين طرأ تغير جذري على الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، آلا وهو التخصص وكثرة عدد الشبان والشابات الذي أخذوا يهتمون بهذا النوع من الدراسات، مما استوجب إنشاء جامعات جديدة، إذ نشاهد اليوم في ألمانيا أكثر من 25 جامعة تُعنى بالدراسات العربية والإسلامية، وأن هذه الجامعات أخذت تهتم فضلا عن المواضيع القديمة بالمواضيع الحديثة كدراسة اللهجات العربية المحكية والأدب العربي المعاصر من شعر ونثر، والقضايا السياسية والتيارات الفكرية والمجتمع العربي الإسلامي³.

توسّع اهتمام الطلبة الألمان بالجامعات حيث أصبحت الكثير من عناوين رسائل التخرج تحمل موضوعات مهمة بالدراسات الشرقية وآدابها وحتى إعادة دراسة النصوص القديمة بالمنهجية الحديثة، هذا لا يمنع من وجود عوامل مادية كثيرة تثبّط همهم وتكبح طموحاتهم للولوج أكثر في ميدان الاستشراق وعلى الرغم من هذا كله فإن المستشرقين الألمان الجدد ماضون في سيرهم وعلى منهجهم محاولين الإضافة والاستفادة في نفس الوقت من التراث

¹ ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 79-92.

² رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 35.

الشرقي. ومن أهم اهتمامات وتخصصات الاستشراق الألماني في هذه الفترة "التاريخ، والأنثروبولوجيا، والسوسيولوجيا، وعلوم الدين، والدراسات الشرق أوسطية، وهذا عمل جيل الكهول، الذين بدءوا ينتجون في الثمانينات، وماتزال بالجامعات الألمانية عشرون كرسي تقريبا تعنى بالدراسات الإسلامية والعربية، وفي الكرسي أستاذ رئيسي أو أستاذان، وعدة أساتذة مساعدين أو مشاركين..... وماتزال المجالات العلمية السالفة تعمل باستثناء مجلة الشرق التي أصدرها هلموت ريتز، ويصدر.... عن الإسلام القديم والحديث حوالي ثلاثين كتابا من مائة مقالة"¹. هذا لا يمنع من وجود المجالات السياسية التي أثرت وبشكل كبير على النهج الأدبي ودخول السياسة في الوقت الحاضر في جميع المجالات والأدبية منها وأصبحت الجوائز العالمية لا تمنح وقف استحقاق أكاديمي أو أدبي وإنما وقف ولاءات سياسية لدول معينة لها السلطة والسيادة على هذه الهيئات التي تأخذ على عاتقها منح الجوائز العالمية منها جائزة نوبل-على سبيل المثال- وحتى الملتقيات العلمية والفكرية والأدبية الهامة التي تلقى الاهتمام الكبير من الإعلام العالمي وتحقق الشهرة لصاحبها تحكهما السياسة و التحزبات والولاءات، فأصبحت السياسة والإعلام تلعبان دورا جدد فعال في تحديد قيمة العمل الأدبي ووصوله إلى العالمية، وأصبح للمؤسسات الاقتصادية الكبرى كذلك دعامة حقيقية وكبيرة لهؤلاء المستشرقين لأنها في الأخير تجسد أعمال سينمائية تذر الأموال وتحقق الربح الوفير فهذا الارتباط السحري بين الأدب والسياسة والاقتصاد والإعلام والسينما السمة الطاغية على الاستشراق وعلى كل نتاج أدبي أو فكري.

وقد قام صندوق البحث الألماني وصندوق فولسفاغن في تمويل مشاريع البحث في الدراسات الشرقية والإسلامية، وعلى نحو منظم جمع صندوق البحث الألماني الدراسات السامية والإيرانية الجديدة والتركية والإسلامية

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 80.

معاً في ضمن موضوع منطقة الثقافات القديمة والشرقية، وقد كان للجيل الشاب من باحثي الدراسات الإسلامية دوراً في تطوير منظورات مقارنة أوسع، قد أغنت فهم التصوف وحركات الإصلاح الإسلامي في الوقت الراهن¹.
الصّورانية أو الصورولوجيا أو علم الصورة كذلك الذي أصبح له التأثير والتمثيل الكبير للدراسات الإستشراقية في تأثيرها عن الطّرف الآخر باستعمال الصّور وخاصة مع تطور وسائل الاتّصال الحديثة والسريعة.

خصائص الإستشراق الألماني:

هناك خصائص جمّة امتاز بها الاستشراق الألماني ونحاز بها على المدارس الاستشراقية الأخرى ومن أبرز هذه المزايا ما يلي:

1- لم تشارك ألمانيا في الحركة الاستعمارية على دول العالم الثالث والدول الشرقية ولم تخضع لغايات سياسية أو دينية كالاستشراق في البلدان الأوروبية الأخرى وذلك لأن ألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية الإسلامية ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق ولذلك لم تؤثر هذه الأهداف على دراساتهم وظلت محافظة في الأغلب على التجرد والرؤية العلمية حتى وإن ظهرت في بعض الدراسات نوع من الانحراف بالرأي إلا أنّ هذا الأمر لا يمكن تعميمه على الدراسات كلها²، هذا لم يمنع بعض المفكرين العرب ما اعتبرهم العقل المدبّر للدول المستعمرة واستفادت هذه الأخيرة من الدراسات والأبحاث الإستشراقية في السيطرة واستعمار العديد من الدول الشرقية يقول سعدون الساموك: "الاستشراق الألماني قد ساعد في خدمة الأغراض الغربية التي كانت معظم دول أوروبا تسعى إليها"³.

¹ يوسف كرباح، تأملات في الشرق تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، دار قدمس، بيروت، ط1، 2006، ص98-99.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص7-8.

³ سعدون ساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص113.

- 2- تميّز بالدراسات الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفنون، وهذا النوع من الدّراسات عادة يكون خاليا من الأغراض السياسية، وكذلك غلب على الإستشراق الألماني الرّوح العلمية الموضوعية والتجرّد والإنصاف، ومردّد ذلك إلى خصال الألمان المجدولة على الدّقة والصّبر والمنهج العلمي الصّارم¹.
- 3- ومن بين مميزاتة كذلك عن غيره من البلدان الأوروبية هو الاهتمام بالنصوص اللّغوية والأدبية بالدّرجة الأولى قبل الاختصاصات والميادين الأخرى وخاصّة في القرن 19م، وكذلك أعمال التّحقيق والجمع والفهرسة والدّراسة التّقديّة للتّراث العربي حيث اشتهر الألمان بنشر كتب التّراث العربي بإصدار طبعات محقّقة مع إجراء دراسات نقدية وفهرسة دقيقة وشاملة، إضافة إلى التّرجمة مع إتقان اللّغة العربيّة لكثير من المستشرقين الألمان.
- 4- لم تكن دراساتهم عن العرب والإسلام والحضارة الإسلاميّة تتّصف بالعداء وعلى الرّغم من وجود بعض المستشرقين الذين جاءوا بأراء لا توافق العرب المسلمين كـ بعض آراء نولدكه عن الشّعور الجاهلي والقرآن الكريم، وآراء فوللرز عن القرآن وتهديبه، لكنّها كانت محدودة لأنّ الإستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا دينهم عداء للعرب والإسلام، بل رافقت دراساتهم روح الإعجاب والتّقدير ونجد هذه الرّوح عند رايسكره الذي سمّى نفسه (شهيد الأدب العربي) والذي يعدّ واضع الأساس المتين للدّراسة العربيّة في أوروبا وكذلك زيغريد هونكه في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب) وغيرهم كثير، وتميز أيضا بطريقته العلميّة ومنهجية الرّصينة التي تتميز بالعمق والاتّفاق على الصّيغة العلميّة التّقليديّة قدر المستطاع فهو استشراق معرفي فلسفي فيلولوجي وفقهي².
- 5- الاتجاه العلمي حيث نبغ هذا الاتجاه وتأثر بجهود شلاشير (1821م-1868م) ودعوته لتطوير العلوم الطبيعيّة ومناهجها في خدمة علم اللّغة وتفسير التّغيير بقوانين واضحة متأثرا بالتّرجمة الألمانيّة لكتاب (أهل الأنواع)

¹ سعد بوفلاقة، الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتّحجّي، مجلة بونة للبحوث و الدراسات الشرقية والأدبية و اللغوية

² بايريهنس وآخرون، تأملات في تقاليد الاستشراق الفرنسي و الألماني، ترجمة: محمد صبح وعدنان حسن، مجلة نور، العدد 180، بيروت، 2004، ص93-97.

لدارون، فقط استعمل الألمان الاتجاه العلمي التجريبي ومنطقه في الدّراسة الموضوعية في دراسة علوم الشرق وكان ذلك بنفس المنهج والنّمط المباشر الذي يحقق الطّابع العلمي في منهجية البحث والتأثر بالعلوم الشّرقية وآدابها¹.

وتعزز هذا الاتجاه بنشر (النّحة الجدد) نظرياتهم عام (1878م) في لايبزغ - معقل الاستشراق الألماني - فأردوا منها تأسيس عملهم في علم اللّغة التاريخي المقارن في إطار العلوم الطبيعية.

وأهم ميدانين لهم: علم الأصوات وعلم اللهجات، وينتمي **نولدكه وبروكلمان** - في مجال علم اللّغات السّامية - إلى مدرسة النّحة الجدد².

6- العوامل الفكرية من أهم محطات تطوّر الدّراسات الاستشراقية الألمانية وأبرزها الحركة الرّومانية والاتجاه التاريخي والفيلولوجيا الألمانية، عوامل أثرت وميزت في نفس الوقت الاستشراق الألماني في نهجه الاستشراقي والتأثر بالقضايا الشّرقية، وعوامل فنيّة تمثلت في تفاهم أعداد المخطوطات العربية والإسلامية في ألمانيا، وتقدّم وسائل التّقل والحاجة إلى مترجمين يتقنون لغات الشرق على اختلافها وخاصّة اللّغة العربية³.

وقد أدت هذه العوامل (الفكرية والفنية) في تطور كبير وتقدّم ملحوظ في دراسة اللّغة العربية وقد برز مستشرقون ألمان يتقنون هذه اللّغة إضافة إلى إنشاء معاهد وكليات متخصصة في تعليم هذه اللغات، وبهذا أصبحوا يرجعون إلى التّراث اللّغوي العربي عبر مصادر أصلية ممّا يعطي النّصوص دقّة أكبر وفهماً أوسع، وبهذا استغنوا عن اللّغة الوسيطة والتّرجمة.

هذا من أبرز ما ميّز الاستشراق الألماني وأهله لأن يكون مغايراً في دراسته وطرحه ومعالجته للنّصوص العربية القديمة معتمداً على منهجية اختص بها دون غيره من الاستشراقات الأوروبية الأخرى - للأسباب التي ذكرناها سلفاً - وسمح للموروث الأدبي الشّرقى أن يظهر بالطريقة المختلفة والأقرب إلى العلمية والموضوعية.

¹ ينظر، ر.ه.روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، أحمد عوض، الكويت، 1997، ص226.

² المرجع نفسه، ص 129-297.

³ ينظر، يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص55.

حيث يقول المستشرق الألماني اشتيغان فيلد وهو يصف المستشرقين بشكل عام دون تحديد زمني: "توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخرّوا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بدّ أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل بصراحة"¹.

هذا أنين مستشرق ألماني يُنكر كل عمل عدائي ضد الإسلام والمسلمين ويصفه بالأليم ويفرض على كل مستشرق مخلص إعطاء الرسالة العلمية حقها من الموضوعية و الإخلاص دون تحريف أو تغيير.

¹ محمود حمدي زقزوق، في مواجهة الاستشراق، بحث بمجلة المسلم المعاصر، قبرص، السنة الرابعة عشر محرم، جمادى الثانية، 1413هـ، العددان 65-66 معاً، ص35

الفصل الأول: الخلفيات الابستيمية للفكر

الإستشراقي

أولاً: المنهجية الإستشراقية في دراسة الأدب العربي

ثانياً: دراسة الاستشراق للأدب القديم والحديث

ثالثاً: إنجازات الاستشراق الألماني

توطئة:

أثار الاستشراق ولا يزال يثير جدلا ساخنا في الأوساط العلميّة والأدبيّة، لم احتواه من مسائل متعدّدة، تحاول فهم هذه الظاهرة فهما علميّا بعيدا عن التّعصّب والولاء، فسلك في ذلك مسالك عدّة في دراسته للتراث العربي وتأثره به، من خلال معرفة ماهيته وماهية لغته وأصحابه، محاولين الوصول إلى الحقيقة والإجابة عن التّساؤلات التي طالما شغلت عقولهم وأقامت الجدل بينهم.

الأدب العربي من المسائل المهمّة التي شغلت بال المستشرقين، فحاولوا فهمه ومعرفته والاهتمام به وبالدراسات حوله، والاطّلاع على أغواره لأنّه بحر عميق يتطلّب العدّة الكافية لخوض غماره ومسائله المتلاطمة المملوءة بالأسرار والأفكار، ومن بين العدّة اللاّزمة، اللّغة العربيّة، التي هي السّرّ والمفتاح الأوّل للولوج إلى هذا الحقل المعرفي الصّعب.

لم يغفل المستشرقون الألمان هذا الأمر في معرفة اللّغة العربيّة وإتقانها، بل كانوا الأوائل والأبرز من بين مدارس الاستشراق الأخرى في معرفة ذلك والتركيز عليه والتّأكيد على أهمّيّته البالغة في فهم الدّرس العربي وجمل ومعاني الشّعري العربي القديم وتقديمه للقارئ العربي والغربي.

لم يتوانى المستشرقون الألمان عن تقديم الإرث العربي بالصّورة التي تليق به، ولم يدّخروا في نفس الوقت جهدا لأجله، فقد وهب الكثير منهم سنوات من عمره من أجل إمّا التّحقيق أو الفهرسة أو قراءة المخطوط العربي وحتى التّأليف والبحث في التّاريخ العربي والرّبط بين المسائل المهمّة وحلّ العقد الصّعبة.

فضل الاستشراق الألماني على الشّعري العربي القديم والحديث لم يخفى على العرب مختصّين وهواة، ولم تخفى المنهجية الاستشراقية الألمانيّة في اختلاف دريها وارتباطاتها السياسيّة والإيديولوجية عن التّوجهات الاستشراقية الأخرى، التي كانت لها أهداف مضمرة وغايات خفيّة في الاهتمام بالأدب العربي.

الدراسات الاستشراقية الألمانية بغزارتها وتعدّد مجالاتها وطرقها للمواضيع المتعلقة بالأدب العربي، لم تخضع للتعصّب والهوى والميل الذاتي، إنما التزم أصحابها بمسار موحد ضمن منهج معيّن سار عليه الأوائل والمحدثون، ممّا أعطى لها الخصوصية في النقد والتحليل الملتزمين بالحجّة والبرهان العلميين ولم تطبع أعمالهم كذلك ميول سياسية أو اقتصادية أو استعمارية البتّة.

تعدّدت الجهود الألمانية في حقل الأدب العربي، فمنهم من قام بجمع المخطوطات العربية وفهرستها ومنهم من حقّقوا العديد من النصوص القديمة بالمقاييس العلمية المتعارف عليها ومنهم من نشر أعمال أدبية ومؤلّفات لا تزال تساهم في الوعي والمعرفة (تاريخ الأدب العربي لبروكلمان) ومنهم من ترجم الآلاف من هذه الأعمال إلى اللّغة الألمانية ولغات أخرى، فعرفوا الآخر بالحضارة العربيّة وتراثها وآثارها، من هنا تستحقّ هذه الأعمال الاطلاع عليها ودراستها والخوض في القضايا التي أثارها حول الأدب العربي وخاصة الشعري منه والاستفادة من الأفكار التي توصّل إليها هؤلاء المستشرقين، لأنها نتاج عمل شاقّ لفترة زمنية طويلة، ولا يمكن إهمالها أو تجاهلها، فهي تجانب العقل والمنطق والمبدأ العلميّ ويكفيهم شرفاً أنّهم أتقنوا لغة القرآن اتقاناً تاماً وتحكّموا بالتعبير اللّغوية واستخلصوا نتائجهم البحثية وفق ذلك، فقد قدّم الاستشراق الألماني أسماء نشطة ساهمت بشكل كبير في بعث هذا التّراث وإحيائه وبصمت بصمة واضحة وراسخة في تاريخ الأمتّة العربيّة لا يمكن لها أن تمحى.

فما هو الدّرب الذي انتهجه الألمان في التّعرف على الأدب العربي؟ وماهي أهمّ الأعمال التي قدّمها هؤلاء المستشرقون؟ وهل طبعت هذه الأعمال بشيء من الاختلاف في دراسة الأدب العربي القديم والحديث؟.

أولاً: المنهجية الإستشراقية في دراسة الأدب العربي

الاستشراق في بدايته حركة ثقافية حيّة، وعندما وجد نفسه في إطار المنطقة الجغرافية المتميزة بتاريخها المثقل بالذكريات والمواجهات والتحديات تذكر فجأة مشاعر الخوف من ثقافة هذه المنطقة وهي ثقافة متكاملة الطّموح ذات قيمة عظيمة أنجبت حضارة وقادت أمة، ومن خصائصها الجهاد والتّضحية والاستشهاد¹، فكان ردّة فعل لفكر حضاري مختلف وثقافة جديدة نابعة من بيئة مغايرة تماما عنه وعن معتقداته وتوجهاته، لذلك وجب على الاستشراق النّظر إلى ما يقابله من تحد صارخ مبني على وحي إلهي منزّه عن الخطأ والزّيب، ليس مبنيا على فكر إنساني محض وهذا الاختلاف في الشرق في ثقافات متنوعة وحضارات وأديان، والغربي يجد في الشرق صورة مكملّة لذاته، ولهذا فهو لا يرفض الشرق كتراث إنساني وكتجربة حضارية، فالحضارات اللاحقة الغالبة لا تضيق بحضارة سابقة مستسلمة وإّما يرفض الشرق المتحدي المقاوم المهّدّد للقيم الغربية²، فبات لازما على الغربي أن يجد طريقة لمحاولة فهم هذا الأخير الذي أصبح يهدد كيانه الجغرافي وبنائه الفكري وسياسته المسيطرة على العلم بشتى الوسائل ومعتقدده الذي هو أكبر سلاحه في تجسيد أفكاره وطموحاته التوسعية أو التبشيرية أو الأهداف الأخرى المعروفة.

في الطّور الأوّل كان الغرب يرى الإسلام صورة حضارة ومواطن العلم، واتّجهت البعثات العلمية إلى البلاد الإسلامية ونظرات الكنيسة نظرة حذر وريبة في هذا الاتجاه، وقاومته في عهد شارلمان ولما تولى حفيده الملك شارل العاشر فرنسا أقرّ خطّة إصلاحية يتم بموجبها:

1* إسناد مهمة التّدريس في المدارس الأوروبية لأساتذة من الغرب أو من الذين تعلموا في المدارس العربية في إسبانيا.

¹ محمد فاروق النبهان، الإستشراق، تعريفه آثاره ومدارسه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، الرباط، المملكة المغربية، 2012، ص13.

² المرجع نفسه، ص 13.

*2 إرسال بعثات من الطلاب الأوروبيين للدراسة في الأندلس على أيدي العلماء العرب.

*3 ترجمة أهم الكتب العربية إلى اللاتينية وبخاصة في ميادين العلوم والآداب والفنون والطب والفلسفة¹.

حاول الاستشراق من خلال هذه المنهجية أن يضع بداية للتواصل الفكري والعلمي والأدبي والحضاري وكل ما يمثل الشرق ويحتويه من علوم بينه وبين العالم الشرقي، الذي لا يزال لحدّ الساعة لغزا وكيانا مبهما له أو شيئا جديدا لا بدّ من التعرف عليه، ولعلّ من أبرز الأهداف الإستشراقية الغربية، استكشاف طبيعة هذه الحضارة وخصوصياتها وذلك لأنّ كل حضارة ذات خصائص مميزة، ولكي يتمكن الغرب من استكشاف طبيعة الحضارة الإسلامية كان مطالبا بأن يدرس ثقافة هذه الحضارة ومكوناتها لتحقيق غايتين:

الغاية الأولى: تفسيرية ذلك عن طريق الكشف عن مقومات الحضارة الإسلامية من حيث قدرتها على التكوين الاجتماعي والسيطرة على مسار المجتمعات الإسلامية وصياغة رؤية فكرية متميزة.

الغاية الثانية: وذلك بفرض التحكم في مسار الشعوب الإسلامية عن طريق معرفة التناقضات القومية والطائفية والإقليمية بحيث تكون المعرفة الناتجة عن الدراسات الإستشراقية أداة تحكّمية، توجه الأحداث وترسم معالم الحركة المناسبة وتحكم قبضتها على الشعوب الإسلامية من خلال إمساكها بمفاتيح الأسرار التي تفجّر الأزمان في الزمان والمكان الملائمين².

أضاف **فاروق النبهان** غاية ثالثة "تنأى عن الأوليتين من حيث الفكرة والهدف وهي الغاية الاستكشافية العلمية البحتة، باعتبار هذا الدين أرسى دعائمه على قواعد غير إنسانية (الوحي) غير قابلة للخطأ يمكن للغربي أن يستفيد لجانبه في تطوير نفسه وفكره لأن هذه الحلقة المفتقدة عنده موجودة في الشرق مدعمة بوحي إلهي غير

¹ محمد عبد الله الشراوي، الإستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 12.

² فاروق النبهان، الإستشراق تعريفه، آثاره، مدارسه، مرجع سابق، ص 14.

قابل للخطأ والتعير وهذا هو الفرق ولب الموضوع، فهذه الفئة تستفيد أيما استفادة من الإطلاع الموضوعي العلمي في تشكيل حضارتها إذا اعتبرناها قابلة للشك والتساؤل أو حتى إعادة البناء"¹.

هذه الغايات الكبرى التي رسمها الاستشراق في الإطلاع على الشرق والاستفادة من حضارته في نفس الوقت كان لابد من وجود آليات ومنهجية تجسد هذا الطموح والأهداف المرسومة فمن "حيث المنهجية التي اتبعها المستشرقون في دراسة التراث فلم تقتصر على المنهج التاريخي بل شملت المنهج التحليلي، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ومنهج المطابقة والمقابلة وقد تجتمع هذه المناهج في دراسة واحدة أو عند مستشرق بعينه، وقد تفترق"²، هي نفسها التي "استخدمها الأوروبيين في مجال الدراسات الإنسانية بصورة عامة ولأنها تستند إلى المذهب الوضعي الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية في القرن التاسع والعشرون ولم يجيدوا عنه إلى الآن بالرغم من نبذ هذا المذهب في الوقت الحاضر للدراسات الإنسانية"³.

الطرق رغم اختلافها وتشعبها إلا أنها كانت تصب في غاية واحدة، "ولابد من التقرير بأن العلاقة بين المستشرقين والشرق كانت بصورة أساسية تأويلية فإذا وقف المستشرق الباحث أمام حضارة منجزة ثقافية نائية لا تكاد تفهم قلص الإسهام عن طريق الترجمة والتصوير المتعاطف والإدراك الشيء الداخلي للشيء الذي يصعب الوصول إليه"⁴، وهذه هي الطبيعة الإنسانية وخاصة منها التواقة إلى حب المعرفة والاكتشاف التي تسعى إلى فهم الآخر، وبالأخص إذا ظهر فجأة ويحمل من الاختلافات والتحديات الفكرية والعلمية والثقافية والاجتماعية واللغوية... وغيرها من يأتجج الفهم والفضول البشري عن طريق وسائل مختلفة للفهم وإزالة الغموض المعرفي خاصة وذلك من خلال:

¹ فاروق النبهان، الإستشراق تعريفه، آثاره، مدارسه، مرجع سابق، ص 14.

² علي بن إبراهيم النملة، إسهامات المستشرقين في نشر التراث الإسلامي، دراسة تحليلية من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1996، ص 35.

³ سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، مج1، 2002، ص199.

⁴ إدوارد سعيد، الإستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، 1981، ص 231.

1- الوقوف عند نقاط ضعف في الكتب أو المجتمعات ودراسة التراث من خلالها.

2- أهواءهم وميولاتهم الشخصية لدعم آرائهم دون الأخذ بوجهات نظر المجتمع العربي.

3- إصابة المشاعر العربية بحجة الرصانة العلمية والموضوعية.

4- إعطاء صورة مشوهة عن الطّرق.

يقول **مونتكومري واط** في هذا الصّدد: "جدّ الباحثون منذ القرن الثامن عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الإسلام، وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل في أوروبا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها"¹.

المنهج العلمي والموضوعي غدا مصطلحا لامعا وبرّاقا لا غير، عندما أصدر جلّ العلماء الأوروبيين عن تشويه التراث الإسلامي بدينه وتراثه المعرفي البشري وحضارته التي سطعت في سماء الشرق والعالم برمته، واختلّ الميزان فيما يستخدمونه في أمورهم العلمية وأصبح يكيل ما يتناسب مع منهجه وفكره وتوجهه وكل ما خرج عنه مرفوض.

يقول **عباس محمود العقاد** في هذا الصّدد: "اعتماد المغالطة في المناقشات العلمية وسوء الظنّ واعتمادهم أقوال باطلة ردها العلماء المسلمون بدائل علمية والتركيز على علوم معينة (علم الكلام والفلسفة) الاعتزال والباطنية والخلافات كالحلاج"².

هذه الفرق الدينية أو الكلامية أو حتى الشخصيات الإسلامية الشاذة كانت محل اهتمام المستشرقين لم يشوب هؤلاء من غموض وإبهام ولا يعكسون تماما حقيقة الطّابع الإسلامي ومنهجه وطبيعة لغته وأسرارها المعرفية التي لا تتدلّل إلا لعارف وفقهه، "فالتناقض بين الحقيقة العلمية التي يؤكدها البحث الجادّ والنزوع النّفسي لا يؤدي إلى

¹ محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 73 نقلا عن الإستشراق ومناهجه، سعدون الساموك، ص 96.

² سعدون الساموك، الإستشراق ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 96.

كبح جماح ذلك الخطر المتمثل في حضارة الإسلام¹، باعتبارها مرتكزة على أسس ودعائم متينة مستمدّة من الإعجاز القرآني والحقائق العلمية والفكرية التي أكّدها و لا يزال يؤكّدها في الواقع مع التطور المعرفي البشري، وانعكس على التراث الأدبي العربي وأثره من جميع التّواحي اللّغوية والبلاغية و الأخلاقية، مما رفع قيمة هذا الأدب واستطاع أن يشكّل حضارة كاملة ونهضة أدبية ولغوية.

وبين هذا وذاك ظلّ المستشرق والأوروبي منه يحاول قدر المستطاع النّخر في هذا الجسد المحكم البناء وحاول أن يفرّق في منهجية بحثه ويفصل بين ما هو تقليدي ومعاصر واستعمل منهجين مختلفين في دراسته التراث العربي، فانبثق بما يسمى الاستشراق التقليدي والإستشراق المعاصر، بين الذات المدروسة كما سماها أنور عبد المالك، أي الذات الشرقية والكيان الشرقي بشكل عام، باعتبار هذه الذات (الشرقية) سلبية عديمة النشاط وفاقدة للسيادة ولا تعكس أبدا طبيعة الإرث الثقافي والديني والمعرفي التي حباها الله به.

حاول الإستشراق في منهجه التّركيز على هذا المبدأ والخوض في هذا الدّرب الذي يحاول إضعاف الذات العربية وغرس الأفكار السلبية مما يهيئ إلى أهداف استعمارية واقتصادية وعلمية أخرى، فالفكر السّلي مدعاة للفصل بين الإرث الحضاري والذات العربية وزع الانهزامية والضعف وعدم الاعتراف بالأعمال العلمية والبحثية التي يقدمها المشاركة² ولذلك كانت الصورة المقدمة عن تلك العوالم نابعة من "فتنازبا" أي توهمات تخيلية تحركها عقد الإحساس بالتّفوق والإحساس الأبوي المتعالي ووصاية الرجل الأبيض المتحضّر على الشرقي المتخلف البدائي القاصر فكريا وعقليا². تلك السلطة كما سماها إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق² وحب تملك الغير من خلال السيطرة على فكره وعقله وصولا إلى ذاته وانتهاء بأرضه وما يملك، يعني الهدف هو تجريد الذات الشرقية من ممتلكاتها الفكرية التي نهلها من معتقدها الديني المبني على أسس صحيحة وعميقة ومتجددة في الواقع والمستقبل،

¹ محمد فاروق النبهان، الإستشراق تعريفه آثاره ومدارسه، مرجع سابق، ص 14.

² محمد طاع الله، خصومة الإستشراق الخطابات والرهانات، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختصر، القيروان، تونس، ط1، 2015، ص 223.

أي هذا المعتقد الذي يضمن القوامة الحقيقية للشرقي في فكره ودينه وشخصيته ويحقق له الاعتدال في سلوكه وتصرفاته (وهذا غير مرغوب فيه) ويخلد لغته العربية التي هي ضمان لإرثه وتاريخه ومستقبله.

الجوهر هو الفصل بين هذا الميثاق الغليظ والأساس القويم وبين الذات الشرقية المجسدة لكل هذه المعاني والمقومات، هذا أصل الخطر في أن يجسد ذلك الشرقي محتوى الوحي الإلهي، فينضج فكريا وعلميا وبهذا الكيان المقابل يقول إدوارد سعيد في هذا الصدد: "فمعرفة الشرقي لأنها وليدة القوة تخلق بمعنى من المعاني الشرق والشرقي وعالمه، وفي لغة كرومر وبلفور يقدم الشرق في صورة شيء يحاكمه المرء (كما في محكمة العدل) شيء يدرسه المرء ويصوره (كم في خطة دراسية) شيء يؤدبه المرء (كما في مدرسة أو سجن) وشيء يوضحه المرء ويمثل عليه (كما في دليل وجيز علم الحيوان)، والنقطة المثارة هنا هي أنّ الشرقي في كل الحالات يحتوي ويمثل بأطر طاغية"¹.

أي فكرة ارتباط المعرفة بالسلطة والمنهجية التي تطبق سواء في دراسة علوم الشرق أو الذات الشرقية في حد ذاتها هي منهجية سلطوية، تحاول تطبيق وفرض منهجا معيناً في ذلك وعلى سبيل المثال المصادر المعتمدة من طرف المستشرقين في التعاطي مع التراث الشرقي بعضها دون مصدر صحيح وبعضها الآخر مشوّه ومحرّف، لكن يساعد المستشرق في رسم منهجه الذي يحقق له هدفه ويحاول تحطيم عزائمه وتحقيق فكرة "غربي متحضّر قوي ومتفوّق وإلى شرق بل شرقي متخلّف ضعيف ومهزوم"².

إضافة إلى تصنيف الذوات (أوروبي، صيني، إفريقي) والأوروبي هو الإنسان السّوي الذي يتحقّق فيه الكمال الجسماني والعقلي بما يسمى (المحورية البشرية) أو بما يسمى النّزعة المركزية العرقية على أنّها نزعة إنسانية كونية حيث "أنّ كل المجتمعات البشرية التي كانت تملك في احتياطها فائض القوة ضروري للعمل الذهني، كانت تجد من المفيد أن تدرس بالقليل أو بالكثير من التعمق للمجتمعات الأخرى، كلّ المجتمعات البشرية فعلت ذلك من خلال الرّواسب المعهودة لأنماط تفكيرها عن طريق إسقاط اللاوعي لمفاهيمها على المجتمعات الأخرى، فهذه

¹ إدوارد سعيد، الإستشراق ترجمة إلى العربية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط7، بيروت، 2005، (ط1، 2015، ص 223).

² محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 226.

المفاهيم لأنّها مفاهيمها تمثل بالنسبة إليها الناموس الكوني، وهي تعتبر ذاتها واقعية وصحيحة وتحاول أن تفهم أشكالاً أخرى من الحياة والوعي الشاذة عنها أو الغريبة عليها¹.

يحاول رودنسون أن يركز على التمايز العقلي والذهني للمجتمعات الغربية بالمقارنة مع المجتمعات الأخرى بما فيها الشرقية، التي يحاول دراسة المجتمعات الأخرى وثقافتها وآدابها ومنتجاتها الفكرية المحدودة باعتبارهم بشراً أقل درجة-حسب قوله- فهذا التفوق الفكري يهبها السلطة على الشعوب الأخرى وفرض أنماط دراستها ومناهجها على ثقافتهم مما يسمح بالدراسة الحقيقية والصحيحة لذلك.

الفكر السلطوي الممارس على الشعوب الشرقية وتحقيق السيادة عليها من خلال الخلفية المعرفية التسلطية للمؤسسة الإستشراقية التي تضحد كل ما هو فكري شرقي ينماز بالقابلية للدراسة والتّمييز وحتى المنافسة، لأن الحقيقة كامنة في أذهانهم، حيث أنّ المعرفة الشرقية مستمدّة من معتقد لا مستمدّة من فكر إنساني بشري، هذه المنهجية المتسلطة للإستشراق التقليدي على البلاد الشرقية تحكّمها أهداف وأطماع كثيرة ومتعدّدة وفي مجالات عدّة.

يقول إدوارد سعيد في هذا الصدد: "إذا اتخذنا من أواخر القرن الثامن عشر نقطة لانطلاق محددة تحديداً تقريبياً، فإن الإستشراق يمكن أن يناقش ويحلّل بوصفه المؤسسة المشتركة للتّعامل مع الشرق، التّعامل معه بإصدار تقارير حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه وتدرّسه والاستقرار فيه وحكمه، وبإيجاز الإستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشّرق واستبناؤه وامتلاك السيادة عليه"².

يبقى الشّرق محلّ اهتمام الدراسات الغربية والمخابر الإستشراقية هناك، ويتصدّر عناوين البحوث العلمية والأكاديمية في الجامعات الغربية، ومن هذا المنطلق أو هذه المنهجية السلطوية كما سماها إدوارد سعيد في التّعامل

¹ مكسيم رودنسون، وضع الإستشراق المختص بالإسلاميات، ضمن كتاب الإستشراق بين دعائه وعارضيه، دار الساقى، ط1، بيروت، 1994، ص 96.

² إدوارد سعيد، الإستشراق، مرجع سابق، ص 37.

مع الشّرق، نرى لهذه الأخيرة انعكاسات على الفكر الشّرقى والعربى بالخصوص من خلال التّأثر بمختلف التّيارات والفلسفات الغربية التي أصبحت نهجا ودربا يسلكه المفكر الشّرقى ويعتمده في دراساته الأكاديمية وغيرها، من خلال تطبيق المناهج الحديثة في الدّراسات الأدبية واللّغوية، "فنحن نباشر دراستنا من خلال مناهج وطرائق ومداخل ابتكرها الغربيون في دراستهم لثقافتنا وحضارتنا وأدبنا وتاريخنا"¹، فالفكر الاستعماري والنّهج الإيديولوجي سيطر على المنهجية الإستشراقية لفترة من الزّمن، وفكرة الاستعلاء والنّزعة التّحقيقية للمجتمعات الشّرقية التي كانت تتماشى مع الهيمنة السياسية والجغرافية والثقافية والاقتصادية والأدبية وغيرها للغرب.

المنهجية الإستشراقية في دراسة الشّرق تعيّرت ولم تعد تلك السيّطرة المطلقة في الفكر والذّات والجغرافيا وغيرها، خاصّة بعد فترة الخمسينات من القرن الماضي، لأنّ الشّعوب الشّرقية التي كانت تعيش تحت وطأة الاستعمار الأوروبي تحرّرت جغرافيا فانعكس ذلك على تحرّرها الفكري والثقافي، وأصبح الشّرقى يحاول أم يبيّن فكريا أو منهجا مستقلا يتجاوز مع بناء الدّول والمؤسّسات، فهو لا يملك خيارا غير ذلك مادام استقل وتحرّر في أرضه وفكره، هذه الفكرة ينطلق منها **أنور عبد المالك** في نقده للإستشراق إلى جانب ثلة من المفكرين العرب أمثال **إدوارد سعيد**، **ومحمد أركون**، **وهشام جعيط** وغيرهم، ما يسمى بمرحلة الوعي أو كما سمّاه **محسن جاسم الموسوي** ب: "النّضج الفكري المتكافئ"²، فالثّقلة التّوعوية التي تحقّقت في مستوى الوعي بالذّات والوجود والتّوق إلى التّحرر اكتست "ذات الأسياد" لها مقومات ومؤهلات مختلفة تماما عن سابقتها، يمكن لها أن تقود وتتحكّم وتتطلّع إلى ما هو أفضل وأحسن وأنجع لبناء نسق ثقافي وعلمي مستقل يرفض جملة الأساليب التي جعلت الفكر الشّرقى مجمدا لفترة طويلة من الزّمن

وهناك حراك أنتجته فورة الاستقلال في البلدان التي كانت مستعمرة قديما وما رافق ذلك من إيديولوجيات قومية مناهضة للاستعمار، كما غدّته ظاهرة أخرى مستجدّة هي اليقظة العلمية التي شهدتها تلك البلدان ودخول

¹ عبد النبي إصطيف، نحن الإستشراق، مجلة المستقبل العربي، س6، العدد 56، أكتوبر، 1983، ص 25.

² محسن جاسم الموسوي، الإستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص 52.

التّحّب الفكرية المنتمية إليها في مجال البحث العلمي، فكان لهذا الوعي الذي تشكل على الصّعيدين السياسي والعلمي أثر مباشر في تحريك ردود الفعل ضدّ الرّصيد العلمي الذي أنجزه الاستشراق من منطلق التّشكيك في نزاهته وارتفعت في هذا المناخ أصوات ترفع شعار أهل مكّة أدري بشعابها وهي أدري بعلمها ومنتجاتها الفكرية والأدبية وتراثها¹

يرى أنور عبد المالك أنّ: "الوعي المعرّبي ذا الأبعاد والوجوديّة والحضارية قد تأخّر في التّشكيل وكان من المفروض أن يتولّد منذ جيلين على الأقل، لأن حركات التّحرر القومي التي انخرطت فيها شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والانتصارات التي حققها الاستعمار، أثرت في موازين القوى القديمة لا على الصّعيد العسكري فقط ولكن على الصّعد الوجودية والثقافية والحضارية وكان من الطّبيعي أن يمتد أثر ذلك إلى حقل المعرفة أي إلى حقل الإستشراق"².

فهل الثّورة الفكرية والأدبية للعقل العربي تزامنت مع الاستقلال السياسي وعودة الكيان الشرقي والسيادة التي تمنحه الاستقلال والانفصال فعلا على التّبعية الفكرية للغرب؟
المنهجية الإستشراقية لا بدّ لها من التغيّر والتّأقلم مع الدّات الجديدة الحرّة، التي تحاول بناء نفسها وتوسّع إلى استقلالها الفكري الذي لا يتحقّق في ظرف وجيز، لأن بناء الفكر طويل ومسعى عسير لكنّه غير مستحيل، لأنّ الدّول المتحرّرة وشعوبها أصبح لديها من الإرادة على بناء الدّات وتأسيس الفعل والتّقدم مرتكزة على تاريخها وتراثها الأدبي والفكري الذي كان محل اهتمام المستشرقين بالدّرس والمتابعة والاستنباط والفهم" وهكذا تتناول المعرفة التّقريبية بالماضي وتمتدّ حتى تصبح استقصاء أو بحثا عن الدّات تعترية التّغيرات المحفوفة بالمخاطر"³.

¹ ينظر، محمد طاع الله، خصوصية الإستشراق، مرجع سابق، ص 302،303.

² المرجع نفسه، ص 167.

³ أنور عبد المالك، الإستشراق في أزمة، مجلة ديوجين، ع 44، ص 1963، ترجمها حسن قبيسي، مجلة الفكر العربي، العدد 31، يناير، مارس 1983، ص 5، ص 76.

كلّ هذه الإرادة والرغبة في التّقدم وبناء مستقبل معرفي جديد ولّد ما يسمى الإستشراق الجديد بمنهجية جديدة، تتحدى الهبة الفكرية الجديدة للدارس الشرقي و الأديب العربي والمفكر الإسلامي وأصبح من الضروري أن يتعامل الغرب بمنهجية تتلاءم مع مستجدات الطّابع المعرفي الشرقي الحديث.

يتميّز الدّارسون ومنهم ادوارد سعيد بين مرحلتين كبيرتين في تاريخ الاستشراق هما:

-مرحلة الاستشراق القديم الذي يعود إلى القرون الوسطى الذي كانت اهتماماته أغلبها عقائدية تبشيرية لمحاولة الفهم الحقيقي للدّين الإسلامي ونشر المسيحية في آن واحد، واهتمامات استعمارية توسعية للسيطرة على الدّول الشّرقية بالموازاة مع فهم نمط عيشها وطبيعة تفكيرها واستثمار الاستشراق في هذا المجال الذي يخدم مصالح استعمارية وغيرها.

-مرحلة الاستشراق الحديث الذي يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وهي المرحلة التي ينعتها الباحث الأكاديمي والمفكر الفلسطيني، بأنّها مرحلة قد شهدت "نهضة استشراقية" وذلك بالنّظر إلى ما تراكم فيها من فعاليات وأعمال وأعلام في حقل الاهتمام بالشرق وثقافته¹.

إضافة إلى الفكر التحرري السّياسي الذي انعكس على الفكر الإبداعي العربي والشرقي عموماً وانعكاسه على الأدب العربي في طبيعة الموضوعات والحريّة في الكتابة والانفتاح على العلوم الأخرى والدراسات المقارنة وظهور مناهج نقدية حديثة بعيدة عن السّيطرة الفكرية والسياسية الأوروبية السابقة، ظهر النّظام الاشتراكي الذي تبني الفكر الجمعي أحياء الرّوح العلمية الشّرقية وأصبح دعامة لها ودعم الشعوب الشرقية لأجل صنع تاريخها وثقافتها واقتصادها والتّحوّل من كونها موضوعاً أو مادة للثقافة إلى مصاف الشعوب الخلاقّة.

وبهذا المنهجية الإستشراقية غيّرت من آليات قراءة العلوم الشرقية والشرق نفسه حيث، "تحالف الاستشراق في هذا القطاع مع الأنظمة الاشتراكية لتعويض المحورية الأوروبية الغربية، والعناية بحاضر الشعوب

¹ ينظر محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 21.

الشرقية في مجال البحث العلمي بالتوازي مع العناية بماضيها، ورسوخ الاعتقاد بجدوى النظرية الماركسية اللينينية ونجاحاتها المنهجية في هذا المجال"¹، والاعتداد بعلماء البلدان الشرقية وباحتياها وضرورة تشريكهم الفاعل في البحوث الخاصة ببلدانهم، لأنهم الأقدر عن معرفة التفاصيل من جهة وأكثر إتقاناً للغة العربية ومعرفة بالتراث الأدبي العربي من جهة أخرى فهذه من بين الأساليب الحديثة للإستشراق في الاستعانة بالأنظمة الاشتراكية والمفكرين الشرقيين والأدباء منهم بالخصوص والأمثلة كثيرة ومتعددة، فالمستشرقون لا يتقنون دون أدنى شكّ العربية كما يتقنها أهلها الناطقون بها، وإن أتيح للبعض منهم بحكم الممارسة والخلطة أن يمتلك ناصيتها بدرجة معينة، فإن المستشرقون ليسوا جميعاً على تلك الدرجة نفسها من الإتقان للعربية وأساليبها وأفانينها في التعبير، وخاصة لروحها التي يصعب على الكثيرين من أبناءها المنتمين إليها تشريحها والتضلع فيها، فما بالك الغرباء عنها، فمن خصائص العربية وخصائص النصوص القديمة منها الإيجاز والإضمار والحذف والمجاز والتعريض والالتفات والجزالة ممتنعاً عن الإباحة بمكنوناتها ولقد عبر الكثير من المستشرقين عن الوعي المرهف بالأهمية القصوى التي يكتسيها الشرط اللغوي في التعامل على خصائص التراث الإسلامي والأدبي، وفي نجاح المؤسسة الإستشراقية برمتها سواء بتحقيق النصوص القديمة أو المعاجم العربية أو المخطوطات من خلال إتقان لغوي وحسن معرفي بالتاريخ الإسلامي والشرقي وروح إبداعية لها القدرة على الإنجاز والبحث².

بهذا أصبح ما يسمى تشكّل الوعي الجديد لدى المستشرقين الأوروبيين مع بداية الفجوة بين الطرفين الشرقي والغربي، وظهور الإيديولوجية الاشتراكية التي دعمت التحرر الفكري والأدبي وحاولت التّهوض بالشعوب التي كانت مستعمرة وتوعيتها ومحاولة تشكيل نمط جديد للدراسة والتأثر ودراسة الآخر بطريقة مختلفة وحتى تقبله والتعامل معه بوعي، خاصة مع ظهور الفلسفات الغربية وانتشارها في الوسط العلمي الشرقي، مثل الواقعية التي تأثر بها أدباء العرب الكبار أمثال نجيب محفوظ وغيره، التي تجسدت في رواياته، إضافة إلى الواقعية الماركسية التي

¹ محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 187.

² ينظر، المرجع نفسه، ص 125.

أرادت أن تحلّق في سماء أدب هذه الدّول التي انتهجت وتبنّت الفكر الاشتراكي الشيوعي الذي كان شعاره "الأدب في خدمة السياسة"، فأصبح الشرقي والعربي بالخصوص يتأثّر بتيارين مختلفين كلاهما يحاول كسبه إلى صفّه فتجسدت المنهجية الاشتراكية وامتازت بتلك الليونة وأصبح الحضور المكثّف للموقف الإيديولوجي ومثال ذلك الأدب الجزائري وكتابات **طاهر وطار** وغيره من الأدباء الذين ساهموا في تبني الفكر الاشتراكي والترويج له. هذا التّغيير الجذري في المجتمعات الشّرقية كان له انعكاسه على الطّرف الآخر وقد أحرّج **روديبارت**: "على أنّه من واجب المستشرق المعاصر أن يتخلّى عن المركزية الذاتية وأن يخرق الأفق الفكري الذي تفرضه عليه البيئة التي تحيط به لكي يحسن فهم هذا الكيان الغريب الذي هو الشّرق وفي فهمه للشّرق مساهمة في فهم كيانه هو خاصّ"¹.

أصبح ضروري على الإستشراق المعاصر أن يفهم علوم الشرق الحديثة بأنماطها وأشكالها وأصحابها الجدد ذوو الفكر الجديد وأصحاب ثقافة متشعبة، تشتّرت ونهلت العلوم من مختلف الدول الأوروبية بفعل البعثات العلمية، ونقلوا هذا الأثر إلى بلدانهم وكتبوا بلغتهم الأمّ (**رفاعة طهطاوي**، **طه حسين**... وغيرهم)، ف"مهما كان الوعي المرهف بالخصوصيات الفكرية والثقافية والدينية المؤثرة بالضرورة في المنهجية الإستشراقية، فإنّ الاعتراف بهذه الخصوصيات يتوقّف عند هذا الحدّ لا يتجاوزه، لأننا عندما نصل إلى مستوى النتائج البحثية، أي إلى الأفكار والأطروحات، فإنّ الموقف يتغيّر تماما فيتحوّل هذا التّفهم وهذا التقبّل غيره على الإسلام وتراثه، وتحمّز للدفاع عنه ومواجهة خصومه بشراسة شديدة"²، لا تبخل بأي جهد في ضحذ الأفكار التي تمسّ هويته ووطنه التي عاش لزمان طويل وضحي بكل نفيس لأجل استرجاعها، فتشكّل الوعي الشرقي الجديد وتأثره بالغرب لا يعكس بتاتا التّبعية المطلقة وإنما التأثير الإيجابي الذي يبعث على الرّقي والتّهوض بالفكر الشّرقى إلى مستوى الوعي والتّمييز والقدرة على الإبداع والمجابهة وهذا لا ينطبق على كل الفئات المثقفة، فهناك منها من اتّبع مغريات الحضارة الغربية وتأثر

¹ رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة أحمد ماهر، مرجع سابق، ص 17.

² محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 161.

بفلسفتها التآثر الأعمى مثل الوجودية والعبثية وغيرها وانعكست كلياً في منتجاته الفكرية والأدبية وقدمت انعكاساً سلبياً لتوقعات المجتمعات الشرقية، وربما تقاعس الجانب العربي في مواكبة المناهج الحديثة في البحث العلمي وتحديد مفاهيم وتفسيرات أخرى للمصطلحات الكبرى التي تمثل مختلف الظواهر الأدبية كالمعنى المجازي وإنتاج المعنى وفن السرد القصصي يعود إلى " الظروف والملاسات الحافة بالظواهر المؤثرة فيها، فإن كان الإستشراق المعاصر لا يعذر في عدم انفتاحه على مناهج في البحث جديدة تنشأ وتنحوا وتتطور في البيئة ذاتها ما هو مقبول"¹.

فالمنهجية الإستشراقية التقليدية في دراسة المجتمعات الشرقية التي أصبحت تنمو فكرياً وثقافياً وسياسياً، و "رؤاد الإستشراق الحديث مطالبون بأن يغوصوا في المجتمعات العربية الإسلامية، يدرسونها ويخرجون منها بانطباعات ذاتية يجعلون منها أحكاماً تعميمية لا على المسلمين أنفسهم فحسب بل على الإسلام نفسه الذي يدينون به"²، والمجتمعات الإسلامية والعربية التي عاشروها وأصبحوا جزءاً منها، فالقراءة الواقعية عن كتب أضحت من استراتيجيات المنهجية الإستشراقية الحديثة في التعامل مع الواقع الشرقي الحديث بمحاسنه ومساوئه، إذ أصبح يتخبط في مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية، انعكست حتماً على النتاج الفكري والأدبي، والواقع الشرقي والعربي بالخصوص لا يبعث على الصفاء والحركة في النشاط الإبداعي باعتبار المناخ غير مهياً لذلك وخاصة منذ سني السبعينات حيث انخفض الإنتاج العلمي في المجال العربي والإسلامي كما ونوعاً، أما الأدبيات النضالية فهي على العكس من ذلك وافرة وغزيرة جداً، أمثال طه حسين، أحمد أمين، المازني، سلامة موسى... وغيرهم، لا

¹ محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 263.

² آلان روسيون، المناقشة الدائرة حول الإستشراق في الساحة الثقافية العربية، جيزة العلوم الاجتماعية، في هاشم صالح، الإستشراق بين دعائه ومعارضيه، ص 185، 229.

يوجدون في المناخ العربي الزاهن الذي أتبع سياسات معينة تحمل شعارات رنانة وأضحى الأديب يتبع ذلك النسق التضالي التاريخي الذي يحقق غايات جمّة¹.

السّاحة العلمية التي كانت حكرًا على طرف غربي يوجّه تلك الشعوب بآليات وأنماط مختلفة وإنتاج الشعوب الشرقية الذي كان معروضا في المخابر الإستشراقية الغربية تأوله وتقرؤه وفق مرجعيات خاصة بها وغايات أيضا لا يعلمها إلا المستشرق نفسه، أصبح التغيير صارخا والسّاحة ثنائية - وإن اختلفت الموازين - لا يسمع صداها وإنما لها ردّة فعل من الطرف الآخر يحاول الفهم والتّصدي ومثال غابرييلي من المستشرقين الذين استوعبوا هذه الحقيقة، التي تكشف عن الشّعور بتوجه المسلمين لخدمة التراث والرغبة في التّعامل مع منهجية إستشراقية جديدة بالنّظر إليها وتطلّعاتها وهذا ما يصرح به **كلود كاهين** من أنّ " دخول الزملاء المسلمين إلى ساحة البحث العلمي مؤخرًا سوف يتيح إعادة التّوازن في دراسة المجتمعات المعينة من الداخل لا من الخارج فقط، ونأمل أن يتم ذلك بروح من التّعاون والأخوة والصّدقة بينهم وبيننا بين باحثهم ومستشرقينا"².

روح التّعاون التي تحدث عنها **كلود كاهين** في الدّراسات الأدبية المقارنة تحت عامل التّأثير والتّأثر بين الآداب والعلوم الغربية والشرقية، سادته وغلب عليه طابعان، الطّابع الأوّل ممثلا في المركزية الفرنسية والتّطور الفكري والأدبي الذي وصلت إليه فرنسا في مجال التّطور الحضاري، حيث كانت قبلة التّحضر ونهل العلوم على اختلافها ورمز التّطور والتّقدم، لكن المستشرقين من المدارس الإستشراقية الفرنسية والإنجليزية وغيرها غلب عليها الطّابع العدائي والنّظرة التّحقيقية للعلوم الإنسانيّة الشرقيّة والتّراث الشرقي، إضافة إلى استعمال أساليب دراسة لا تمتهن الحياد ولا الموضوعية ومحاولة التّركيز على الشّاذ في التراث مثل **ماسينيون** والشعر الصّوفي الإسلامي وبلاشير وغيرهم كثير.

¹ ينظر، محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صلاح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986، ص 15.

² هاشم صلاح، الإستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقى، بيروت، ط1، 1994، ص 33.

فالإستشراق في أوروبا كان جزءاً من تيارات العلوم التي ولّدتها نظرية المعرفة (العلمية) التي سادت في القرن التاسع عشر، كما أنّه خضع لتأثيراتها جنباً إلى جنب مع منهج الدراسات التاريخية والفيلولوجية التي حاولت تمثيل المنهج الفيزيائي والبيولوجي، وغيرهما من العلوم التجريبية الأخرى التي طغت على الساحة العلمية في هذه الفترة، ذلك الإنتاج المعرفي الضخم الذي كان الإستشراق جزءاً منه وبذلك يرى بعضهم أن المناهج العلمية لدراسة التاريخ والعلوم الإنسانية الأخرى بما فيها الأدب لم يتدعها المستشرقون وإنما كانت شائعة في الغرب وقد طبقها هؤلاء المستشرقون على العلوم والآداب والفنون الإسلامية تطبيقاً صحيحاً¹.

أما الطّابع الثّاني للإستشراق الغربي في المدرسة الألمانية التي لم تتبع المنهجية الغربية في دراسة الشرق وإنما اختلفت عنه في التعامل معه واتّخذت من علوم الشرق مجالاً مهماً لدراسات الإستشراقية بمنهجية تنزح إلى الاعتدال والموضوعية وكرّس مستشرقون ألمان حياتهم ووقتهم في تحقيق المخطوط والمعاجم العربية والفهرسة وكتابة المؤلفات الضخمة عن التراث العربي التاريخي منه والأدبي بالطريقة والمنهجية المختلفة عن النهج الأوروبي العام، حيث تؤكّد الدراسات والشواهد التاريخية على ضعف التنسيق بين المستشرقين الألمان وحكوماتهم، هذه الفجوة وعدم الاتّصال المباشر أو الغير مباشر في التفكير والاستراتيجيات والتنسيق العملي وحتى السياسي، وعدم تلقي المستشرقين الألمان مساعدات مادية أو غيرها من حكوماتهم، لأنّهم ليسوا ضمن نسق عام لخدمة أغراض معينة جعلت أوضاعهم مختلفة، فمعانات راييسكه لشرائه الكتب العربية في أوروبا بسبب فقره، المدقع والمشاكل التي عانى منها بروكلمان مع الناشرين عند طباعة كتبه وتوجه معظم المستشرقين الألمان إلى مزاولة أعمال بسيطة لتغطية نفقاتهم واحتياجاتهم وخصوصاً الذين سافروا إلى بلدان أخرى وغادروا إلى أوروبا، فهذه الظروف مجتمعة ساعدت المستشرقين الألمان بشكل أو بآخر على تحلّصهم من الاستراتيجيات المسطّرة من طرف الدولة الألمانية وبعدهم عن الإيديولوجيات المتبنيّة من طرف النّازية لأنّها كانت منشغلة بأمور عسكرية وسياسية وتوسعية، فشكّل هؤلاء

¹ ينظر، نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ج3، ط3، ص 598.

منهجها مغاير للفكر السياسي الألماني والأوروبي وأحرزوا تقدما ملحوظا على صعيد المنهجيات العلمية وحاولوا قراءة ودراسة التراث الشرقي العربي الإسلامي بروح من الاعتدال والموضوعية، كما أنّ استبعاد المستشرقين الألمان عن الدراسات الموجهة، جعلهم على صلة بالواقع العلمي وبمناهج البحث في أوروبا وعمق معرفتهم بالنظريات العلمية التي ظهرت في أوروبا.

ويرى بعضهم أنّ الاستشراق في ألمانيا بقي محافظا على مستوى لائق من الموضوعية ويدلّ على ذلك ما أبداه مستشرقون ألمان كبار من أمثال فرتز شبات وجوزيف فانس ويوهانس من الارتياح إلى إهمال هتلر والنظام النازي لهم وعدم استعماهم في حروبه وهو ما يؤكد حيادية المستشرقين الألمان في اختيار الموضوعات التي يدرسونها¹.

عدم الارتباط السياسي بالعمل العلمي والإبداعي والتأثر بالعلوم الأخرى والآداب الشرقية للمستشرقين الألمان وضعهم تحت مجهر المدارس الاستشراقية الأوروبية الأخرى حيث: "كثير الحديث حول الاستشراق الألماني تحديدا بمنهجية تميل إلى إنصاف هذه المدرسة بتوكيد ميلها إلى الموضوعية والعمق والبعد عن الارتباطات التي أساءت إلى مدارس الاستشراق عموما"²، وإذا كان المستشرقون في البلدان الأوروبية الأخرى عملوا تحت التوجيهات والتوجيهات السياسية والدينية لبلدانهم، فإن المستشرقين الألمان كانوا على صلة بمناهج أوروبا وتطورها أكثر من صلتهم بالسياسة، ممّا جعل الفرق واضحا في طبيعة بحوثهم ودراساتهم حول الشرق والإسلام والمنهجية المتبعة في الدراسة والبحث.

هذا الدّرب الموضوعي والعلمي الذي انتهجه المستشرقون الألمان في دراسة العلوم الإسلامية والتراث الأدبي العربي والشعري منه بالخصوص، تطلّب منهم إتقان اللّغة الأمّ، التي كتبت بها هذه الآداب والعلوم الإسلامية المختلفة، فإتقان اللغة العربية لم يكن بالشّيء الهين بالنسبة للمستشرقين الألمان لأنهم بذلوا جهودا

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2008، ص 35.

² علي بن إبراهيم النملة، مسارات الإستشراق: من الإنلغات إلى الإنلغاف، مكتبة بيسان، بيروت، ط2، 2016، ص 265.

مضنية للوصول لذلك، حيث عبّر عن هذا المبدأ المستشرق الألماني المعاصر ألبرث ديترش عندما قال: "إنّ المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتّى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق"¹.

الوصول إلى النتائج السلمية التي تحقق المنهجية الإستشراقية الألمانية وغاياتها لن يتأتّى إلاّ بإتقان اللغة العربية، لأنّ موضوع الدّراسة والتأثر هي علوم إنسانية مفتوحة على كلّ التّأويلات والقراءات، "فقد لا يجد المتأثر بالتراث العربي المترجم غايته من الفهم والاستيعاب في النّصوص المترجمة لأن اللغة الأصلية لها بلاغة وبيان وقواعد لغوية خاصة فلا يمكن قراءة النّصوص العربية إلا بلغتها الأصلية لها لإدراك الشيء الكبير منها فقد أخذ هذا الجانب اهتماما كبير لدى الألمان فقد تعاملوا بمنهجية دقيقة مع علم اللغة فقد كان شليجل يؤكّد على دراسات التركيبات الدّاخلية للغات لإلقاء الضوء على علاقاتها الوراثة ويبدو أنّه وضع قواعد المقارنة لعلم اللغات المقارن"².

اكتشف الألمان من خلال الدّراسات المختلفة عن الشرق والعلوم الشرقية وبالأخص الإسلامية أن سرّ فهم هذا التراث باختلافاته، في معرفة قواعد لغته، سواء ذلك بالقراءة التاريخية في القديم، أو بتطبيق مختلف المناهج الحديثة في كشف أسرار اللّغة والخطاب، حيث ركّز شليجل في قراءاته للغات الشرقية واللغة العربية بالتّحديد على تطبيق مفاهيم تجريبية حديثة وطبقها على العلوم الإنسانية وفقه اللغة من خلال توظيف نظرية التطور والارتقاء، إذ إن اللغات الإنسانية قد نشأت في عزلة وإنفراد ثم تطوّرت فيما بعد وأصبحت الإلصاقية، ثم ارتقت إلى التحليلية ومن هذا المنطلق قسم اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل:

1- اللّغات العازلة: هي تلك اللغات الغير متصرفة و لا تلصق بأصولها حروف زائدة وليس بين أجزائها ترابط وصلات في النسيج اللغوي كاللغة الصينية.

¹ ألبرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي، 7، جوكنجن، 1962، نقلا عن محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص11.

² ر.ه، شليجل، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، سلسلة علم المعرفة، 227، الكويت، 1997، ص 246.

2- اللغات الإلصاقية: وتمتاز هذه اللغات بالسوابق واللواحق التي ترتبط بالأصل وتغيير المعنى ومنها اللغة البيانية واللغة التركية.

3- اللغات التحليلية: اللغات التحليلية التي تتغير أبنيتها بتغير المعاني فهناك المعنى العام والمعنى الخاص باللفظة خارج النسق اللغوي لها معنى خاص في ذاتها تؤذيه لكن داخل النسق اللغوي قد يتغير هذا المعنى لخدمة المعنى العام للسياق أو النص وقس على ذلك التشبيهات والمجاز والاستعارات وغيرها¹.

الدّرس اللّغوي وفقه اللّغة، حتمية لا مناص منها عند المستشرقين الألمان للإطّلاع الحقيقي على التراث الشرقي والعربي، لكن يتم ذلك وفق منهج معين استعمله القدامى من المستشرقين الألمان "وقد كان رايסקه على بينة من خصوصية قواعد اللغة العربية واستقلاليتها لذلك رفع من منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم مستقل، فقد تحرّرت منهجيته لتدرك ما لم يدرك أصحاب اللّغة المقدسة (اللاهوت) التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وكان رايסקه يهدف في دراسة فقه اللّغة العربية لتكون منطلقاً لبحوثه التاريخية"²، الاهتمام بفقه اللغة العربية وأصولها والاطلاع عليها كان الأصل في المنهجية الإستشراقية الألمانية في التأثير ودراسة الأدب العربي وهذه من بين الخصوصيات المنهجية والمعرفية للمدرسة الإستشراقية الألمانية.

إضافة إلى رايסקه والكثير من المستشرقين الألمان فلا يشرفني تعليقاته على كتاب "النحو العربي" للمستشرق الفرنسي دي ساسي: " يظهر أنّه استعان بالمنهج المقارن في تأصيل بعض الظواهر اللغوية بإرجاعها إلى أصولها اليونانية أو الآرامية أو العبرية كما هو الحال في جبروت، ملكوت، وحية أصلها حوية وهي في الآرامية حويًا"³ وعلى الرغم من أنّ دي ساسي من المدرسة الفرنسية التي تعتمد ملف الشواهد في الدراسات الأدبية المقارنة والصلّات الأدبية بين الآداب ومعرفة اللّغات وأصولها التاريخية والروابط التاريخية والأصلية لها، إلاّ أنّه تغافل في

¹ ينظر، عواد الحين مهدي، فقه اللغة العربية، فصول في نشأته ومباحث في تأصيلات معارفه، مؤسسة المعارف للطبوعات، بيروت، ط1، 2008، ص40.

² إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الإستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996، ص 128.

³ المرجع نفسه، ص 314.

الدّرس اللّغوي العربي على أصول البحث العلمي الموضوعي في هذا الباحث لكن المستشرق الألماني فلايشرته لهذه النّقطة واحترام الأصول اللغوية التاريخية في الإطلاع على اللغات.

كان أوغست فيشر الذي اتّخذ فلايشر قدوة علمية له، قد نظر بموضوعية وتحليل إلى فقه اللغة العربية وأسرارها البلاغية كأساس لا غنى عنه للتعامل العلمي في كل النصوص العربية وأن حدسه القوي للاحتمالات النحوية في مصطلحات اللغة، وتمكنه الجيد من الثروة اللفظية والاستعمال اللّغوي للعربية بدءاً بأقدمها وانتهاءً بلهجتها الحاضرة، ومعرفته الوطيدة بالنعوين العرب على اختلافهم (مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة) أهلتها لأن يبعث الحياة مجدداً في كل ما يختفي خلف الحروف الميّتة في النصّ العربي والاطلاع على الرّحم المعرفي لهذه النّصوص من خلال اكتشاف هذه الحروف ووظيفتها وطبيعتها داخل النسق اللغوي، وفي دراسته لترجمان القرآن اكتشف العجز اللّغوي في الصياغات الشائعة والضبابية التي تحيّم على الإيحاءات القرآنية من جهة اللفظ والأسلوب وحتى القراءات¹.

كان لظهور المناهج الجديدة في أوروبا الأثر الكبير في الدراسات الأدبية واللغوية بالأقصى، حيث تأثر به المستشرقون الأوروبيين و الألمان وإن اختلف التأثير بينهما في التطبيق على العلوم الشرقية والعربية، ومن بين هذه المناهج المنهج الفيلولوجي الذي يعرف "بفقه اللغة"، حيث كان له أهمية كبيرة في أوروبا خاصة في الدراسات والدراسات التاريخية للغات الأوروبية، واتّهم الألمان بهذا المنهج وطبقوه في دراساتهم بالشكل الذي يتناسب مع المنهجية المتبعة في دراسة اللغات الأخرى والتأثر بها، حيث قدم العديد من علماء اللغة لدراسة هذا العلم في ألمانيا لأنهم وجدوا أن الألمان قد تعاملوا بمنهجية دقيقة مع علم اللغة.

وفي مدرسة الاستشراق الألمانية برزجيل من الفيلولوجيين لا يمكن المرور على أعمالهم مروراً عادياً لأنّها ذات أبعاد واسعة التأثير على الدراسات الشرقية، فقد كان فلايشر قد أعاد تأسيس الدراسات العربية في

¹ ينظر، يوهان فوك، تاريخ حركة الإستشراق، مرجع سابق، ص 325.

ألمانيا... واجتمع حوله جماعات عديدة من الألمان والأجانب ليكتسبوا منه الدقة الفيلولوجية والنقد الفيلولوجي للغة العربية¹.

هذا المنهج في دراسات المستشرقين القدامى وحتى عند بعض المحدثين، أسس لقاعدة استشراقية ألمانية انتهجها المستشرقون الألمان تباعا بالتركيز على النهج التاريخي في الدراسات الشرقية ومختلف العلوم الإنسانية وقد سار على هذا النهج نولدكه ورايسكه وبروكلمان وغيرهم، كما أنّ ابتعاد المستشرقين الألمان عن الدراسات الموجهة، جعلهم على صلة بالواقع العلمي ومناهج البحث في أوروبا وعمق معرفتهم بالنظريات العلمية التي ظهرت في أوروبا، حيث ترى معظم الدراسات أن القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين قد شهدا ظهور كثير من النظريات النقدية في الفلسفة والتاريخ والأدب، هذه النظريات لعبت دور مهما على صعيد تحرير المناهج التاريخية في أوروبا من فعل العامل الديني المتعصب الذي شهد التاريخ بأثره الفاعل أيام الحروب الصليبية، كما تؤكد الدراسات والشواهد التاريخية على ضعف التنسيق بين الألمان وحكوماتهم هذه الفجوة وعدم الاتصال المباشر أو الغير مباشر في التفكير والاستراتيجيات، شكل منهجا علميا خاصا لهم، "وتوجد بعض الشواهد التاريخية التي تدل على ضعف التنسيق بين المستشرقين الألمان وحكوماتهم منها ما قام به سباني في وضعه لفكرة تهدف إلى عملية تبشيرية من خلال إنشاء مطبعة عربية لطبع الكتاب المقدس باللغة العربية وإرسال تلك النسخ للشرق ليصدق الناس هناك بنور الإنجيل الصادق وعندما أراد دعما ماديا لم تلق محاولته آذانا صاغية من الأمراء الألمان"².

وإذا ما أردنا أن نلمس أثر المذهب التاريخي على مناهج المستشرقين الألمان في دراساتهم للتاريخ الإسلامي والأدب العربي القديم، فإننا لا نجد هذا الأثر في تركيزهم الدقيق على التاريخ الشرقي والإسلامي بكل جزئياته، إذ لم يهتموا أدق التفاصيل والجزئيات كونها متداخلة مع الظاهرة التاريخية، وهي نتاج لزمانها الخاص بها

¹ هويدي أحمد محمود، الإستشراق الألماني، تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 2000، ص 29.

² يوهان فوك، تاريخ حركة الإستشراق، مرجع سابق، ص 57.

وإهمالها يؤدي إلى نقص وعجز يخلّ بنتائج البحث التاريخي، ففي حقل القصص الخرافية الشرقية أُلّف نولدكه عددا كبيرا من المقالات والرسائل الكبيرة والصغيرة وأسهم كذلك في إلقاء الضوء على تاريخ قصص ألف ليلة وليلة أو بعض حكايات هذه المجموعات، كما خصّ البحث في مجموعة قصص كليلة ودمنة مقتنيا طريق انتقالها من الهند عبر إيران والشرق الأدنى إلى الغرب¹.

الاهتمام بالتفاصيل ودقائق الأشياء السمة البارزة والواضحة في المنهجية الإستشراقية الألمانية، حيث يبحث فيها عن أصل الأشياء وماهيتها وجذورها التاريخية لأن النقص في ملف الشواهد أو عدم الإطلاع على السياق العام التاريخي للمنتج الأدبي قد يؤدي إلى نتائج غير مكتملة ولا يحقّق الكمال المرجو في البحث التاريخي. يقول رانكه-وهو أحد أعمدة المذهب التاريخاني في الدراسات الإنسانية والإسلامية-: "إنّ عملي يرمي فقط إلى وصف حوادث الماضي كما حدثت فعلا"²، فالدقة في البحث عن الحقيقة التاريخية سمة من سمات الإستشراق الألماني خاصة في دراسة الأدب العربي القديم باعتبار هذا الأخير كان منقولا مشافهة وبعض مصادر الشعر الجاهلي لم تكن صحيحة مما أثار فكرة الشك والانتحال في الشعر الجاهلي القديم، وهذه خدمة كبيرة قدمها المحققون الألمان للتراث العربي باستعمال المنهج التاريخي في تحقيق المخطوط والنصوص القديمة وحتى المعاجم العربية.

ويقول رودري بارث في التطور المرحلي بمنهجية في ظلل مناهج البحث التاريخية: "لم يتبع تطور الإستشراق-من مرحلة التحول النهائي إلى علم قائم على النقد التاريخي-طريقا مباشرا مستقيما، ولم يتم الاشتغال بالشرق وبمحمد

¹ ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون، ج1، مرجع سابق، ص 121.

² عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز النقابي العربي، بيروت، ج2، 2006، ص 383.

صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي نشره التحرر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدّفْع والمشاحنة إلا في العصر الحديث وتدرّجياً¹.

حتى في الحاضر لا يزال اهتمام الإستشراق بالماضي الشرقي مهيمنا على الدراسات الإستشراقية ضمن النهج التاريخي غير أنه لم يعد بذلك الشّكل الذي يستأثر على الدراسات بشكل مطلق مثلما كان عليه مع المستشرقين الألمان القدامى وذلك بسبب عدّة عوامل منها المقتضيات السياسية باعتبار الشّعوب الشّرقية أصبحت محرّرة جغرافيا وانعكس ذلك على الفكر والعلوم الإنسانيّة بما فيها الأدب العربي وتولدت لدى الشعوب الشّرقية جرأة في إثبات الدّات وتحقيق الوجود بعد الاستكانة والخضوع ، هذا الاختلاف دعا الحاجة في تطوير مناهج البحث مما يتناسب والتغيرات الشّرقية-موضوع الدراسة- وذلك باستعمال سبل شتى منها الاهتمام أكثر بحاضر الشعوب الشّرقية والابتعاد عن النّمط القديم في الدراسة والبحث وترجع هذه اللامبالاة حسب أنور عبد المالك إما إلى الجهل الناتج عن اتّساع مجال البحث واتّساع فضائه (عربية، صينية، أمريكية، لاتينية، إسلامية...)، أو إلى التّمادي في الحرص على أولوية نظرية إستشراقية في المعرفة².

لا ننسى كذلك فئة أخرى من الرّحالة الألمان الذين كان لهم الحظّ الأوفر في الدراسات التاريخية فقد تضمنت هذه الدراسات العوامل المؤثرة في الأوضاع الاقتصادية والسياسية في المجتمعات الإسلامية، من خلال عملية الوصف التي قدّمها هؤلاء الرّحالة والتي كانت كثيرا ما يختلط معها الوصف الجغرافي الميداني واعتمادها مصادر المؤرخين والجغرافيين العرب، فالرّحالة هاينريش بارث كان يحاول اكتشاف جذور المجتمعات الإسلامية الأولى في مخالطته لهذه المجتمعات في إفريقيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر ميلادي)، فركز اهتمامه على تراث المرابطين في من بقي من خلفهم واصفا ممارساتهم وطباعهم وتأثيراتهم على البلاد وبحث أيضا التاريخ

¹ محمد إبراهيم الفيومي، الإستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994، ص 27.

² ينظر، محمد طاع الله، خصومة الإستشراق، مرجع سابق، ص 178.

المتحرك للمماليك القديمة في السودان، وأثبتت جداول إجمالية أدرجت فيها الأحداث التاريخية في السودان الغربي من أول أخبار المصادر التاريخية حتى العصر الحاضر بشكل واضح وشامل، وقد استعان بارث بمؤلفات الرحالة القدامى الذين سبقوه في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) وجعلها مصادر له، إلا أنه يذكر المؤلفين ولا عناوين الكتب¹.

رکز هاینریش اهتمامه على إفريقيا واعتمد الرحالة على اختلافهم هواة أو مختصين بحكم التجارة وغيرها من الزيارات، وحاول من خلالهم الإطلاع على كل التفاصيل الحياتية والعمرائية والاجتماعية وحتى الذهنية وطبيعة العربي في المجتمعات الإفريقية و"أفادت اهتمامات هاینریش بارث خلال رحلته إلى إفريقيا الدراسات الإستشراقية في نقلها من حدود الشرق إلى قارة جديدة هي بحاجة إلى المزيد والتقصي والاكتشاف وبالأخص اهتمامه بالسودان الذي ظل فترة طويلة على هامش الدراسات والأبحاث الإستشراقية"².

هذا الانتقال من المشرق إلى المغرب العربي آثار فضول واهتمام المستشرقين الألمان، إضافة إلى طبيعة البيئة المغايرة الذي تختلف في الكثير من المميزات على نظيرتها الشرقية وإن تشابهت معها في اللغة والعقيدة، لكن الطابع الإفريقي واختلاف الدول الاستعمارية على المشرق وحتى في طابعها العمراني الذي انعكس على فكرها وثقافتها من خلال كمّ من التراكمات السياسية والاستعمارية والثقافية وغيرها، هذا الاختلاف وجد فيه المستشرقون الألمان لونا جديدا للدراسات الإستشراقية في التأثير بالعالم الشرقي وعلومه وثقافته، لكن هذا التأثير لم يختلف في منهجه التاريخي الذي طغى على جلّ الدراسات الإستشراقية الألمانية، مما سبق لجولد تسيهر ونولدكه وغيرهم³، أي أنّ جملة من المستشرقين المحدثين أقروا العودة إلى الوراء وتطبيق منهجية ديكرات و إلى نقد النصّ بالطرق اللاهوتية القديمة.

¹ ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج1، مرجع سابق، ص 43.

² المرجع نفسه، ص 49.

³ رضوان السيد، ثقافة الإستشراق ومصائره وعلاقات الشرق بالغرب، مجلة الفكر العربي، العدد 31 يناير، مارس، 1983، ص9.

العودة بالمنهجية الإستشراقية إلى المنهج التاريخي سبيل لكنه ليس مطلقا مع المستشرقين المحدثين فهو واحد من بينهما وليس كلها مثلما حدث مع القدامى، هذا يفتح بابا آخر من أن الظواهر التي لا تقل أهمية ودلالة في الدراسات الإستشراقية هو الانحسار الملحوظ التي تشهده الظاهرة الإستشراقية مقارنة بفترات ازدهارها السابقة وتلك الظواهر يشير إليها رضوان السيد وهي قلة البحوث والدراسات الصادرة عن الاستشراق منذ العقود الثلاثة الماضية وتراجع عدد العارفين بلغات الشرق من الدارسين الغربيين والمستشرقين وأيضا تساؤل الاهتمام بتطوير معاهد الاستشراق وتناقض كراسي الأستاذية فيها.

هذا يفتح الباب أمام تساؤلات عدة منها: هل أصبح الشرق وعلومه كتابا مفتوحا لمستشرقين؟ وهذا سبب تراجع الدراسات الإستشراقية أم أصبح لهم عوننا من قبل أدباء ومفكرين عرب سهلوا لهم المهمة في الإطلاع على الآداب والعلوم الشرقية والعربية بالخصوص؟، أم أنّ الأدب العربي الحديث ليس بذلك الوزن والقوة المعرفية والفنية التي تثير اهتمامهم وتأثرهم به مقابل الأدب العربي القديم؟ ف"المسلمون عندما يتصدون لانتقاد أعمالهم (يعني المستشرقين) لا يتجهون إلى تعرية أصولها المنهجية لقبولها بشروط أو رفضها أو تحويلها وإنما يكتفون بانتقاء تحليلات وأحكام وأوصاف على حرفيتها ويربطونها بالنزاع السياسي القائم اليوم والصراع الديني الذي دام قرونا، وبذلك يستوعبون من غير وعي منهم المسلمات المعرفية التي تبنى عليها بحوث الاستشراق مما يزيد هؤلاء اعتزازا وغرورا"¹.

أصبحت المنهجية الإستشراقية مدعومة بتحوّلات فكرية وتكنولوجيات ساهمت وبشكل كبير في مساعدة المخابر الإستشراقية في الإطلاع على علوم الشرق وآدابه ومنتجاته الإبداعية ولم يعد المستشرق يعتمد النهج التاريخي الصّرف والرّحالة المتأثرين المنبهرين بالآداب الشرقية، فوسائل الاتّصال الحديثة والندوات والملتقيات وجسور التّواصل العلمي والبحثي والبعثات العلمية ومشاريع المعاهد التي أقامها الأوروبيون والألمان في الدراسات الشرقية،

¹ عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992، ص 117.

أثرت في المنهجية الإستشراقية بالشكل الذي يسهّل عملية التأثير والتأثر وقد يصل أحيانا إلى التّوجه وفرض الفكرة والتبعية الفكرية والأدبية من خلال مناهج وسبل حديثة ونظريات أدبية وعلمية وجوائز عالمية تمنح في المحافل الدولية.

تنوّعت أساليب المستشرقين في البحث عن حقيقة البيئة العربية التي شهدت ميلاد هذا الدّين الجديد من رحلات استكشافية وبحث في الآثار و النقوش والمقارنة بين النّصوص واستغلال ما في الكتب المقدسة من حديث عن تلك الأوضاع¹، ورغم تنوّع الأساليب إلا أنّ جلّها ظلّت في الطّابع التاريخي والبحث عن الأسباب والصّلات التاريخية والحفرية للعربية وأصولها التاريخية وحقيقة الأدب العربي والشعر الجاهلي من منظور تأصيلي يبحث في مصدر هذا الأخير، باعتبار أن البيئة العربية القاحلة أنتجت لغة راقية وشعر مميّز أذهل المستشرقين وآثار شغفهم لدراسة والاطلاع على حقيقته وطبيعته.

إنّ دراسة المستشرقين حسب التسلسل التاريخي يتيح لنا معرفة التطور الفكر الإستشراقي ونظرتهم للشعر الجاهلي وإن كان المستشرقون يتأثر بعضهم ببعض ويتداولون أفكارهم فيما بينهم ولذلك تكرر لديهم الأفكار والأحكام².

طغيان المنهج التاريخي على الدراسات الإستشراقية الألمانية لقي معارضة من داخل الاستشراق الألماني لطبيعة تعامل المذهب التاريخي مع الظاهرة التاريخية، فالمستشرق الألماني فرترز شببات، يرى أن هذا المذهب كلاسيكي وبسبب صموده وثباته جعل المراجعين الجدد من الأوروبيين والأمريكيين يحملون عليه وينبذونه، واعتبروه إقصاء لمناهج البحث الحديثة، التي قد تقدّم قراءة جديدة من منظور مغاير للأدب العربي الشرقي وفي ذلك امتياز وثناء للإستشراق الألماني، وقريب من هذا الرأي يرى بعضهم "أنّه لا بدّ من البحث حول الأبعاد الروحية قبل

¹ سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي (الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 2002، ص 25.

² يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص6، 5.

البحث في القضايا والمسائل التاريخية¹، هناك بعض المستشرقين المعاصرين يسعون إلى الاستفادة من مناهج البحث الحديثة والمتجددة التي باختلافها تختلف القراءات والتحليلات وربما في بعض الأحيان قد تغيّر الأحكام السابقة التي توصل إليها المستشرق عند اعتماده المنهج التاريخي الوحيد في الدراسة وهذا ما حدث فعلا في الدراسة التاريخية للشعر الجاهلي من طرف المستشرقين الألمان القدامى وفي حقيقة الأغراض الشعرية العربية الجاهلية والتشكيك في بعض القصائد، لكن القراءة الحديثة للمستشرقة الألمانية المعاصرة ريناتا يعقوبي درست الشعر الجاهلي قراءة مختلفة من خلال غرض النسيب وغيره من الأغراض الشعرية الأخرى، واعترفت بحقيقة الشعر الجاهلي وقدمت تصنيفات وتوضيحات في هذا الصدد، هذا لا يمنع بعض المستشرقين من العودة إلى تقاليد الماضي والمناهج القديمة في الدراسة والبحث.

المنهجية الاستشراقية في دراسة الأدب العربي اختلفت في طبيعتها ومنهجها عند المدرسة الألمانية، وحافظت على تميزها عن المدارس الاستشراقية الأخرى وتأقلمت في نفس الوقت مع المتغيرات السياسية والأيدولوجية والفكرية... وغيرها التي طرأت على العالم الشرقي والعربي، أكان ذلك على مستوى الفرد أو الإرث الأدبي والتواصل الحضاري، في ظل التطور وسهولة الاتصال بين الشرق والغرب.

¹ نادريوزنقشند، المنهج الإستشراقي في دراسة السيرة النبوية الشريفة، ترجمة محمد حسين زقراط، مجلة الحياة الطبية، العدد 21، 22، السنة 7، بيروت، 2007، ص 136.

ثانياً: دراسة الاستشراق للأدب العربي القديم والحديث

الإستشراق ظاهرة فكرية لعبت دوراً خطيراً في الفكر والأدب العربيين قديماً وحديثاً، فقد بدأ أخذ الإستشراق العلوم والآداب والفنون عن العرب ونقلها إلى الغرب، حيث أقام نهضته العارمة على دعائمها، وبلغ ما بلغه الآن من التّقدم والرّقي والازدهار، وحديثاً أخذ الإستشراق بالأفكار والنّظريات والآراء الغربية المؤسسة على ثقافة العرب فردّها إليهم مؤثراً بذلك في نهضتهم المعاصرة أبلغ التأثير¹.

هذه المعادلة حتمت على الباحث في مجال الأدب المقارن الخوض فيها واستظهار للقارئ و الباحث على حدّ سواء والكشف عن المتغيّر الذي قلب موازين القوى على جميع الأصعدة، خاصّة الفكرية والأدبية منها. فمنذ بداية الإستشراق البعيدة والغرب يهتم بكل ما صدر عن المسلمين، فهم الذين أنشئوا مئات الأقسام العلمية، كما تحتفظ مكاتبهم بألوف المخطوطات في شتى المعارف وقد أثبت أن بعض الأدباء في الغرب تأثروا بالأدب العربي في عصور ازدهار الأُمَّة الإسلاميّة والاهتمام بالأدب العربي في الغرب لا ينبع من ترف فكري، ذلك أن دراسة الأدب مهمة لدراسة الشّخصية التي أنتجت هذا الأدب وذلك، كما قال سمايلوفيتش فالأدب بالنّسبة للعرب: "يعدّ ديوانها ويتأمل تاريخها، ويبرز عقليتها، ويمثل انفتاحها، ويدفع بقدمها إلى الأمام... وظل الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الإستشراق محاولاً معرفة العرب وأبّجاءهم"².

من هذا المنطلق وما يمثله التراث العربي القديم بفكره وأدبه للعرب خاصّة والمسلمين عامة، انكبّ المستشرقون على اختلاف مدارسهم وتوجهاتهم وأهدافهم، على دراسة هذا الأخير، "وإذا كانت أعظم مآثر الحضارة العربية في الحقل الرّوحي قد أفرغت في اللغة فإن أسمى منجزاتها بعد القرآن كان هو الشعر الكلاسيكي أو عصره الذهبي في القرن السادس بعد الميلاد عندما كان الشّعراء في معظم أرجاء شبه الجزيرة ينظمون بلغة شعرية

¹ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص7.

² المرجع نفسه، ص 492.

واحدة ويتبعون قواعد بناء القصيدة متشابهة، وقد التزمت هذه القواعد التزاما صارما حتى أواخر العهد الأموي عندما وضعها دعاة الانشقاق في ظلّ الخلافة العباسية موضع الشك¹.

فكان الاهتمام بالأدب العربي القديم انطلاقا من موروث أدبي وفكري ولغوي ضخم، حتمّ على المستشرقين أنفسهم التأثير به ودراسته وبالأخص الشعر العربي القديم، لم يحمله من لغة شعرية فصيحة والتزاما صارخا بقواعد اللغة، وتناسقا ملفتا بين جلّ إن لم نقل كلّ القصائد الشعرية، لأنها كانت تنسج على قالب واحد وعمود مشترك وتحمل آثارا مختلفة وأخبارا عدة ومآثر متعدّدة.

فليس من الغريب أبدا أن تدور معظم بحوث الاستشراق حول هذا الأدب عامة وشعره خاصة لأنه كان في ذروته عندما أخذ سبحانه وتعالى ينزل كتابه على نبيه -عليه الصّلاة والسّلام- فقد ظلّ الأدب العربي بشعره ونثره من الأمور التي شغف بها الاستشراق محاولا الوصول إلى معرفة العرب واتجاهاتهم، لفرض فلسفته عليهم وتوجيهه إياهم من جانب وساعيا إلى كشف المؤثرات التي تركها هذا الأدب في آداب أوروبا المختلفة بجانب ما تركتها آداب اليونان والرومان من جانب آخر²، فهدف السيطرة لا يتحقّق إلّا في فهم طبيعة هذه الشعوب من خلال منتجها الفكري والأدبي الذي يعكس كلّ ما يصبوا إليه حتّى جغرافيتها الصّعبة والوعرة والحياة الاجتماعية المختلفة تماما عن الغرب، إضافة إلى شعرية وفنية العمل الأدبي، فكان هناك انعكاس خارجي يساهم في فهم العقلية العربيّة، وداخلي يتمثّل في قيمة العمل الأدبي نفسه.

أما الأدب العربي فهو رغم أنّه شخصي إلى أبعد الحدود، أدب عاطفي رومانتيكي من الطراز الأول أنه يمجّد العاطفة البشرية، ولكنه يفعل ذلك ضمن إطار الصّرامة الرسمية ومع هذا فقد ترك أثره في أدب أوروبي بعينه وفي الإيديولوجية التي رافقته³.

¹ روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة، مراجعة أنيس فريجة، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص 293-294.

² أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، المرجع السابق، ص 498.

³ روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 207.

الأغراض الشعرية القديمة من نسيب وفخر وحماسة وصولاً إلى الغزل، رغم جاهلية المعتقد إلا أن أخلاق الجاهلية كانت مجسدة في أشعارهم وموثقة فيها، فالشجاعة حاضرة والإيثار موجود والتعاون كذلك والعاطفة سواء إلى المكان أو الحبيب طاغية.

اعترف المستشرقون بعد دراسات مضنية ودقيقة للأدب العربي القديم بأنه ظاهرة مستقلة ذات كيان مستقل وبقي أن تدرس العوامل العقلية والثقافية التي تجمعت لتنتج هذه الظاهرة نفسها¹، اعتراف نابع من العزلة التي كان يعيشها العرب في صحراء قاحلة بعيدة عن معالم التطور والحضارة، نائية بنفسها عن العوالم الأخرى، يتعاملون مع طبيعة قاسية، فكان شعرهم هو الملاذ الوحيد لهم، يعبر عما يختلج في صدورهم وهمومهم، يؤرخ لأيامهم وحروبهم وإنجازاتهم، يجسد مفاخرهم ويدافع عن شرفهم ويمدح أحببتهم وأبناء قبيلتهم وحلفائهم، هذا المنجز الشعري الذي تميّز به العربي رغم بعده عن الآخر، اعتبره المستشرقون إنجازاً فريداً ومفتاحاً وإجابة عن كل تساؤلاتهم، فهم من خلال دراسته للشعر القديم يتسنى له فهم الشخصية العربية والفكر والجغرافيا والحياة اليومية... وغيرها.

وقد أدى هذا إلى تمكن المستشرقين من الوصول إلى وثائق تاريخية ووثائق جغرافية في المادة الشعرية كما يتطلب منطق البحث، وبهذا الاتجاه الجديد هو البحث في الربط بين الظواهر الأدبية من جانب وبين الحياة العقلية من جانب آخر².

الأدب كما يقول **عاصم حمدان**: "في كل العصور وعند جميع الأمم هو تعبير عن هوية أي أمة ومنطلقاتها الحضارية وإرثها التاريخي، ولهذا كان اهتمام الغربيين كبيراً بالتراث العربي القديم، لأنه كان تعبيراً حقيقياً عن هويتنا الحضارية"³، فجلت الدراسات كانت من هذا الباب على نحو معرفي استكشافي يطلع من خلاله

¹ ألبرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا تطورها التاريخي وضعها الحالي، دار النشر فرانز تشاينز فنبادن، 1967، ص 18.

² أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 502.

³ عبد الحميد المسلول، محاضرات في تاريخ الأدب القدماء والمحدثين، القاهرة، 1969/1968، ص 3.

المستشرق على ما يريد وإجابة على كل مبهم راوده، فوجد هؤلاء المستشرقون الشعر العربي القديم ملاذهم الوحيد لفهم هذه الحضارة التي تقف ندًا لهم وتشكل خطراً يهدد كيانهم وهيبتهم.

ظهر في مصر قبل بروكلمان كتاب في تاريخ العرب وآدابهم من تأليف إدوارد فاندريك وفيليدس قسطنطين، وطبع في بولاق سنة 1892م، وهو كتاب تعليمي لا تبدو فيه إلا نظرة عابرة في تاريخ العرب وآدابهم¹، فهذه الدراسة التاريخية كانت سطحية على نحو المعرفة والدراسة السطحية بالعرب أولاً والنتاج الأدبي ثانياً، فالأدب العربي كعمل أدبي لا يمكن أن ينفصل عن العربي ذاته وهذه من بين الخصوصيات التي لم يكتشفها المستشرقون لحدّ الساعة في إطلاعهم على التراث العربي القديم، فالعمل الأدبي والشعري منه بالأخص تعبير عن شعور وحيوة، فالشعر بالنسبة له حياته يعكس حلوها ومرّها، سهلها وصعبها، فلا يمكن للدارس أن يفهم العمل الأدبي إلا إذا ربطه بصاحبه وبيئته.

ظهر في العالم الغربي بروكلمان، الذي وضع الأساس لحركة علمية جديدة بكتابه "تاريخ الأدب العربي" سنة 1898م إلى سنة 1902م ويعتبر كتاب جامع لما تحت أيدينا في الأدب العربي وعلى الرغم من أنّ كتابه لم يتجاوز المظهر الخارجي للأدب العربي ولم ينفذ إلى دراسة نحوه الداخلي ولم يتعمّق في جماله الفني فإنّه مع ملحقة الذي صدر في الأعوام 1937م-1942م، يعدّ بحق "عدّة الباحث وعدّة المدارس وزاد الكاتب ومرجع المؤلف وأداة النّاشر في كل فروع العلم العربي"².

كانت خطوة بروكلمان خطوة عملاقة في دراسة الأدب العربي والتأثر بالتراث الشرقي، وقدم خدمة جليلة للأجيال الحاضرة واللاحقة وخاصة الغربية منها في الإطلاع على الأدب العربي من خلال بوابة هذا الكتاب، وإن كان قد فتح قمره جميلة في سبيل الدراسات الاستشراقية الموضوعية العلمية في التأثير بالأدب العربي القديم وخصائصه التاريخية، ومن جهة أخرى فتح الباب أمام دراسات إستشراقية أخرى تأثرت بعد ترجمة هذا

¹ فون جرونباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962، ص 80.

² مراد كامل، كارل بروكلمان، مجلة المجلة، يناير، 1960، ص 34.

الكتاب إلى لغات عديدة ومن أمثال هؤلاء نيكلسون وغيره، قراءات أخرى بلغات مختلفة ساهمت في التأثير بالعالم الشرقي وآدابه.

لقد سدّت هذه الأعمال الإستشراقية فراغا هائلا في ميدان البحث الإستشراقي للأدب العربي الكلاسيكي ودفعت به إلى الأمام بخطوات عظيمة على الرّغم من اقتناعها بالمظهر الخارجي له، لأنّها عبّدت الطريق أمام كل الراغبين للبحث فيه، حتى أخذت دراسته تتشعب وجذورها تتعمق وألوانها تزدهي، فقلّما نجد مستشرق لم يجربّ خطته في البحث في الأدب الجاهلي، أو لم يتناول على الأقلّ المعلقات والأمثلة كثيرة التي تعتبر بحقّ قمة من روائع الأدب العربي ويكفيها دليلا على ذلك ذكر أسماء بعض المستشرقين اللامعين الذين تناولوا الأدب الجاهلي وأشعاره العميقة وتخصّصوا في البحث عن بعض القصائد المفقودة والأشعار المبعثرة أمثال نولدكه وبروكلمان ويعقوبي... وغيرهم، الذين عنوا بعناية فائقة في هذا المجال¹.

هناك ثلّة أخرى من المستشرقين تأثرت بالأدب العربي القديم من شعر ونثر ومسرح وغيره ومن بين هؤلاء:

*خوان أندريس: أوّل من سجل في القرن الثامن عشر، فضل التأثيرات العربية في الآداب الغربية.

*خوان ريمير: أوّل من كشف أثر الموشحات والأزجال في الشعر الغربي عامة والشعر البروفنسي خاصة.

*آتين بلاتيوس: أوّل ما أثار تأثر دانتي في كوميديته الإلهية بالمؤثرات الإسلامية المختلفة.

*جونتال ثبالنشيا: أوّل من أكّد أنّ جميع قصص أوربا في العصور الوسطى قد اقتبست من الأصول العربية.

*راموس بيدال: أوّل من قرّر بأنّه إذا وجد في الأشعار الأوروبية في القرون الوسطى إجلالا وتقديرا يرجع إلى

المؤثرات العربية وحدها، إذ أنّها صاحبة الفضل الأوّل والأخير فيما ظهرت روح الشعر العذري في الآداب الغربية

بأسرها، وكان أوّل من دلّل على أنّ أبيات الشاعر جيون التي حار فيها الشّراح ليست سوى جملا عربية بحثة،

أخذها هذا الشاعر عن العرب لمعرفته بالعربية وأشعارها.

¹ أحمد سميلوفيتش، فلسفة الاستشراق، ص 499، 500، في عبد الحميد مسلوب، محاضرات في الأدب العربي بين القدماء والحديثين، ص 201.

*وليفي بروفنسال: أبرز من واصل نظرية ريبيرا حيث قدم بحثين أولهما نشره ديوان ابن قزمان وثانيهما الشعر الغنائي على جانبي الليرنات في حدود السنة 1100م، مما يدلّ أن لكلّ واحد من هؤلاء إسهاما خاصًا في الكشف عن بعض المؤثرات العربية الهامة في الآداب الغربية¹.

ومّا لا شكّ فيه أنّ "الأدب العربي أيام ازدهاره قدّم لتلك الآداب الأوروبية أشكالًا شعرية ونثرية وأوقفها على مضامين إنسانية وفكرية وبصرها بأساليب جمالية وفنية، جعلت كثير من كتاب الغرب تلاميذ لكتاب عرب ذات يوم"².

فأفق انتظار المستشرق الدارس الباحث في الأدب القديم لم يكن كذلك إلا بعد الدراسة والاحتكاك فعندما تبحر هؤلاء في جملة من القصائد العربية القديمة اكتشفوا أسراراً أخرى فكرية كانت أو جمالية أو فنية أو شعرية أو بلاغية أو غير ذلك، فالزخم المعرفي الذي تحويه هذه الأعمال الأدبية غير من الحكم وحتى القراءة والدراسة التي أصبحت فيما بعد تتطلب من المستشرق الدقة والعمق والإطلاع بغية الفهم وهذا مما أثار فضولهم وكبر طموح وشغفهم به، في نفس الوقت لا ننكر فضلهم وجهدهم الذي بذلوه على اختلاف أعراضهم وطموحاتهم في دراسة الأدب العربي القديم.

فدراساتهم في جميع الميادين "كشفت عن مخلفات لم تكن معروفة وساعد على نشر مخطوطات قيّمة ومكّنت من طبع كتب نفيسة بعد تنقيحها وتحقيق نصوصها والتعليق عليها وشرحها وترجمت طائفة من نفائس المكتبة العربية وذخائرها إلى اللغات الأوروبية الحية من إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية، فنشأ عن هذا الجوّ من البحث والدراسة استيعاب أبواب الثقافة العربية الإسلامية بين لغة وأدب وتاريخ وسياسة وتفسير وتشريع وعلوم وفلسفة، وقد وضعت في كل ذلك بحوث متعددة ودراسات متنوّعة عن مقالات مختصرة في الجرائد والمجلات

¹ ينظر، أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 493.

² أحمد هيكمل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، 1967، ص 35.

العلمية وكتب ومؤلفات موسعة مستقلة"¹، هذه البحوث ساعدت وساهمت في تسارع دراسة الموروث الأدبي من خلال جمعه وتسجيله لأن بعض القصائد لأكبر الشعراء لم تكن متوفرة وإنما كانت متناثرة هنا وهناك تطلب من هؤلاء جهدا في البحث عنها وبذلك ساهموا في إثراء الزاد المعربي والشعري للتراث العربي هذا من جهة، إضافة إلى اختصار الجهد في قراءة ودراسة هذه الأعمال الأدبية وتحليلها وفق مناهج مختلفة ومن زوايا عدة سمح للقصيدة العربية والشعر العربي عامة بتشعبه في زوايا الفهم والدراسة من جانب تاريخي أو اجتماعي أو نفسي أو لغوي أو فني أو شعري وما إلى ذلك من تقلبات الدراسة النقدية والأدبية والفكرية للأدب العربي القديم.

زيادة على هذا فقد اهتمّ المستشرقون "بالعروض وتحليل أوزانه أيضا"² واهتموا بموسيقى الشعر وانتبهوا إلى التسق الموجود داخل القصيدة، - كما أشرنا سابقا بأن الدراسة كانت مختلفة ومتنوعة داخليا وخارجيا- وهذا التنوع زاد القصيدة العربية والشعر عامة قيمة وفائدة وأكد مرة أخرى على أهمية الأدب العربي القديم عند العرب وحتى الأوروبيين الذين طبقوا مناهجهم المعرفية والنقدية والفلسفية عليه، واستفادوا من التجارب الشرقية فيما بعد. عندما أخذ المستشرقون يهتمون بالشعر العربي وعروضه الفريد اعتبروه من الشعر الكمي وحلّلوا أبيات إلى مقاطع بدلا من تحليلها إلى تفاعيل، كما صنع القدماء من علماء العرب وقد بدأ هذه المحاولة المستشرق أوالد وتبعه فيها معظم المستشرقين أمثال ريث وتراهم يقسمون المقاطع إلى أنواعها الثلاثة:

1*القصير .

2*المتوسط .

3*الطويل .

¹ إبراهيم مذكور، في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1970، ص 25-26.

² إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1965، ص 146.

غير أنهم لم يبصرونا بالفرق بين نعمة الشعر حين ينشد ونعمة النثر حين يقرأ قراءة عادية رغم اتفاق الاثنين في نظام توالي المقاطع¹.

وعليه واستنادا لما سبق، فقد نال العروض العربي اهتماما كبيرا من المستشرقين على عكس القافية العربية التي لم تلفت لا انتباههم ولا اهتمامهم حيث يقول محمد شكري عياد في هذا: "ولكن القافية لم تظفر من اهتمام المستشرقين والعرب بما ظفرت به الأوزان"².

كانت هذه بعض الوقفات للإستشراق في تأثيره بالأدب العربي وشقّه القديم والتراث الثقيل شعرا ونثرا وفي نفس المسار لم يهمل شقّه الثاني ألا وهو الأدب العربي الحديث فبدأ اهتمام الاستشراق بالأدب العربي الحديث بطيئا ومحتشما لأن بحوثه وأعماله الأدبية كانت حديثة العهد ولم يستقر على فكر معين أو منهجية واضحة وكانت معظم مناحيها سياسية عقائدية ودينية بحسب المتغيرات السياسية والثقافية والاجتماعية... وغيرها التي طرأت على المجتمع العربي مما انعكس بشكل أو بآخر على أعماله الأدبية وخاصة مع ظهور الفلسفات الغربية الحديثة، إلا أنّ اهتمام الدوائر الإستشراقية بالأدب القديم كان الأكثر بالنظر إلى المنجز الأدبي الرّاقِي.

ذهب أحد الباحثين العرب قائلا: "ثم ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة إلى تركيز اهتمامهم على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد وإهمال تطور الشعوب في العصور الحديثة والسكوت عن نهضتها القومية ولكنهم يقتصرون على وصف العناصر البالية الميتة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية"³.

¹ أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 507.

² شكري محمد عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، مصر، 1968، ص 94.

³ محمد كامل عباد، التاريخ والآثار، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1962، ص 175.

الاستشراق أثار الاهتمام بالأدب العربي القديم والحديث، ومن المعوقات التي حالت دون الاهتمام الغربي بالأدب العربي الحديث بالمقارنة مع قديمة نجد أحمد سمايلوفيتش قد تحدث عن هذه النقطة في رسالته ولخصها في أسباب كما يلي:

*1 حداثة البحوث في هذا المجال.

*2 أنّ الأبحاث في الاستشراق لم تتبلور بعد فكرياً أو منهجياً أو فلسفياً.

*3 اهتمام الغرب يتركز في الوقت الحالي على النواحي العقدية والدينية والسياسية.

*4 عدم وجود هيئة تتبع بحوثه التي تتعلق بالاتجاهات الحديثة في العالم العربي الإسلامي.

*5 لم يستطع الأدب الحديث بعد أن يفرض وجوده على هيئات العلم في العالم (وإن خطى خطوات جبارة).

*6 إنّ مراكز الاستشراق نفسها لا تشجع على معرفة طلابها بإنتاج الأدب العربي الحديث، حيث أنّها تفرض عليه البحث في الأدب القديم¹.

لخص سمايلوفيتش في هذه النقاط أبرز المعوقات التي حالت دون التركيز عن الأدب العربي الحديث لأنّ هذه الأسباب صحيحة وحقيقية في وقت خلى ولم تعد كلها واردة في عصرنا الحاضر بدليل الاهتمام المتزايد والمتنامي لمراكز البحوث الغربية والأقسام العلمية والإستشرافية المهمة بالأدب الحديث، ولكنّه اهتمام انتقائي وسوف نلج إلى هذه المسألة لاحقاً، فلا يمكننا أن نطلب من الغير أن يهتم بأدبنا الحديث ولكننا نرى أن هذا الاهتمام يميل إلى التركيز على جوانب معينة في أدبنا العربي، فهذه المستشرقة تؤكد أنّ الإستشراق الألماني مازال مهتماً بقصص "ألف ليلة وليلة" حيث تقول: "... لا يوجد أثر أدبي ينتمي إلى الشرق كان له التأثير الذي خلفته حكايات "ألف ليلة وليلة" منذ ترجمتها عام 1706م على الآداب الأوروبية بما فيها الأدب الألماني"².

¹ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب المعاصر، مرجع سابق، ص 509.

² حوار مع د. ريجينا قرشولي، المستشرقة الألمانية" أجرى الحوار حسونة المصباحي في مجلة المجلة، العدد 684، 17-23 مارس 1993.

فالأعمال الأدبية العربية القديمة سواء كانت شعراً أو نثراً استحوذت وبشكل كبير على اهتمام المستشرقين "ولكنها تضيف في اللقاء نفسه بأنها مهمة أيضاً بالأدب الحديث وتسوق لذلك مبرراً هو أنّ الأدب يشكل في اعتقادي أحد أفضل السبل للتقارب بين الشعوب لأننا لا نستطيع أن نلتمس من خلال ما ينتجه شعب من أدب ملامح الوجه الحقيقي لهذا الشعب"¹.

كان لزاماً على المستشرق العمل على مواكبة عجلة تطور الأدب العربي في العصر الحديث، فهم رغم فهمهم واطلاعهم على تاريخ الشعوب العربية وفكرها وحياتها الاجتماعية و ثقافتها من خلال الموروث الأدبي القديم الذي شكل صورة كاملة عن حياة العرب ومنهجهم وفلسفتهم، وعلى عكس فيما بعد معتقدتهم وسبل تخصصهم رغم عزلتهم عن الآخر إلا أنهم لا يمكنهم بتاتا التأخر والإغفال على التغيير الحاصل في الأدب العربي الحديث دون الإطلاع عليه وحتى المساهمة في بناء الحديث، وتحسد ذلك في الكثير من الأعمال الأدبية العربية سواء كان هذا التشكيل على مستوى العمل الأدبي وحتى الأديب نفسه.

مسألة الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية الأخرى وبالأنحصّ الأدب العربي الحديث لم تكن بذلك الحجم والكمّ بالمقارنة مع الأعمال الأدبية القديمة، وقد تطرق **صالح جواد طعمة** لهذه المسألة وكتب فيهم بأنهم: "كانوا ولا يزالون يوجهون جلّ اهتمامهم العلمي إلى غير الأدب من أوجه الحياة العربية المعاصرة، ولهذا لم يترجم إلا عدد ضئيل من الأعمال الأدبية الحديثة، إضافة إلى الأعمال المترجمة على قلتها لم تسوق تجارياً بالشكل المطلوب لذلك لم تجد الاستجابة المشجعة لدى النقاد والأدباء غير العرب إلا في حالات نادرة"²، فالأعمال الأدبية العربية كما سبق وأن ذكرنا كانت بطيئة بالنظر إلى الأعمال الأدبية المترجمة إلى اللغات الأجنبية الأخرى، ومن جهة أخرى يؤكد **صالح جواد** أن الأدب العربي الحديث "قد أهمل وهمش وأقصى كليا الأدب العالمي"³، فالانتقال من

¹ حوار مع د. ريجينا قرشولي، المستشرقة الألمانية" أجرى الحوار حسونة المصباحي، مرجع سابق.

² صالح جواد طعمة، الملتقى الأمريكي للأدب العربي في الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع2، شباط، 1987، ص 71-76.

³ المرجع نفسه، ص164 .

الأدب القديم إلى الحديث في الدراسات الإستشراقية لم يخدم هذا الآخر وهذا طبيعي لأن في الانتقال دائما يكون هذا البطء والتغير في المادة محلّ الدّراسة يفرض على الدّارس تغيير القراءة ومنهجية البحث في هذه الأعمال لأنّها تختلف عن سابقتها في الكثير من الأمور والموضوعات رغم اشتراكهما في نفس اللغة والموطن، ويرى إدوارد سعيد في مقدمته التي كتبها لكتابه "أيام الغبار" لحليم بركات: "أنّ الأدب العربي هو من الآداب المحظورة"¹ وإن كان في ذلك غلو في هذا الحكم لأنّ الترجمة إلى اللّغات الأخرى لم تنصف الأدب العربي الحديث بالنّظر إلى الجو العام الذي كان سائدا في أوروبا.

كتب إدوارد سعيد يدين حول نشاط الترجمة إلى الألمانية من اللغة العربية في سويسرا بأنه نشاط قليل بالمقارنة مع ما يترجم إلى الإنجليزية والفرنسية عن الألمانية ويرجع أسباب هذا الفتر في الأعمال الترجمة إلى اللغات الأخرى إلى:

*قلّة من يجيدون فهم الأدب العربي الحديث بعمقه اللغوي والاجتماعي والحضاري والسياسي².

*هل لدى المترجم المقدرة اللغوية والعمق الحضاري ولو جزئيا بالنسبة للألمانية بحيث يتمكن من إبطال إنتاج الأدب العربي المترجم إلى جمهور القراء الألمان بشكل سائغ وجميل ومفهوم؟.

*المشكلة الثالثة هي قلّة من يجيدون فهم الأدب العربي الحديث بعمقه اللّغوي والاجتماعي والحضاري والسياسي... ومدى قدرة المترجم وما لديه من المقدرة اللّغوية والعمق الحضاري ولو جزئيا بالنسبة للألمانية، بحيث يتمكن من إيصال إنتاج الأدب العربي المترجم إلى جمهور القراء الألمان بشكل سائغ وجميل ومفهوم... دور النّشر

¹ Eduard Saïd, *Dorientalism literature*, (Bloomington :Indiana University Press, 1993, p164-177.

² إدوارد بدين، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا في الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع4، شباط 1990، ص 219-216.

التي تهتم بالأدب العربي عددها قليل وعدد الكتب التي تستطيع نشرها محدود جدًا بالإضافة إلى قلة عدد المشتريين مما يرفع تكلفة الكتاب ولا يجعله مرغوباً¹.

يبقى رأي إدوارد سعيد واحد من بين الآراء التي تنادي بهذا الاتجاه وتدعمه وتؤكد عليه وآراء أخرى لها نظرة مغايرة تماماً، ومن بين هؤلاء محمد أحمد حمدون حيث يقول: "إنّ الاهتمام يتزايد عند المعاصرين من المستشرقين بالأدب الحديث وقضايا العالم العربي وفيما يتعلق بالأدب العربي الحديث فإن الترجمة في كتب مستقلة وفي الدوريات أخذت في الزيادة حيث ترجمت أعمال لأكثر المؤلفين العرب في معظم اللغات الأوروبية"²، يرى أنّ الأدب العربي الحديث بدأ يأخذ مكانه في دائرة الاهتمام من قبل المستشرقين ويستقطب دراساتهم وأبحاثهم ويدخل ضمن مخططاتهم البحثية.

ومن جهة أخرى يؤكد عاصم حمدان من خلال الاهتمام بالأدب العربي في عصور الازدهار وقلة الاهتمام بالعصر الحاضر أن نقطة الضعف التي يجدها الغرب اليوم في أدبنا هي ترديدنا لبعض نظرياته في الأدب بعد لفظه لها بعشرات السنين، ثم هو ترديد لا استيعاب ولا تمثّل فيه، ويضيف حمدان بأن "هناك بعض المستشرقين الذين قدموا النصيحة للأدباء العرب بأن يكون شعرهم عربياً خالصاً لأنه إنما يأخذ مكانته بين الآداب العالمية بتفرد وأصالته"³، نصيحة نابعة من الأثر البالغ الذي تركه الأدب العربي في نفوس المستشرقين وهذا اعتراف صريح بشعرية وفنية التراث العربي الذي استنطق الدارسين الغربيين بضرورة أن يحجز هذا الأخير مكانته ضمن الآداب العالمية، لأنّه يختلف عن الآداب الأخرى في خصائصه وأساليبه الفنية والجمالية ولغته وما إلى ذلك من الخصائص الأخرى.

¹ إدوارد بدين، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا في الاستشراق، مرجع سابق، ص 219.

² محمد أحمد حمدون، وقفات استقرائية حول جهود المستشرقين في الأدب العربي في المنهل، العدد 471، رمضان شوال 1409، أبريل، ماي 1989، ص 168-186.

³ عاصم حمدان "لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بتراثنا"، في صفحة المدينة المنورة، 1402/11/30 (ملحق التراث) وكتاب بعنوان دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، نادي المدينة المنورة الأدبي، 1997، ص 39.

بدأت في هذه الفترة تتحسن الصورة وتتضح الرؤى للاستشراق في نظرتة إلى الأدب العربي الحديث والأعمال العربية الحديثة، "حيث نشرت كلثوم عودة فاسيلفيا المنتخبات لدراسة الآداب العربية منذ سنة 1880م إلى سنة 1925م، التي تناولت فيها أديب إسحاق وجورجي زيدان وعبد الرحمن الكواكبي وأمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وبعد أن أضافت إلى دراستها الأدباء طه حسين و توفيق الحكيم وإبراهيم المازني وذا نون أيوب وعبد الرحمن الشراقوي وعبد الرحمن الخميسي ويوسف إدريس ومواهب الكيالي وصفى النبي... وغيرهم¹، وبدأت الوثيرة تتسارع والاهتمام يزيد وكانت أعمال أخرى لفتت انتباه المستشرقين وهي أعمال محمود تيمور الأدبية، "المستشرق المسلم جرمانوس تناول هذا الأديب اللامع في مكان آخر بعنوان "محمود تيمور والأدب العربي المعاصر" الذي أصدره بالإنجليزية عام 1951م وأخرى بعنوان "قراءات في أدب تيمور" الذي نشره باللغة العربية عام 1968م"².

فالعينة مغايرة والموضوعات مختلفة في طابعها ومضامينها باعتبار أن الكتاب العرب المحدثين متأثرين بفلسفات غربية مختلفة وحتى منهم من درس في الجامعات الغربية ونهل من علومها ومعارفها، مما يترك أثر لا يستهان به في فكره وينعكس بطبيعة الحال على إبداعاته، مما دعا ذلك إلى تغيير المنهجية الإستشراقية من طرف المستشرقين لأنّ الأدب العربي الحديث غير القديم وحتى أهدافه وغاياته تغيرت تبعاً للمتغيرات على جميع الأصعدة وضرورة مسايرة الواقع الأدبي والعلمي و استحداث موضوعات هادفة تتماشى ومقتضى الحال، كما قدم المستشرق جارمانوس دراسة على قصة "شمروخ" لمحمود تيمور وهناك مثالان آخران يجسدان التأثير الغربي بالأدب الحديث وهما: "ثلاثية" نجيب محفوظ لجاك جوميه و"العرب من أمس إلى الغد" لجاك بيرك.

¹ أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 511.

² أحمد سمائلوفيتش، ص 519، عن مجلة الإصلاح الاجتماعي، مطابع رابطة الإصلاح الاجتماعي، مايو 1968، ص 62.

كما نشير إلى كتاب يدلّ على مزيد من اهتمام الاستشراق بالأدب العربي الحديث، وهو كتاب جون.أ.هايفود بعنوان "الأدب العربي الحديث" 1800م-1970م، الذي حاول صاحبه فيه أن يحيط بالأدب العربي المعاصر إحاطة شاملة منذ فجر النهضة العربية الحديثة إلى يومنا هذا، مركزا جهده على كل من مصر ولبنان وسوريا والعراق على حدة، وبحث في الشعر والنثر معا في تطورها في الأقطار المذكورة دارسا رفاعة الطنطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومصطفى لطفى والمنفلوطي وعلي الجارم وتوفيق الحكيم وطه حسين ومحمود تيمور... وغيرهم¹، من الأدباء الذين شكلوا فضاء جديدا للأدب العربي- كما سبق وأن ذكرنا- متأثرين بالحضارة الغربية والحداثة.

وقد كان للمستشرقين الذين درسوا في الجامعات المصرية، وكذلك الطلاب الذين ابتعثوا إلى الغرب لدراسة الأدب العربي على أيدي المستشرقين دور في تأثر البعض في إفساد "الذائقة الأدبية" كما يقول الأستاذ محمود شاكر وهو ما عانى منه طيلة حياته وظهر واضحا في معاركه الأدبية المتعددة ومنها على سبيل المثال مع لويس عوض، الذي نجد تفاصيلها في كتابه "أباطيل وأسمار" ومع طه حسين في كتابه "المتنبي" وردده على طه حسين في قضية الشعر الجاهلي ونظرية الانتحال².

البعثات العلمية إلى الغرب وخاصة مصر، أنتجت طبقة من الأدباء العرب المتعلمين على أيادي غربية لتدريسهم الأدب العربي، فكيف يمكن للمستشرق أن يكون عربي في أدبه إذا كان ملونا بعض الشيء قليلة وكثيره ببعض الأفكار والمعارف التي لا تعكس فعلا حقيقة التراث العربي وقيمه وهؤلاء المستشرقين كما رأينا سابقا، يدركون هذا تمام الإدراك ويعرفون طبيعة التراث العربي في منجزه الأدبي وقيمه وأهميته عند العرب، ومن الجوانب الأخرى التي يهتم بها الغالبية العظمى من المستشرقين في الأدب العربي الحديث فهو اهتمامهم بمن يكتبون من

¹ أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 540.

² محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار المدني، حدة، 1987، ص 26.

شخصيات أدبية تكتب باللغات الأوروبية، وهؤلاء يطلق عليهم عبد الله الكواكبي المرضي عنهم، أي الأشخاص الذي يلقون تمام الرضا من الغربيين يقول فيهم: "أما أولئك المرضي عنهم فهم الذين يعيشون عصرهم ويستحقون التكريم والتنويه بإنتاجاتهم، نلمس هذا في الضجة التي أثاروها حول ما كتبه الطاهر بن جلون الذي يصرح بأن الفرنسية هي التي تعبر عنه و عن إحساسه فاهالت عليه الجوائز الأدبية، ومثل الجزائري عبّ الذي ذهب به حب الفرنسية والدفاع عنها إلى حد بعيد إذ رصد جائزة من ماله الخاص لمن يكتب عملا أدبيا مميّزا بهذه اللغة"¹.

نلاحظ هذا الأثر البالغ الذي تركه التكوين الغربي للعنصر العربي المثقف، الذي هو واجهة المجتمع ومنبع الفكر وقائد الحركة الأدبية والفكرية في مجتمعه، هذا التأثير السلبي الذي يعكس الفجوة التي يحاول المستشرق أن يحدثها بين العربي والأديب العربي خصوصا، بينه وبين لغته التي هي أصل علومه وقيده أفكاره وإرثه سلفه، وقوته في مواجهة غيره وسر نفوذه لأنها لغة القرآن الوحي المنزه عن الخطأ، اللغة التي لا تموت خلدها الله سبحانه في كتابه.

وفي الجهة المقابلة إهمال وحتى عداوة ونفور لمن يتحول عن الكتابة من الفرنسية إلى العربية أو إذا خالف أفكارهم ويذكر الركيبي من هؤلاء مالك حدّاد الذي لا يكاد يذكر اسمه عندنا إلا ناذرا، أمّا في الضفة الأخرى فلا يذكر اسمه بتاتا لسبب معروف وهو دفاعه عن العربية ورفضه الكتابة الفرنسية بعد الاستقلال، في حين أنّ غيره يشيدون به محليا وفرنسيا مثل كاتب ياسين ومولود معمري وبن جلون وغيرهم، ويستشهد الركيبي بما كتبه رشيد بوجدرّة بأن الفرنسيين يشجعون الكتابة بالفرنسية لأنّ هؤلاء يكتبون نصوصا سياسية تروق الفرنسيين وتروّج أفكارهم وبعضهم الآخر يكتب القصّة بطريقة فنية جميلة تحمل أفكارا غريبة وموجهة أساسا للاستهلاك الغربي².

¹ عبد الله الركيبي، الفروكفونية مشرقا ومغربا، دار الأمة، الجزائر، 1993، ص 94.

² المرجع نفسه، ص 91، 92.

أخذت الدراسات الإستشراقية للأدب العربي الحديث تتشعب، وهناك دراسة حديثة العهد قامت بها "وحدة البحث العلمي" التابعة لقسم الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بإشراف مارسدن جونز وحمدي السكوت، التي تناول أكثر من مائة أديب عربي في القرن العشرين¹، فما يلاحظ على هذه الدراسة أنّها خطوة تستحق التشجيع لأنّها تدفع بعجلة البحث في الأدب العربي إلى الأمام وتدعم الدراسات الأدبية من خلال إحصاء عدد كبير من الأدباء العرب وتصنيفهم حسب منجزاتهم الأدبية وتصنيفهم كذلك تاريخياً من خلال تحديد الحقبة الزمنية وحصرها، إلا أنّ هذه الدراسات مسّت وبشكل كبير أدباء مصر بالخصوص وعلى عدد محدود من الجهات الأخرى والأعمال الأدبية العربية الأخرى.

هناك صور عديدة تعكس الاهتمام الإستشراقي بالأدب العربي الحديث في دعوة بعض الرموز الأدبية المعروفة في الساحة العربية لإلقاء المحاضرات في المنتديات الأدبية في الغرب وحتى للتدريس في الجامعات الغربية ومن بين هؤلاء النماذج نجد:

*الطاهر وطار، محاضرة في جامعة لندن نظمتها جمعية الدراسات الجزائرية التابعة لمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن في يناير 1996م.

*مظفر النواب شاعر حدائي المكان، معهد التربية بلندن، قدم قراءات من شعره بدعوة من لندن على هامش هذه الدعوة وألقى في الإذاعة بعض أشعاره بالفصحى والعامية.

*عبد الرحمن منيف وطارق علي، لقاء معهما بتنظيم معهد الفنون الجميلة يوم 23 سبتمبر، وقد حصل الكاتب على صمعة عالمية بسبب المجلدين الأولين في روايته حول تاريخ الخليج (مدن الملح) و(الخنديق) ومن المعروف أن المنيف يعيش منفاه في سوريا.

¹ مارسدن جونز وحمدي السكوت، أدباء مصر ومصر القرن العشرين، دراسة بيوجرافية بيلوجرافية نقدية، مجلة الجديد، 10 ديسمبر 1972، القاهرة، ص13.

*آسيا جبّار وحنان الشيخ وآنديريه شديد وماري كاردينال، في ندوة لمناقشة وضع المرأة في العالم العربي وعلاقة الرجل بالمرأة والمواقف العميقة للجنس والأوضاع النفسية¹.

الموضوعات منتقاة بعناية فائقة محجوبة بستار العوامة والتّحضر والخوض في موضوعات التي هي من الطّابوهات في المجتمعات العربية وليست من الأولويات والمسائل الهامة التي تشغل فكر المفكر والمثقف العربي، فله قضايا أسمى وموضوعات أخرى لها من القدر ما يمكنها من أن تكون موضوع الدراسة ومحور الملتقيات والمنتديات الفكرية والأدبية على الخصوص، ومن المنابر الغربية التي تفتح لدعاة الشعر الحرّ أو النشر المزعوم أنّه شعر، إذاعة لندن في برامجها الإذاعية وفي مجلتها "مجلة المشاهد السياسي" فهذه المجلة تهتم "بعبد الوهاب البياني وأحمد عبد المعطي الحجازي وإدوارد خراط ومحمود درويش" وغيرهم، كما قدّمت المجلة على مدى عدّة أعداد سجالات حول ما يسمى "قصيدة النشر" ومهما ادعت المجلة من موضوعية تظلّ غالبية الآراء التي استطلعت أو أتيح لها المجال، تنادي بأن هذا النوع من الكتابة لا بدّ أن يستمر وأن يبقى وسوف يأتي اليوم الذي يعترف به إن مجرد جعل هذا الموضوع من الموضوعات السّجالية التي تأخذ الوقت وتستغل الفكر يعطيه قيمة لا يستحقها وعناية ليس الأجدر بها².

كما دعت جامعة هارفرد الدكتور جابر أحمد عصفور عام 1995م لتدريس الأدب العربي الحديث والنقد الأدبي، حيث يقول فيه الكاتب الصحفي محمد صلاح الدين: "فليس كل ذلك إلّا هدمًا للإسلام يجعل المروق إبداعًا، والكفر الصريح اجتهادًا مأجورًا والزندقة بحثًا علميًا فوق المساءلة وفوق القانون"³، هذه العينة من الكثيرين الذين مارسوا العمالة الأدبية ونصبوا أنفسهم متحدثين باسم الأدب العربي الحديث وممثلين له ليس لغاية

¹ Middel East events in london, Society fonear and Middel East Studies, September, 1992.

² ينظر، أعداد مجلة "المشاهد السياسي" العدد 56 و57، 19.13 و 6، 12، نيسان، 1997، ص18.

³ محمد صلاح الدين، اجتهاد المرتدين، في صفحة المدينة المنورة، العدد 12219، 11 جمادى الأولى 1417 الموافق ل 1996/11/23.

أخرى إلا لأجل الشهرة العالمية والتكريمات في المحافل الدولية و الملتقيات الغربية على حساب اللغة والأدب العربيين.

ومن الأساتذة الزائرين كذلك نجد **صبري حافظ** بجامعة لندن وهو مهتم بانتقال الأفكار ودراسة التأثيرات المختلفة للكتّاب الغربيين على تطور الأدب العربي الحديث وظهور أنواعه الجديدة ومن مؤلفاته "دراسة لعلم اجتماع الأدب العربي الحديث"، كما شارك في كتاب عن القصة القصيرة والعامية المصرية، هنا يحاول الكاتب أن يبين للقارئ مدى تأثر الأدب العربي بالآداب الغربية وهذا ما يسرّ الغربيين عموماً.

من الأسماء الأخرى الحداثية محلّ اهتمام المراكز الإستشراقية **محمود درويش**، ففي المؤتمر الذي عقد في بودابست حول الأدب العربي كان من بين المحاور محور "تجديد لغة الشعر الحديث"، ومن بين المتحدثين **ساسون سوميخ** أستاذ الأدب العربي ورئيس معهد اللغات بجامعة تل أبيب، وقد أشار في محاضرتة إلى أن الشعر قد أصبح منفتحاً بسبب التأثيرات اللغوية الشعبية والعامية وقدم من الأمثلة على ذلك **محمود درويش**، **صلاح عبد الصبور**، **مظفر النواب**¹، فهذا التهافت الغربي والإشادة الكبيرة ببعض الأدباء العرب الذين انسقوا وراء الأفكار والفلسفات الغربية لدلالة واضحة وصریحة حول النية المبيتة في ضرب التراث العربي والإسلامي بالخصوص بأصحابه ومن ينالون الخطوة في الدراسات والاهتمام عند الغرب في العصر الحاضر "حسين أحمد أمين، إميل حبیبی (الشيوعي الإسرائيلي)، طه حسين، غسان الكنفاني، جمال غيطاني، يوسف العقيد، إميل نصر الله... وغيرهم.

وقد تنبّه المفكر **أحمد سمايلوفيتش** لهذا الأمر وتحدّث عنه لمّرات عديدة، حيث ذكر عدداً من الدّراسات الإستشراقية حول الشّعر العربي المعاصر قائلاً: "وهذا ما يدلّ على اهتمام الاستشراق البالغ بهذين

¹ عبد العزيز عطية الزهراني، قبيلة أدونيس، في رسالة الجامعة، نشرة يصدرها قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، الرياض، العدد 558، 03 ذو القعدة

الاجتاهين الرئيسين (الشعر المرسل والشعر الحر) في الشعر العربي المعاصر وتتبع الاستشراق المستمر له"¹. يقول في نفس السياق صالح طعمة: "لوحظ في السنوات الأخيرة إقبال متزايد على ترجمة ما نسميه بـ "الشعر الحر" بفضل الحضور والإسهام العربي في الغرب فتعددت الأعمال المترجمة لأمثال أدونيس علي أحمد سعيد وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش وصالح عبد الصبور"².

رَكَز الاستشراق من خلال هؤلاء الشعراء والأدباء العرب المحدثين على ترجمة الأعمال الشعرية بقلبها الجديد (الشعر الحر) وكعادته دائما يركز على طائفة من الذين كتبوا في هذا اللون الجديد في الأدب العربي، " حيث لاقى أدونيس الاهتمام الواسع والتقدّم الباهر في المحافل الدولية وترجمت أعماله إلى عديد اللغات الأوروبية فلا ينقضي وقت طويل إلا وجدت خبر في الصفحات الثقافية في الجزائر الغربية بترجمة جديدة، فقد احتضنته الثقافة الغربية والأوروبية بالأخصّ ودعمته إعلاميا وكتبت فيه المقالات المملوءة بالمدح والثناء، وقدم على أنّه من رواد الأدب العربي الحديث وممثلا له، وقد عرفت باحثة أمريكية مهتمة بالأدب العربي أدونيس بأنه: "الشاعر المشهور عالميا والذي يعيش بين بيروت وباريس"³.

وهناك طائفة أخرى من الأدباء العرب المشهورين المحدثين الذين اهتمت بهم المراكز الإستشراقية في الأدب العربي الحديث، ونجد من بين هؤلاء جورج زيدان من بين الذين يكتبون الرواية التاريخية، التي لا تؤدي فعلا حقيقة التاريخ الإسلامي ومعانيه وقد تصل في بعض الأحيان للتّحريف، حيث كان جورج زيدان صديقا لبعض المستشرقين أمثال كرنيليوس فاندايك الذي هو أول رئيس للجامعة الأمريكية في بيروت، بالإضافة إلى

¹ أحمد سميلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 538

² صالح جواد طعمة، الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي، الرياض، 1981، ص 10.

³ جهاد فاضل، مقارنة بين نزار قباني وأدونيس، مجلة "في الرياض"، العدد 10477، 22 شوال، 1417، مارس 1997 .

صداقته بالمستشرقين الألمان نولدكه ومارجيليوث وجولدزبهر... وغيرهم، فكان لأثر هؤلاء على فكر وثقافته بالكبير والواضح في أعماله ورواياته بالخصوص، وعن رواياته يتحدث شوقي أبو خليل ويقول: "يواجه تاريخنا العربي وأعلامه محاولة مدروسة ودقيقة لتزييفه وإفساده وتجميع قيمته ومثله وهي محاولة لم تشهد أخطر من سموها وطعناتها ودسائسها كل ذلك في عرض روائي جذاب شيق هدفه طرح أرضية تاريخية وفكرة واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا وتراثنا وأدبنا ورجالاته"¹، هذا ما يأسف له القارئ العربي عندما يثق في بني جلدته على أهم النخبة التي تمثلها وتدافع عن تراثه وتحفظ إرثه الأدبي الثقيل بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فتسيل هذه الأقلام العابثة المستهترة بكتابة روايات وأشعار ظاهرها مغوي وباطنها ملوث مسموم بحجة الحضارة والتطور، هذا التأثير السلبي والمنهج من طرف المستشرقين الذين غرسوا أدباء عربا يمثلونه بطريقة غير مباشرة في تجسيد طموحاته وفلسفاته وأفكاره لتغيير المسار الأدبي القديم منحاه الصّحيح وتوجيهه إلى منحى آخر بأيادي محلية.

هناك رسالة دكتوراه أخرى قدمت لجامعة برنستون² حول جورجى زيدان، على أنه من أعمدة النهضة العربية المعاصرة وفي استطلاع لإحدى الصحف العربية التي تصدر في الخارج، كان السؤال عن أبرز الكتب التي كان لها تأثير كبير في القرن الماضي في العالم العربي، فأجاب البعض بأن كتب جورجى زيدان من بين تلك الكتب التي أثرت تأثيرا كبيرا في النهضة العربية الفكرية²، التي أريد لها أن تبني بدعائم غربية شاركت في بناء الفكر العربي الحديث بأنامل عربية كانت هي وسيلتها في ذلك المشروع الإستشراقي الذي نلاحظ ثماره في المجتمعات البسيطة والمتخلفة في آن واحد، سواء كان ذلك بالعمل الأدبي وقيّمته الفنية والتّركيز أكثر على الأعمال الأدبية الثّرية وبالأخصّ الرّواية وإقصاء نوعا ما الشّعري العربي مع تغيير نمطه القديم وتشجيع "الشّعري الحرّ" والخروج عن تقاليد الشّعري العربي القديم بحجة الحداثة .

¹ شوقي أبو خليل، جورجى زيدان في الميزان، دار الفكر، دمشق، ط3، 1982، ص7.

² المرجع نفسه، ص15

أدى هذا التأثير الغربي إلى تميز قصص نجيب محفوظ ورواياته بالدعوة إلى القيم الغير اللائقة بالمجتمعات العربية الإسلامية والتي لم تعهدها من قبل، من دعوة إلى اللهو والطرب والسخرية وغيرها، تماشياً مع الموضة الغربية، حيث يقول أحمد أبو زيد: "ومعنى هذا فساد الوجهة في مخطّط نجيب محفوظ القصصي كلّ الذي يروج فيه الشك والسخرية والاستهانة بالقيم والاستهزاء بالمقدمات وليست إذن رواية أولاد حارتنا هي وحدها...¹ ".

لعلّ من الأسباب البارزة التي جعلت الاهتمام الكبير بنجيب محفوظ خاصة في هذا المجال، هو تأثيره بالفكر الغربي والفلسفات الغربية كالوجودية والرمزية... وغيرها، التي كانت واضحة وجليّة في أعماله الأدبية والروائية منها وبخاصة ماركس وفرويد وداروين، ويقول أيضاً أحمد أبو زيد في السياق نفسه أنه: " لا غرابة أيضاً أن يهتم بها (أولاد حارتنا) دارسوا الأدب العربي من الأجنب والمستشرقين اهتماماً خاصاً ويفردون لها جانباً بارزاً من دراساتهم عن نجيب محفوظ، فقد وجدوا فيه صالحهم وأدركوا أنّها قصّة تحطم كل ما هو مقدس من الأديان والرّسل والكتب والغيبات"².

فقد حظي نجيب محفوظ بالاهتمام الغربي الكبير نظراً لإبداعاته الأدبية التي لا يمكن لأحد أن ينكرها أثرت الرصيد العربي في الأدب الحديث، وأدخل نوعاً جديداً انفرادياً بكتابه وتميز فيه ألا وهو فنّ الرواية، نقل من خلالها صوراً عن المجتمعات العربية المصرية بالخصوص وطبيعة الفرد العربي والتركيبية الاجتماعية للمجتمعات العربية متأثراً -بطبيعة الحال- بفلسفات غربية أثرت في كتاباته والدراسات النقدية التي تلتها إلا أننا لا يمكن أن ننكر الكمّ الأدبي الهائل -خاصة في الفن الروائي- الذي قدمه نجيب محفوظ، "وقد كان البعض يرى أن فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب عام (1988م 1408هـ)، لم يؤد إلى زيادة الاهتمام بالأدب العربي الحديث، لكن

¹ أحمد أبوزيد، المحكوم على الإسلام في الروايات الأدبية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة كتاب دعوة الحق، العدد 145، ص 90.

² المرجع نفسه، ص 71

نجيب محفوظ نفسه نال اهتماما كبيرا في هذه الفترة والتي تلتها، ولكن هذا لم ينعكس على الأدب العربي عموما.¹

كان لصالح طعمة رأي آخر حيث يضيف سببا آخر للاهتمام بنجيب محفوظ ومواقفه وآرائه حول قضية السلام وإن كان طعمة ينتقد هذه المبررات لأنه وجد فيها افتتان لشخص نجيب محفوظ وبالتالي بالأدب العربي المعاصر ويقول بأن هذا الأمر: "يروج لانطباعات متحيزة وتشويهات للمجتمع المصري والعالم العربي والإسلام."²

ومما اهتم به المستشرقون في الأدب العربي الحديث، هو التركيز على اللغة العامية وتشجيعها، وقد تحدث عن هذه المسألة أحمد سمايلوفيتش في كتابه "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" على أنها أخطر هجمة تعرّضت لها اللغة العربية في قوله: "إن حملات التغريب التي شنتها النفوذ الغربي وأعوانه على آسيا وإفريقيا مصوّبا هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام وإلى اللغة العربية بوجه خاص،³ فضرب اللغة العربية كان من الأهداف الأولى للإستشراق الغربي لأنها الأصل في فهم التراث والتقدم الأدبي والعلمي.

تأكيدا لهذا الاهتمام فقد بدأت الجامعات في نشر كتب نحو المتخصصة في اللهجات والقواميس الخاصة بكل لهجة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس من ذلك ما نشرته جامعة جورج تاون حديثا ومنها هذه الكتب:

*مرجع في قواعد اللغة العربية السورية وتأليف مارك كوول وجاء في تعريف الكتاب أنه يصلح للطلاب المبتدئين في اللغة ومرشدا في هذه اللهجة للمتخصصين في اللغة العربية وفي اللسانيات.

¹ مصطفى بدوي، تاريخ موجز للأدب العربي الحديث، مجلة العالم العربي الحديث في البحث العلمي، أكسفورد، العدد 3، 1994، ص 63 .

² صالح جواد طعمة، الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 15

³ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأجدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 688.

*مرجع موجز لقواعد العربية المغربية تأليف ريتشارد هارل وهذا مرجع علمي للطالب الذي حصل على مبادئ اللغة المغربية.

*قاموس اللغة العربية العراقية (عربي-إنجليزي) تحرير "وودهيدير ووين، وآخر (إنجليزي-عربي) لكاراتي و كارل ستوواسر ورونالد وولف. حيث لا تزال تصدر عن الجامعات الغربية ودور نشرها حول العامية، ومن ذلك مثلا الكتاب الذي شارك فيه الأستاذ الزائر بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (جامعة لندن) صبري حافظ عن القصة القصيرة العربية واللغة العامية وصدر عام 1995¹.

اللغة العامية كانت هي السلاح الوحيد لطمس استعمالات اللغة العربية الفصحى وحتى بعض الأدباء العرب أصبحوا يكتبون أو يدرجون اللغة العامية بأشكال مكثفة في ثنايا النصوص الأدبية، مما ساعد على انتشارها وانعكاسها على المجتمعات، لأنها تأثرت بهذه الأعمال فحاول المستشرقون أن يوطروا هذا الأمر ويجعلوه منظما من خلال كتب وقواميس تشجع على استعمال اللغات واللهجات العامية المحلية والتعريف بها بغية إحداث الفصل بين كيان اللغة العربية، لأنها كانت الشيء الوحيد ولا تزال الذي يوحد العرب، فالأثر لم يكن جليا في القرن الماضي كما هو حاله اليوم ولم يطلع الفكر الإستشراقي على العلماء العرب في القرن التاسع عشر مثلما اطلعوا عليه في القرن العشرين،" فلا نجد أحدا من مفكرهم في هذا القرن إلا وله صلة بطريقة أو بأخرى بجولد زيهر أو بروكلمان أو جيب أو كرا تشكوفسكي أو جرونيوم أو مرجليوث أو نالينو أو بلاشير أو ماسينيون أو بالثينا أو جويدى أو برجستراير أو آربري وغيرهم²، فهؤلاء من قادوا الفكر الأوروبي الغربي واطلعوا على الفكر الشرقي من خلال دراسات معمقة عن التراث العربي قديمه وحديثه ووهبوا سنوات من حياتهم لأجل هذه الدراسات، فالتابعون وجدوا الطريق معبدا ومفتوحا أمام الولوج إلى الدراسات الشرقية فكرية أو أدبية أو غيرها مما سهل لهم

¹ middle east studies list of members& center of near, (1995-1996), tucs, middle east studies association.

² أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 544.

فيما بعد التحكم في بعض المسارات للفكر والأدب العربي في العصر الحديث، "فالصلة الثقافية وثيقة بين الأدباء والعرب المحدثين والغرب لأنهم نهلوا منه ومع اعترافنا بأن كثيرا من العرب والمستشرقين أن الأدب العربي الحديث ليس إلا استمرارا لذلك الأدب العربي القديم وحتى إذا أخذنا في الاعتبار وذلك الصراع الذي دار بين المحافظين والمتقدمين فإننا لا نعتبر هذا الصراع نفسه إلا تأكيدا منطقيا واستمرارا تاريخيا للصراع الدائم الذي يدور بين القديم والحديث"¹.

الصلة حسب سمايلوفيتش لم تبتز بين القديم والحديث للأدب العربي باعتبار هذا الأخير استمرارا له، فالقطعية التي كان يحاول بعض الدارسين إحداثها ماهي إلا استجابة للتغيير الفكري والأدبي، والأعمال المطروحة في الساحة الأدبية العربية التي تلونت بألوان أخرى متأثرة بالثقافة الغربية تارة ومتماشية مع التطور الحضاري والأدبي والفكري تارة أخرى، "حيث دخل الاستشراق في ميدان جديد بالنسبة له وذلك سعيا وراء التعرف على الشخصية العربية وملاحظها الجديدة"²، التي تغيرت بفعل تغير العالم والإيديولوجيات العامة.

كتاب جون.أهايفود الأدب العربي الحديث(1800-1970م)، الذي حاول صاحبه فيه أن يحيط بالأدب المعاصر إحاطة شاملة منذ فجر النهضة العربية الحديثة إلى يومنا هذا مركزا جهده على كل من مصر ولبنان وسوريا والعراق على حدة، وبحث في الشعر والنثر معا وفي تطورها في الأقطار المذكورة دارسا "رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومصطفى لطفى المنفلوطي وعلي الحازم وتوفيق الحكيم وطه حسين ومحمود تيمور وحسين مؤنس وقسطنطين رزيق وصفا الخلوصي وغيرهم، ودرس بشيء من

¹ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق ، ص537.

² المرجع نفسه، ص540

التركيز الأدب الجدلي وأهميته في تطور الأدب العربي الحديث، ولم ينس أن يتنازل الأدب المهجري وأثره في الأدب العربي المعاصر¹.

ومن خلال هذه المقارنة التي عقدناها بين الأدب العربي القديم والحديث في اهتمام المستشرقين نخلص إلى جملة من النقاط نعدّها ثمرة هذه المقارنة:

*الأدب العربي القديم يحكي الأيام والسّير التاريخ والبداية والشعر دليل ذلك.

*رَكَز الاستشراق على الشعر العربي القديم دون الشر.

*الأدب العربي الحديث تأثر بالفلسفات الغربية ممثلاً في شخصيات أدبية معدودة على الأدب العربي وليست كلّها.

*اهتمام الاستشراق بالأدب العربي القديم في عروضه وموسيقاه الداخلية دون قافيته التي لم تلفت انتباههم.

*صفاء الشعر العربي القديم من التّبعية الفكرية والثقافية الغربية وامتناله للأصالة العربية والتراث العربي وقيم الجاهلية والإسلام.

*بعدما كان اتّصال الاستشراق بالأدب العربي على أغلبه غير مباشر في القديم، أصبح مباشراً في الحديث خاصة بعد حملة بونايرت على مصر.

*أثر الاستشراق وبشكل كبير على صياغة وتوجّه الأدب العربي الحديث وأدبائه المتأثرون به.

*الرّضا التّام للإستشراق على العمل الأدبي والأديب ذاته لا يكون مبنياً إلاّ على مصلحة ودافع برغماتي في قوله تعالى: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم."

¹ ينظر، أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص540

*الاهتمام الغربي الواضح بلغة الأدب والاستمرار في الدّعوة إلى العاميّة والشّعْر الحرّ والشّعْر المنشور وغير ذلك من صور الكتابة الحديثة.

*رَكّز المستشرقون على أدب الغربية والأدباء المغتربين الذين يعيشون بالمهجر المتأثرين بمنهجه وثقافته وفكره.

*ضرورة تشجيع الأدب المحترم الذي يقدم رسالة نبيلة في لغته وقيمه وأخلاقه، فالأدب ليس ترقاً وإنما رسالة مهمة وخطيرة في الحياة وبناء الأفكار، فالكلمة لها وقعها في أذن القارئ وتأثيرها على ذهنه وانعكاساتها على سلوكه وفعالة في تحديد مستقبله ما يستوجب الحذر الشّدِيد في انتقاءها.

ثالثاً: انجازات الاستشراق الألماني

هناك نقطتان جديرتان بالاهتمام يثيرهما كثير من الباحثين في حقل الدراسات الاستشراقية وبالأخصّ الذين تعرضوا لدراسة الاستشراق الألماني وهما:

أ-الألمان لم يشاركوا في الحركة الاستعمارية الأوروبية على البلاد العربية ولم تكن لهم مستعمرات من هذه البلدان، ولذلك نجح مستشرقوهم من السّلطوية السياسية.

ب- الألمان لم تكن لهم أهداف تبشيرية ولم يحاولوا التنصير، ولذلك نجح مستشرقوهم كذلك من العبث بالتاريخ الإسلامي ولم يمارسوا أساليب التشويه وغيرها مثلما كان الحال في المدارس الاستشراقية الأوروبية الأخرى.

وهاتان النقطتان توقف عندهما كل من الباحث ساسي سالم الحاج ومحمد فتح الله الزبادي وباحثين كثر ناقشوا فكرة براءة الألمان من الأهداف الخبيثة أم لا.

والنموذج الذي يمكن الحكم من خلاله على الموقف العلمي من الإسلام والمسلمين يمكن أن يستمد من الاستشراق الألماني، الذي يعدّ بحق أقرب الاستشراقات إلى العلمية والنزاهة، ويرجع هذا لأسباب عديدة من أهمّها جدية الألمان، وميلهم إلى الموضوعية والعمق وخدمة الأغراض العلمية، دون الدخول إلى استخدام الاستشراق لخدمة مباشرة لأغراض دينية كالتنصير¹.

امتازت المدرسة الاستشراقية الألمانية بغلبة الرّوح العلمية على اتجاهاتها وجل موضوعاتها خاصّة فيما يتعلّق بالتراث العربي الإسلامي واتّسمت بالتّجرد والإنصاف، هذه الرّوح متعتها امتياز الشعب الألماني بالخصّال المميزة كاللّذة العالية التي جبلوا عليها، والعناية الفائقة، والصّبر الجميل، وإتباع المنهج العلمي الصّارم بأعلى مقاييس العلمية المتعارف عليها²، لأنّهم كما سبق وقلنا لم ينساقوا ولم تمارس عليهم الضّغوط السياسية أو الأيديولوجية أو

¹ علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين، مكتبة التوبة، الرياض، 1998، ص178.

² محمد فتح الله الزبادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998، ص76.

مجازات التمدد الأوروبي الجغرافي على البلدان العربية وما صاحبه من فكر تغريضي يتماشى وهذه الطبيعة الاستعمارية العنقوانية ضدّ البلدان العربية، فكانوا متحرّرين من هذه القيود والسياسيات بعكس مستشرفي المدارس الأخرى ولم يكونوا ممنهجين في تأثرهم بالتراث العربي وآدابه، وإنما كان تأثراً يطبعه الإعجاب وحبّ الاستكشاف والاطّلاع على علوم وآداب الشرق وحضارته، ولم يكن لهم حتى الدّعم المادي أو الانتباه والاهتمام أو السّلطوية، لهذا الموضوعية هي سمة هذه المدرسة وإنصاف شعارها والروح العلمية دريها ومنهجها.

اتّصف المستشرقون الألمان بالتفاني في العمل و الصبر والمثابرة، فمنهم من فقد بصره مثل وستنفلد ومنهم من أفنى عمره باحثاً ومنقبا ودارسا وحتى إنّ يوهان رايسكه سمي شهيد الأدب العربي¹. فالفقر المدقع لأغلبهم لم يكن عائقا ولا حاجزا أمام إبداعاتهم ولم يكن مؤثرا على منهجهم باعتبار المغريات المادية الكثيرة و المتنوعة. هناك من الأصوات التي تنادي باحتكار التراث العربي، وقصوره على العرب فقط وأوهم أهله أنّه من حقهم لوحدهم الاهتمام به والاطّلاع عليه ودراسته هذا الموقف عبّر عنه نجيب العقيقي في قوله: "أما القول في تراثنا بأننا أهله وأصحابه ولا يجوز لنا بعد اليوم أن نتخلّى عنه لسوانا من الأجانب الغرباء، فقول مردود لأنّه يجرمنا من حقّ دراسة التراث الإنساني ولأولئك الأجانب الغرباء نصيب فيه و يسقط في الوقت نفسه عن تراثنا صفة إنسانية في تأثره بالثقافة العالمية... ولولا جهود المستشرقين لما أحطنا به واهتدينا إلى كل عظمة أسلافنا وحققنا تواريخ أولى دولنا"².

بما أنّ الطبيعة الإنسانية محكومة بالتأثير والتأثر الذي ينجم عنه معرفة الآخر والتّعرف على أعماله وأفعاله ومنتجاته الفكرية والعلمية لأجل تطويرها بعد معرفتها، ولا عيب في تأثر الآخر بأدبنا ولغتنا، فلولا قيمة الأدب العربي لما تأثر به الآخرون ولما آثار شغفهم في التّعرف عليه ودراسته لكن شريطة العلمية وإتباع المنهج المعتدل في هذا التّأثر والاطّلاع وهذا ما نحاول الكشف عنه من خلال المدرسة الألمانية.

¹ محمد فتح الله الزبدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، مرجع سابق، ص134.

² نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ج3، 1961، 1965، ص623.

ساهم الاستشراق عموماً والألماني خصوصاً في تحريك الوعي القومي في بلدان الشرق الذي ركزت مدة طويلة من الزمن وأهملت تراثها وتقاعست عن الاهتمام به وتطويره، وفي تنشيط حركة النهضة العلمية واليقظة بشكل عام... فريق من العلماء المستشرقين الأقحاح تحققت على أيديهم منجزات علمية ذات أهمية لا تنكر وإن غلبت عليها في كثير من الأحيان مسلمات وعادات منهجية، ومفاهيم تاريخية وفلسفية قللت من قيمتها، وهذا لم يكن متعمداً في كل الحالات، فكان إما جهلاً باللغة العربية أو اختلاف المصادر أو قتلها أو غيرها من المثبطات¹.

المنجز الفكري والأدبي لا يمكن نكرانه حيث كتب عن الاستشراق الألماني مجموعة من البحوث والمقالات والدراسات في العلمين الإسلامي والغربي - وإن كان هذا الأخير متحفظاً على المنهجية الاستشراقية الألمانية في دراسة التراث العربي - وقد شهد الطرفان بقدرة الاستشراق الألماني الموضوعية والعلمية ففي المؤتمر العالمي للدراسات الشرق أوسطية الذي عقد في مدينة "ماينز" في الثامن ديسمبر 2002م وضم 18 بلداً أوروبياً، قدم إدوارد سعيد ثناء استثنائياً للتراث التفسيري للبحث الفيلولوجي الألماني، كما أوضح أثره الواضح والقوي في أعماله وعدت مصدراً هاماً لكل من الفهم والنقد في عالم العولمة، وقد أثنى صلاح الدين المنجد كذلك على سيرة المستشرقين الألمان بعد أن عاشهم لمدة لا تقل عن ثلاثين عاماً معتبراً إياهم الأكثر نزاهة في التوجه العلمي وجدية في فهم التراث والتاريخ الإسلامي، وهذا ليس مدحاً اعتباطياً أو انحيازياً وإنما علمية واعترافاً بالمنهج السليم لهؤلاء في التأثير الإيجابي والمساعدة البناءة على القراءة والفهم والتحقق وغيرها، فكان لأعمال هؤلاء المستشرقين (الألمان) أهميتها العلمية لما أبرزته من تأثير على الدراسات الاستشراقية والأدب العربي في معالجتها بتاريخ الأدب أو التاريخ الإسلامي عامة، وما قدمته من دور في قيامها بعملية الجمع والتحقق والنقد والنشر والحفظ لتلك الأصول، أهم خاصية تفردت بها تلك الأعمال التي نبعت من نظرة إيجابية إزاء التراث الإسلامي ساعدتهم على التقرب من العرب والمسلمين عامة.

¹ ينظر، محمد عطاء الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق، ص 169.

وتتلخّص خدمات المستشرقين الألمان بجملة من أمور عدّة منها:

1- نشر النصوص القديمة: فمنذ أن مات رايسكه عام 1774م إلى اليوم الحاضر لاتزال تظهر لنا تحقيقات في النصوص الشعريّة والأدبيّة والتاريخية والجغرافية والفلسفية والعلمية والمعاجم والدراسات القرآنية والطبيّة، والتي تعجز بعض المؤسسات الأكاديمية العربية عن إخراجها¹، وبهذا ساهمت في نشر الثقافة الإسلامية وبيان الحضارة العربية وذلك لما نشرت من نصوص قديمة فهي بذلك ساعدت على نشر الآلاف من أمهات الكتب العربية والإسلامية، وهي تعكس الرأى والنشاط اللذان يتمثل بهما بعض المستشرقين الألمان والحماس الذي اندفعوا ولايزالون يندفعون به والتشجيع الذي لاقوه سواء من الدوائر الألمانية أم العربية العلمية².

2- نشر وفهرسة المخطوطات العربية: فقد ذكرنا كريستمان (ت 1613م) الذي وضع أوّل فهرسة لمخطوطات كان يقتنيها نبيل ألماني، ولايزال فهرس آلورد (في عشرة مجلدات) مرجعا لا يستغني عنه أي باحث لعشرة آلاف مخطوط في ألمانيا لوحدها³، وطال عمل المستشرقين في ذلك حتى أنّ بروكلمان مثلا استغرق نصف قرن في وضع كتابه (تاريخ الأدب العربي)، وقيام المدرسة الألمانية بتصنيف العديد من المعاجم العربية، واهتمامها بالدراسات المختلفة في ميادين الثقافة الإسلامية والعناية بالمخطوط العربي.

فكلّ هذا عمل مضني لأجل خدمة التراث العربي والتّميّز في الدّراسة والبحث والتّدقيق في المصدر وحقيقته، يقول مكسيم رودنسون في هذا الصدد: "إنّه لتدريب طويل وصعب يستحق الإعجاب على كل حال، فنحن الذي نصرّف كل هذا العناء والوقت لجمع المعلومات التفصيلية المتراكمة منذ مائة وخمسين عاما من كتب متوفرة على طاولتنا لا يمكن إلا أن نشعر بالإعجاب والإكبار أمام سيلفستردى ساسي الذي كان مضطرا للبحث عنها

¹ سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه، مرجع سابق، ص 121.

² ميشال جحا، الدراسات الاستشراقية في أوروبا، مجلة الباحث، العدد 13، أيلول، تشرين الأول، بيروت، ص 191.

³ سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه، مرجع سابق، ص 122.

في مخطوطات المكتبة الوطنية التي علاها الغبار، فهذه الكتب من تلك المخطوطات، ولولا جهود المستشرقين الأوائل لما توافرت لدينا جاهزة¹.

يعترف رودنسون بفضل المستشرقين القدامى في تذليل الصعوبات، وتكبدتهم للمعاناة واستهلاكهم للوقت من أجل كتابة كتب يستند إليها، وهي مراجع ومخطوطات مهمة للمستشرقين المحدثين الذين قرؤوا عن الشرق واطَّلَعوا على تراثه من خلال الكتب القديمة وخاصة في تاريخ الشرق والشعوب العربية، فهي أساس منهجي في الدراسات التاريخية للموروث الشرقي والعربي وآدابه وديانته ونمط عيشه وغيرها، فلا يمكن للمستشرقين المحدثين المهمتين بالدراسات الشرقية الاطلاع عليها إلا من خلال الدراسة التاريخية لماضي الشعوب العربية ومنطلق تراثها وطبيعة لغتها واكتشاف أصول البحث العلمي من خلالها.

ويعتبر غوته من أبرز الأدباء العالميين الذين تأثروا بحضارة الإسلام والأدب العربي، إذ يعتبر المرء في حكاياته النفسية على وفرة من السمات المستقاة من ألف ليلة وليلة، كما أن تأثره بالشعر الجاهلي (ولاسيما المعلقات) غير خفي على أحد خاصة في ديوانه الشرقي، وكذلك تأثره الشديد بالشاعر الجاهلي المعروف (تأبط شرًا)²، وكل ما تأثر به غوته هو من خلال الكتابات التي قرأها عن الشرق والعلوم والآداب الشرقية رغم أنه لم يحتك بالشعوب الشرقية ولم يسافر إليها.

التراث العربي عند وصوله إلى العرب أولاً وإلى العالم ثانياً لم يخلوا من اللمسة الألمانية لأنها كانت نظيفة الأيدي في إيصال المعرفة بالطريقة المثلى إلى المتلقي، ويجب علينا كعرب الاعتراف بفضل هذه الأخيرة في دفع عجلة المعرفة في الدول الأوروبية إلى الأمام وفي الكشف عن الكثير من خبايا التراث العربي، "وهذا لا يمنع من الاعتراف بمزايا الاستشراق ومنجزاته العلمية خاصة خلال فترة التمركز الاستعماري وذلك في أواسط القرن التاسع

¹ مكسيم رودنسون، وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات، ضمن كتاب الاستشراق بين دعائه ومعرضه، دار الساقى، بيروت، ط1، 1994، ص89.

² محمد حمود، الأدب الألماني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص47.

عشر وثلاثة الأخير، خلال هذه الحقبة أنشئت الجمعيات الاستشراقية... خلال هذه المرحلة من تاريخ الاستشراق وبعدها أيضا بدلت جهود كبرى وأنجزت مساهمات علمية خصبة في المجالات علمية مختلفة مثل: دراسة الحضارة القديمة وتجميع المخطوطات العربية في المكتبات الأوروبية، وإنشاء اللوائح عنها ومعالجتها تحقياً ونشراً، وإلقاء دروس منهجية على الباحثين والعلماء الشرقيين، ولئن كانت بعض الدراسات الاستشراقية تتسم بالنقص والقصور بسبب العائق اللغوي، خاصة فإنها تتسم في مقابل ذلك بقدر كبير من التماسك والدقة من الناحية المنهجية¹.

والمعجز الاستشراقي الألماني غير خفي على الدارس أو الباحث العربي باعتباره هو من اعتمد في بعض أبحاثه ودراسته على الكتب الاستشراقية الألمانية والنصوص القديمة العربية التي حققوها، ويصعب التشكيك في ذلك بان دفاعية دينية عاطفية تنبذ كل ما هو عمل استشراقي حيث "يستوي في هذا الموقف القائم على الانتصار العاطفي ممن ينطلقون من منطلقات قومية فيها غيرة على العروبة"²، فالمرج بين هذا وذلك غير وارد هنا، فالموضوعية تحتم الاعتراف بالإنصاف والعلمية والمنهج السليم في دراسة والبحث.

وانعكس ذلك بشكل أو بآخر على الأعمال الأدبية على اختلافها وفي منهل تلك الآداب والحكم عليها وإطلاق العموم من البعض وليس الكل، فذاك المنطلق القومي أثار على العمل الفكري والأدبي في صياغته والحكم عليه ونستدل على هذا من مضمون عبارة الإمام الحافظ عن عبد الرحمن بن مهدي (135-198هـ) من أكبر علماء الحديث في قوله: "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم"³، وهذا نبذ صارخ للتعميم على الأعمال الاستشراقية والعدائية المطلقة للاستشراق والاندفاع القومي والعروبي، ففي ذلك نظرة سلبية للاستشراق والمستشرقين والانتصار العاطفي للإسلام والتفوق لا يحقق التقدم. في نفس الوقت لا

¹ محمد عطاء الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق، ص168.

² محمد مزوغ، الاستشراق والمستشرقون في فكر هشام جعيط، منشورات الجمل، بيروت، 2016، ص21.

³ ابن تيمية احمد عبد الحلیم بن عبد السلام، شیخ الإسلام، اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة أصحاب الجحیم، تحقیق وتعلیق: ناصر عبد الکریم، العقل، الرياض، ط7، 1999، ص10.

نستهلك كل ما يكتب المستشرقون ولا نتأثر التأثر الأعمى الذي يؤدي إلى التهلكة والتّجرد وإنما الحيلة في قراءة المنهج وفي اقتفاء العلوم الاستشراقية على اختلافها.

لن يستطيع المجتمع الإسلامي أن يستغني عن التّعاون الأوروبي لبلوغه الغاية التي يصبوا إليها من التّقدم لثقافته وحياته الاقتصادية والاجتماعية، كما أن المجتمع الأوروبي لن يستطيع الوصول إلى الغاية القصوى من التّقدم في ثقافته الرّوحية بدون الاستعانة بالقوى الكاملة في المجتمع الإسلامي¹.

إنّ المجتمعين لن يتمكنوا من استعادة كامل القوى الكامنة فيهما وانشغالها قبل أن يستعيدوا ذلك التّفاعل الذي كان قائما بينهما، وهذا التّفاعل تشوبه الايجابية أحيانا والسلبية أحيين أخرى، وخاصة مع تطوّر وسائل الاتّصال فالتّفاعل والتأثير مع الآخر، أصبح حتمية لا مفرّ منها وتتطلب الفطنة والذكاء أكثر من ذي قبل لأن السّرعة في ردود الأفعال عواقبها وخيمة وتبعاتها أصعب، فميزات التّفاعل المعرفي أصبح أكثر فعالية وأكثر صعوبة في نفس الوقت باعتبار التّوسعات الجغرافية أصبحت فكرة بدائية وأصبح للفكر والعلم والتّطور التكنولوجي سطوة وخطوة لمالكيها، يتحكّم في الآخر كيفما يشاء ويوجهه أينما يشاء دون الوصول إليه ودون مشقّة أيضا.

يقول **مونتجومر وات**: "لقد كان لشعور أوروبا الغربية بالنقص عند مواجهتها للحضارة الإسلامية جوانب متعددة فالتكنولوجيا الإسلامية كانت متقدمة عن التكنولوجيا الأوروبية في كثير من الميادين"².

فإنّ أهمّ ما قام به المستشرقون الألمان وضع المعاجم العربية، فقد وضع **فريتاج** (1788م-1861م) المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء، تم وضع **فيشر** (1865م-1949م) معجما للغة العربية الفصحى وقاموس **هانز فير** (1909م-1981م) العربي- الألماني للغة العربية المعاصرة، وقاموس **شراكل** (1923م) الألماني- العربي الذي صدر سنة 1974م، والقاموس الضخم للغة العربية الفصحى الذي عمل عليه **أولمان** (1931م) في

¹ محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، مرجع سابق، ص32.

² المرجع نفسه، ص33.

جامعة توتنجن، وفي سنة 1980م كان قد وصل إلى الكاف (ك) وفي سنة 2000م انتقل العمل على هذا القاموس إلى جامعة ميونيخ ووصل إلى حرف الميم (م) وإن العمل على هذا القاموس سيستغرق 100 سنة. ومن حسن حظ المخطوطات العربية و النصوص القديمة والمعاجم العربية والإسلامية المقدرة بالآلاف قد وجدت طريقها نحو المكتبات الألمانية ولربما إذا وقعت تحت مجهر وبين أيدي المدارس الاستشراقية الأخرى لا كان مآلها الزوال والطمس حتما، فقد حظيت المكتبة الألمانية بنصيب الأسد من المخطوطات العربية ما يزيد عن عشرة آلاف مخطوط فهرست في عشرة مجلدات، وفي مكتبة جامعة جوتنجن جنوب ألمانيا نحو ثلاثة آلاف مخطوط من نفائس التراث العربي، استطاع المفكر والباحث العربي أن يستفيد وبشكل كبير من هذه المخطوطات المحفوظة في المكتبات الألمانية على اعتبار أن الاستشراق من حيث فئاته ومدارسه وبواعثه وأغراضه إستشراقات وليس استشراق واحد مما يمكن أن يكون موسوعة جيدة في هذا المجال إذا ما قام أحد مراكز البحوث العربية والغربية في إحدى البلاد العربية أو في الغرب بنشر هذه الإسهامات كتبا ومقالات ودراسات وأبحاث في عمل واحد ويتم تحريرها والتعليق عليها ونقدها ببيان ما قد اعترى بعضها من أخطاء علمية ومنهجية، ومدى تأثيرها في علاقات بين الشرق والغرب¹.

ربما القراءة الصّحيحة للتراث والتّكامل المعرفي بين القطبين المؤثر والمتأثر يدفع بالعملية الفكرية والعلمية إلى الأمام وفي ذلك منفعة للأدب والفكر العالميين، باعتبار أن بعض الأعمال الأدبية حققت العالمية وأثرت في الشّعوب البعيدة عنها ومن غير جنسها لكن الفكر ليس لها حدود ولا أزمّة.

أما الاستشراق فلا بد من اعتباره "من أهم عوامل النهضة الأدبية الحديثة والاتصال بالفكر الأوربي من بجانب ترجمة ما قام به المستشرقون من جهد في سبيل اللغة العربية وآدابها، وبحث العقيدة الإسلامية ومذاهبها ونشر ما

¹ السيد محمد الشاهد، المسيحية والإسلام، من حوار إلى حوار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2013، ص220.

عفت عليه الدهور، وأغفلته يد النسيان من كنوز اللغة العربية"¹. ومما لاشكّ فيه أن الاستشراق الألماني منه بالأخص شارك بجهود مستشريقيه مشاركة فعّالة في كل هذه العوامل على حدة حتى يمكن اعتباره بحق من أهم عوامل النهضة الثقافية والفكرية والأدبية في مصر في ذلك العصر ومن بعد إلى بقية الدول العربية الأخرى، لأن مصر أول من أرسلت البعثات العلمية إلى أوروبا وتأثّر الأدباء العرب أمثال **رفاعة الطهطاوي** وغيره بالفلسفات الغربية والنهضة الأوروبية ونقلوها إلى بلدانهم رغم ما قيل عن هذا التأثير والنقل الفكري والإيديولوجي وغيره.

لقد أكبّ المستشرقون على تراثنا، يبحثون ويتخيرون من كنوزه ما يرونه مناسباً للتحقيق والتصنيف والنشر، "فلم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر"²، حيث كان "رجوع المستشرقين إلى هذه المخطوطات أمراً لازماً من أجل فهم ما جاء فيها من معارف مختلفة تتعلق بحضارة العرب"³. لأن المخطوط هو أصل الحضارة العربية والتراث العربي ومنبعه ولا مناص في قراءة هذه المخطوطات وترجمتها والمحافظة عليها في المكتبات للدارسين المستقبليين المتأثرين بالدراسات الشرقية .

ويقول أحد الباحثين في التاريخ: "لقد أعان رجال الاستشراق على أصالة بحوثهم أنهم وقع لهم من كنوز التراث الشرقي والعربي وذخائر أفكاره ما لم يقع لأهله وأصحابه، فقد جاء حين على المخطوطات العربية كانت مجهولة القدر عند أصحابها الذين هم أولى الناس بها، وأحقهم بصيانتها وحفظها فانتقلت إلى خزائن الغربيين، فيما انتقل إليهم من التراث الشرقي والعربي ومن هنا أكبوا عليها وعكفوا على دراستها وأطالوا البحث فيها، حتى استقام لهم في ذلك دراسات سبقونا إليه، وكنا نحن أحق بهذا السبق"⁴، لكن اجتهادهم وحبهم إلى معرفة الآخر والاطلاع على علوم وآثاره ومخلفاته الفكرية والعلمية والأدبية حقّق لهم السبق الذي كان عن جهد واستحقاق لأنّ هؤلاء المستشرقون — كما سبق وأن ذكرنا — كرّسوا جهودات وسنوات من أعمارهم في هذا البحث والعمل

¹ عمر الدسوقي، نشأة النشر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، ط2، بدون تاريخ، ص371.

² محمود زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995، ص64.

³ محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص44.

⁴ علي حسني الخروبلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص125.

المضني في ظروف صعبة لا تتوفر على أدنى شروط البحث وخاصة المادية منها، واستغنوا في مقابل ذلك عن أشياء دنيوية وانقطعوا عن العالم وخصّصوا وقتا كبيرا لأجل هذا.

كان في مقابل ذلك فئة من المستشرقين مدافعة عن الإسلام وآدابه وعن التّراث الشّرقي وأصوله "وهي المزاياء والأفضال التي تكفل بتعدادها شقّ المعتدلين أو المنبهرين بخصال المستشرقين العلمية في حقل البحث والدّرس وإحياء أمّات الكتب التراثية ونفائس المصنّفات تحقّقا دقيقا ونشرا أنيقا، وذلك في زمن كان فيه المالكون الأصليون لتلك النفائس في حالة تخلف علمي وكسل فكري"¹، لم يستفيدوا منها ولم يكن العرب السّباقيين في تحقيق مخطوطاتهم ويكتشفوا تراثهم من خلاله رغم سهولة اللغة وقلة المشقّة لديهم على عكس المستشرقين الذين عانوا كثيرا من مشكل اللغة، لكن هذا لم يكن مانعا أمام إقدامهم على تحقيق المخطوطات وفهرستها وضحوا بحياتهم لذلك، "والمفارقة الأكثر غرابة هو أننا لازلنا نتعلم تراثنا العربي الإسلامي لحد الآن من مصادر غربية أي كما حقّقه المستشرقون المهتمون بالانحياز ضد أمّتنا من غير أن نوفر جهدا يذكر لتحقيق أصول معارفنا المتروكة في عهدة باحتي الغرب"²

ولاشكّ من وجود هذه المخطوطات في أيادي المستشرقين وما يؤكّد في ذلك نظرة سريعة إلى القائمة التي ذكرها إدوارد فان ديك من مطلع كتابه (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع) حيث نلاحظ 75% من المخطوطات العربية موجودة عندهم تكاد تنحصر في المكتبات الأوروبية في كل من برلين والأسكوريال وفلورانزا وجوته وكوبنهاجن ولايبزيغ ولايدين ولندن ولوندر وبيسالا وأكسفورد وباريس وروما وبطرسبرج وفيينا و 25% منها في

¹ محمد عطا الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق، ص 231.

² نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند ادوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 68

العواصم العربية والإسلامية لاسيما القسطنطينية (إسطنبول) وبغداد ودمشق وتونس والقاهرة¹، فهي بالمقارنة ما هو موجود في المكتبات الغربية وبالأخص المكتبات الألمانية منها هي نسبة كبيرة مع ما هو موجود بالمكتبات العربية السابقة الذكر، فهذا الإحصاء بسيط فإن دَلَّ فإنَّما يدل على التراث العربي المفقود والموجود بالجامعات الغربية وتحت تصرف باحثين غربيين، لكن النقطة الوحيدة التي تدل على التفاؤل هو أنَّ معظم هذه المخطوطات والإرث العربي في الجامعات الألمانية.

لقد لقيت هذه المخطوطات في أوروبا اهتمام عظيمًا، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها عناية فائقة، وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفا دقيقا وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات، وتذكر اسم المؤلف وتاريخ مولده ووفاته وغيرها من المعلومات عن المؤلف، وبذلك أسهموا في دفع عجلة الضبط الببليوغرافي².

هناك من يطعن في نوايا المستشرقين في جمع المخطوطات وصيانتها وفهرستها وقد يقال: إن الاستشراق والمدرسة الاستشراقية الألمانية كذلك لم يقدِّم بوضع "الفهارس إلا ليهيئ لنفسه وسائل جمع مادة علمية التي يتظاهر بها درسا جادا موضوعيا يستقرئ المسائل في دقة وشمول"³، ويحافظ على الإرث العربي من الضياع دون أن يكون له دافعا براغماتيا ويتبطن أهداف أخرى وغايات مختلفة، "وأنَّ تلك الجهود الإيجابية التي بدلتها المستشرقون في ميدان التوثيق للتراث العربي المخطوط على الرغم من أنَّها قد أدَّت بالفعل إلى توثيق، وضبط كميات هائلة من مخطوطاتنا العربية في أنحاء مختلفة من الأرض إلى أنَّها في نفس الوقت قد أسهمت بدور هام ورئيسي في تحقيق أهداف الحركة الاستشراقية بصفة خاصة حيث أمكن من خلال تلك الأدوات الببليوغرافية التعرف بدقَّة على

¹ ينظر، ادوارد فان ديك، اكتفاء النوع بما هو مطبوع، من أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، الهلال، القاهرة، 1896م.

² حمدي زقزوق، أعمال المستشرقين، مجلة عالم الكتب، العدد الأول، ص15.

³ محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي في ميزان الفكر العلمي في الدراسات استشراقية وحضارية، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1993، ص97.

طبيعة حجم الموروثات العربية المكتوبة وبالتالي تحليل مضامينها الفكرية والمادية عن طريق النقد والدراسة وانتقاء الأعمال التي تستفيد منها الحركة في تحقيق أهدافها الدينية أو العسكرية أو السياسية أو الإيديولوجية للتحقيق والنشر"¹.

المدرسة الاستشراقية الألمانية باعتبارها المستحوذة الكبرى على المخطوط العربي في مكتباتها وجامعاتها وهي ذات الأكثر دراسة وتحقيقا وفهرسة دقيقة لهذا المخطوط كان النقد الأكبر لها من جهتين أولهما المدارس الاستشراقية الغربية التي انتقدتها في منهجها المختلف في دراسة وتحليل التراث العربي والمعالجة الموضوعية لهذه المخطوطات لأنها لم تكن مرتبطة بالسياسات وإيديولوجية توجهها إلى تبني منهج معين يتماشى وأهداف سياسية ألمانية على عكس المدارس الاستشراقية الغربية الأخرى، وثانيهما الطرف العربي والدارسين وليس كلهم، من نبذوا كل ما هو غربي واعتبروه ملغما لأن السياسات الاستعمارية غرست فيهم تلك الأفكار وعودتهم على ردات فعل معادية للإسلام ومنهجيات غير موضوعية واعتبروا المدرسة الألمانية ماهي إلا انعكاس لاستشراق أوروبي جديد بحلة مختلفة شعارها الموضوعية والعلمية، وأن كان هذا الشعار صحيحا والمنهج متطابقا فإنها قد أطلعت الطرف المعادي على الموروث العربي وجعلته واضحا ومكشوفاً للمدارس الأخرى سواء كان ذلك عمدا أم لا، فهي لها من المسؤولية جانبا ذلك أنها نورت لهم الطريق وسهلت لهم الدروب في الاطلاع على الإرث العربي وبث سمومهم من خلال هذه المعرفة الدقيقة.

هذا بالإضافة إلى نسخ بعض المخطوطات وتحريرها أو تصويرها أو نشر اقتباسات من بعضها، فاستحدثوا لذلك وظائف النسخ، واستعملوا لها بعض الناسخين والمحررين العرب ممن يتمتعون بحسن الحظ من أمثال ميشيل صباغ المصري و الشيخ حسن زيدان وزروق الله حسون ومحمد عياد الطنطاوي وحسن تقال عدل

¹ عباس شقندي، الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث، مجلة عالم الكتب، مج5، العدد1، أبريل 1986، ص5-14.

وإبراهيم عبد الفتاح طوقان... وغيرهم، بل استحدثوا وظيفة "قارئ النصوص" يقف إلى جانب الأستاذة والمحاضرين¹.

ساهم العرب بشكل وظيفي من طرف المستشرقين وساعدوا على تذليل بعض الصعوبات اللغوية أو النصية أو غيرها التي صادفت هؤلاء في أبحاثهم وقراءتهم واستعان المستشرقون ببعض المفكرين الأدباء العرب كل في تخصصه في فهم بعض المخطوطات والنصوص العربية ويتم ذلك تحت إشرافهم ومراقبتهم ومن أمثال هؤلاء أحمد تيمور باشا، أحمد زكي باشا، ومحمد محمود الشنقيطي، الشيخ الطاهر الجزائري، وحسن عبد الوهاب، محمد رشاد، يوسف نجم، صلاح الدين المنجد، إبراهيم شيوخ، محمد إبراهيم الكتاني، العابد الفاسي، الفقيه التطواني، محمود محمد الطناجي، وابن أبي شنب، وكوركيس عواد، حمد الجاسر، والقاضي اسماعيل الأكوغ... وغيرهم ممن استفادوا وأفادوا²، حيث كان هؤلاء يتقنون اللغة العربية واللغات الأوروبية كالإنجليزية والألمانية بالخصوص.

ومما ساعد على الاهتمام بالمخطوط العربي، وجوده في المناطق التي يكثر بها المستشرقون خاصة في أوروبا الغربية، فقد توافرت المخطوطات العربية في المكتبات العربية "عبر قرون من الجمع والعناية بالحصول عليها من مواطنها الأصلية في البلاد العربية والإسلامية التي كانت شعوبها تغطّ في الجهل وعدم الاكتراث"³.

رغم أنّ المدارس الاستشراقية استعانت بالدارسين العرب في هذه المسألة واستفاد مفكرينا من هذه الشراكة الفكرية والأدبية إلا أنّ انعكاساتها على الأدب العربي والفكر عامة لم تكن بالشكل المرجو، لأنّ الدراسات الاستشراقية كانت متقدمة من جهة والمفكرين العرب تأثروا بالمنهج الغربي على اختلافه ولم يركّزوا كثيرا على موضوع الدراسة وإنما تأثروا بالفلسفات الغربية والآداب العالمية العربية وبقي العربي يتعلم تراثه من دراسات

¹ محمد محمود الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي في محاضرة عن التصحيف والتحرّيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص215، 222.

² المرجع نفسه، ص223، 224.

³ نفسه، ص26.

المستشرقين ومصادرهم وأصبحوا في بعض الأحيان يستدلّون بهم في كتاباتهم وينتهجون نفس نهجهم في الدراسة والبحث، "وقد استطاعوا أن ينشروا عدد كبير من المؤلفات العربية، كانت عوناً كبيراً للباحثين الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، وقد عرفنا الكثير من الكتب من كتب التراث محققاً ومطبوعاً على أيديهم"¹.

لا يمكن لأي دارس في الأدب والنقد العربيين أن يتجاهل أعمال المستشرقين الألمان أمثال "فيشر وبروكلمان وزيفريد هونكه ورايسكه، أثروا بمجهوداتهم المكتبة العربية والعالمية بمؤلفات لاتزال تؤثر في الدارسين المحدثين على اختلافهم مشاركة وغربيين وكتاب "تاريخ الأدب العربي" البروكلمان على الرّغم مما ورد فيه من بعض الأخطاء التي حاول دارسون عرب أن يتداركوها عليه كما فعل عبد الله بن محمد الحبشي، لكن يبقى له وكتابته فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم لم نستطع نحن كعرب فرادى وجماعات أن نقدم عمل بحجمه، وترجم هذا الكتاب من طرف محمود فهمي حجازي وآخرون من المهتمين باللغة الألمانية والعارفين بما ترجمة أفادت المتلقي العربي لحد الساعة.

وهناك مستشرقون ينفقون سني عمرهم في إعداد معاجم، وحسنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قضى أوجست فيشر (م. 1949) أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه وتعاون معه عدد كبير من المستشرقين²، وهناك ألمان آخرون كان لهم من القدر من نستدل بهم أمثال: "فلايشر واليه يرجع الفضل في فهرسة المخطوطات العربية، وبرتشواه لوراد، وزيلود وغيرهم"³.

كما أنّ هناك معاجم وضعت في ألمانية مثل: معجم هانزفير (العربي-الألماني) يعد معجماً رائداً وكتاب يوهان فوك من المصادر التي لا يستغنى عنها، وقد تحدث نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" عن جملة من

¹ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995، ص65.

² المرجع نفسه، ص72.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص180.

المستشرقين الألمان وإسهاماتهم الفكرية والأدبية وحتى اللغوية، كما قام بعض الأساتذة من المستشرقين الألمان البارزين بالتدريس في الجامعات العربية، وخصوصاً في القاهرة لإيصال فحوى التراث العربي إلى العربي أمثال ليمان، وبرجستراشير وشاده وشاخت، كما أنّ أول مدير للمكتبة الخديوية في القاهرة كان المستشرق الألماني شتيرن، وعين بعض الألمان أعضاء في مجامع اللغة العربية تقديراً لما قدموه من خدمات للغة العربية والدراسات الإسلامية، ومن المستشرقين الألمان المحدثين الذين تقلدوا كراسي في جامعات غربية وعربية لتدريس اللغة العربية والتعريف بمزايا التراث العربي كالمستشركة الألمانية آنا ماري شميل متأثرة بالمتصوفة المسلمين والشعر الصوفي الإسلامي ولها مؤلفات عديدة في هذا المجال وكانت لها مواقف جد مشرفة في الدراسة والبحث وحتى الفعل، كما أنشأت كذلك جمعيات كجمعية الشرقية الألمانية وإنشاء مجالات المتخصصة في الدراسات الشرقية مثل: مجلة عالم الإسلام التي أنشأها مارتن هارتمان ومجلة أخرى أطلق عليها اسم "إسلاميات" التي أنشأها فيشر.

قال رودى بارث: "أننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة"¹، فهو بذلك يؤكّد موضوعية وعلمية ومنهجية الألمانية في دراستها للتراث العربي وتحليله وتوصيله إلى العرب وغير العرب، فهي تنشُد الحقيقة الخالصة وتبغى الخوض في عمق تاريخ هذا الإرث والكشف عن خباياه، يقينا منهم أنه يستحق العناء والاهتمام والجهد، وإدراكاً منهم على المعرفة الخالصة الموجودة فيه.

وقد قام آلوارد بوضع فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات بلغ فيه الغاية فنا ودقة وشمولاً، وقد صدر هذا الفهرس في نهاية القرن الماضي واشتمل على فهرس لنحو عشرة آلاف مخطوط².

ونجد أيضاً آهلفارت الذي تعلّم العربية وأتقنها، وهو الذي وضع فهرس مكتبة برلين عن المخطوطات العربية وترتيبها ترتيباً دقيقاً، وقال رودى بارث في هذا السياق: "نحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في

¹ محمود حمدي زقزوق، أعمال المستشرقين، مرجع سابق، ص 15.

² محمود حمدي زقزوق، الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 60.

العلوم العربية والإسلامية لا تقوم بها فقط لكي نبرهن على صحة العالم الإسلامي، بل على العكس نحن نبرهن على تقديرنا الخالص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة¹، فبالإضافة إلى المكتوب في التراث العربي المقروء سلفاً أثار رودى بارث فكرة أخرى ألا وهي المجتمعات العربية والتروابط الموجودة بينها التي تعكس قيم الإسلام والأدب العربي في عصر الإسلام وما تلاه تجسيدا لهذه المثل والقيم وحتى العادات والمعاملات المختلفة عن المجتمعات الغربية مثل "العقوبة والمعتقد والجانب الروحي الموجود في المجتمعات، فالمستشرق يفهم حقا التراث العربي إذا عاشر المجتمعات العربية وتعايش معها واحتك بها، وتشارك رودى بارث مع فيشر في نفس الفكرة حيث قال: "أنه لا بد أن يتأثر (المستشرق) في المقام الأول بعادات العرب وأعرافها وبلغتها شعرائها، ومن ثم ربط فيشر بين لغة وأسلوب الكهان في الجاهلية العربية ولغة القرآن"²، أي هناك رابط قوي بين التراث العربي وأصحابه فقراءة النسيج اللغوي لا يتأتى إلا بفهم أصحابه والتعرف عليهم عن كتب.

لا ينكر المتابعون فضل المستشرقين في إثارة التراث وخدمته حتى للباحثين العرب والمسلمين مع التفاتتهم العمليّة للتراث، وفي هذا يؤكد محمد كرد علي على أنه: "لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدور الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ، ومعجم من استعجم، وفتوح البلدان، وفهرست ابن نديم، ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء وأخبار الحكماء، والمقدسي، والأسطخري، وابن حوقل، والهمداني، وشيخ الربوة، وابن جبير، وابن بطوطة، إلى العشرات من كتب الجغرافيا والتّرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، وبها وقفنا على درجة حضارتنا، ولولا إحيائهم تاريخ ابن جبير وابن الأثير وابن الفداء واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن أبي شامة، وابن الطقطقي وحمزة الأصفهاني وأمثالهم، لجهلنا

¹ محمود حمدي الزقزوق، أعمال المستشرقين، مرجع سابق، ص 15.

² عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993، ص 405.

تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا، ولو جئنا نعدّد حسنات دواوين الشّعْر أو كتب الأدب والعلم التي أحبّوها لطلال بنا المطال"¹.

وخدمات الاستشراق لم تقتصر على الشّعْر والأدب بل تعدّتها إلى العلوم الشّرقيّة الأخرى التي شكلت الحضارة المتنوعة للعرب في وقت ازدهرت فيه العلوم على اختلافها وزخرت المكتبة العربية بنفائس الكتب واستقطبت العلماء من كل أصقاع العالم ليطلّعوا على ما وصل إليه العرب في شتى العلوم والمجالات، لكن اكتشافهم للزّخم المعرفي كان متواصلا وممنهجاً على عكس أصحابه الذين تعاونوا عن المسير في درب أسلافهم والحفاظة على إرثهم حين استفاد منه غيرهم.

للمستشرقين أثر (دور) واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي منذ أن استقام عود الاستشراق وتكونت لديه العراققة، وتحوّل من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها ومدارسها وفناتها ومنطلقاتها وأهدافها²، هذا في الوقت الذي تأخّر فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث العلمية ومادية حتى خشى على ضياعه بينهم، عندما أصبح في كثير من دور الكتب قطعاً متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر ويسيطر بها الأسواق العامة وعلى قارعة الطرقات في غير إدراك لقيمة المباع وجسامته الفعل وخطورته على الحاضر والمستقبل، في مقابل ذلك "إن من المستشرقين من وقف نفسه على خدمة التراث العربي الإسلامي ونأى بنفسه عن الولوج في أي مشروع يراد منه الإساءة بالإسلام وأهله بأي شكل من أشكال الإساءة"³.

ومن خلال ما سلف ذكره عن الاستشراق والألماني تحديداً فقد اتخذوا ثلاثة اتجاهات في نشاطهم: نشر التّصووص، والتّعرّيف بالمخطوط والحفاظة عليه وفهرسته، ودراسة الفنون وأعلام التراث، وارتباط حركة نشر

¹ محمد كرد علي، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج7، 1927، ص455.

² علي ابن إبراهيم النملة، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد الوطني، الرياض، ط1، 1996، ص20.

³ محمود حمدي زقزوق، في مواجهة الاستشراق، المسلم المعاصر، مج17، العدد 65-66، يناير 1993، ص11-40.

النصوص بالجامعات والمعاهد العلمية وأن الفنون والتراث لم تحظ منهم بالقدر المتساوي من النشر، واتجاه المستشرقين أول الأمر إلى أصول العلوم والفنون واهتمامهم باستقصاء مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه، وكثرة استعانتهم بأهل اللسان العربي في تحرير النصوص خشية منهم الوقوع في أخطاء اللغوية التي تحدد معنى المبتغى، وحرصهم على تأدية النص أداءً صحيحاً، وحرصهم كذلك على تكشيف الكتاب المحقق، واهتمامهم بعلاقة الكتاب المحقق بالكتب السابقة عليه في موضوعه والكشف عن الصلات التاريخية الموجودة بينها، والدقة في البحث والتحرري والكتب اللاحقة المتأثرة به، ووقوعهم في أوهام غليظة، لاسيما فيما يتعلق بألفاظ اللغة العربية وتراكيبها ودلالاتها ومصطلحات العلوم العربية وفنونها التي شكّلت عائقاً في كثير من الأحيان للمستشرقين مما دعاهم الأمر - كما سبق وأن ذكرنا - إلى الاستعانة بالعرب المتقنين للغة الألمانية والإشراف عليهم¹.

ويمكن حصر إسهامات المستشرقين في خدمة التراث في خمسة مجالات حسب علي النملة وهي:

- 1- البحث عن المخطوطات والرحلة إليها، وجمعها ونقلها، وحفظها وصيانتها.
- 2- فهرسة المخطوطات، وتوثيقها وضبطها ورقياً (وعائياً أو ببليوجرافياً) وربما تكشيفها وتلخيصها.
- 3- تحقيق كتب التراث.
- 4- الدراسات حول التراث مع العناية بالمعاجم.
- 5- ترجمة التراث إلى اللغات الأوربية².

لخصّ علي النملة المخطات الإسهامية للاستشراق وترتيبها ترتيباً منهجياً حسب المنهجية الاستشراقية المتبعة

في خدمة التراث من بحث وجمع ونقل وحفظ وفهرسة وتحقيق وغيرها.

¹ ينظر، علي بن إبراهيم النملة، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 24.

وهنا كلمة حقّ يجب أن تقال وهي أنّ انتقال هذا العدد الهائل من المخطوطات إلى أوروبا بوسائل شرعية أو غير شرعية، قد هيا لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والفهرسة الدقيقة، وعندما نقول هذا نشعر بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة في كثير من بلادنا العربية والإسلامية وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل وصعوبة أو استحالة الاستفادة منها¹، هذا الإهمال الذي دفع ثمنه العرب والمسلمون غالبا في تبعيتهم الأدبية والفكرية والثقافية والعلمية وفي كل المجالات إلى الدول الغربية وتبعاته الوخيمة في ظهور جيل جديد من الأدباء المتأثرين التأثير الأعمى بالدراسات الغربية والأفكار الغربية عن الدين والمنهج الإسلامي، والبعيدة عن الموروث العربي، وأصبحت اللغة العربية غريبة في أوطانها كل من يتحدث بها فهو من الرجعيين، وأصبح الدين عرضة للفتاوي والأهواء، والأدب ملاذا للسّخب والطابوهات بحجة الحداثة العمياء التي نقلت عن الحضارة الغربية ما يسيء لنا ولتراثنا، ويكبح همم الغيورين على ارثهم في التقدم نحو الأفضل، وأصبحت الفلسفات الغربية كالوجودية والعبثية وغيرها طابع ينمّق أعمال أدبية عربية يفتخر بها كتّابها.

وكيف نتصوّر أستاذ للأدب العربي لا يلمّ ولا ينتظر أن يلمّ بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة، وإنما يلتمس العلم الآن من هؤلاء النّاس، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا أن ننهض على أقدامنا، ونظيرا بأجنحتنا، ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء النّاس من علومنا وتاريخنا وآدابنا².

وهناك أعمال جمّة قدّمها الاستشراق الألماني للأدب العربي والتّاريخ العربي في المجالات التي تحدّثنا عنها آنفا حيث "أنّ في ألمانيا وحدها اثنين وخمسين جامعة، ولعظمتها أقسام شرقية يرأسها مستشرق معروف، يعاونه شباب ألمان، لهم اهتمامات شرقية إلى جانب بعض المعيدّين الذين يدرسون اللّهجّات العربية العامية، وتخصّص كل جامعة

¹ محمود حمدي زقزوق، الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 63.

² مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1979، ص 9.

باختصاص استشراقي معين¹، ومن كبار المستشرقين يوليوس فلهاوزن الذي برز في مجال الدراسات الإسلامية محقق تاريخ الطبري وكذلك نجد نولدكه و كارل بروكلمان بجانب إبداعاتهم التاريخية كان لهم دور في تعلّم اللغة العربية وتعليمها، وقد كان للمعاهد الاستشراقية في الألمانيتين- قبل الوحدة- وفي الدول الناطقة بالألمانية أمثال: النمسا، وسويسرا وغيرهم من الدول الأخرى دور كبير في نشر اللغة العربية، وقلّ أن نجد مدينة كبرى في ألمانيا دون أن نرى مركزاً لتعليم اللغة العربية.

وفي مطلع القرن العشرين كانت الدراسات الاستشراقية الألمانية على وجه الخصوص تبلغ ذروة ازدهار، وحاملة الميراث والإشكاليات التي رافقت تاريخها كله وما كان هناك وعي نقدي بالإشكاليات، بل كانت هناك ثقة كبيرة بالنفس، وشعور بأن هذا التخصص أو العلم محظوظ بسبب كثرة المصادر الكتابية القديمة واستمرار تلك الثقافة في حياة العرب والمسلمين المعاصرين بحيث تسهل المتابعة ويسهل الاستنتاج والانجاز².

وهناك عدد كبير من المجالات الألمانية المتخصصة في الآداب العربية والإسلامية، أو في أمور السياسة والاقتصاد بالمنطقة، ولعلّ من أهم هذه الدوريات مجلة عالم الإسلام Diewelt des islam، وهي مجلة تعني بالتراث العربي والحداثة في الإسلام، "ويأتي في طليعة واضعي الفهارس العلمية وليم ألوارث، الذي وضع فهارس مكتبة الدولة ببرلين في عشر أجزاء، وهو معروف بالاهتمام بالشعر الجاهلي، وقد نشر معلقات علمية، وكان يكتب اسمه على كتبه: وليم ابن الورد البروسوي، تحباً للعرب، واعتزاز بالسير على منوالهم في اللباس والكلام"³، وهذا الجهد ثمنه عدد من العلماء والمفكرين العرب حيث قال أنور الجندي: "ونحن نحفظ لهم فضلهم في تبويب التراث وإعداده وفهرسته، وتحليله"⁴.

¹ سعدون ساموك، الوجيز في الاستشراق، مرجع سابق، ص 50-54.

² رضوان السيد، المستشرقون الألمان، النشوء والتأثير والمصائر، مرجع سابق، ص 31.

³ المرجع نفسه، ص 21.

⁴ ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، آثار المدرسة الألمانية، عرض وتحليل، مجلة حوليات البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 6، 2009، ص 416.

أدرك المستشرقون الألمان منذ بداية مسيرتهم في دراسة التراث الإسلامي والأدب العربي وكل علوم الشرق على اختلافها أن هذا التراث يمتلك أعداد هائلة من النصوص سواء في مكتبات ألمانيا أو العالم، تفرقت بفعل حركات استعمارية وتعاقب دول كثيرة على البلدان العربية، لذا كان لابد لهم من حصرها في فهرس، وقد وضع كريستمان فهرسا للمخطوطات العربية عام 1613م وفي مرحلة لاحقة قام **وليم ألفرد وزيبولد وبروكلمان وهلموت ريتز**، بإنجاز فهرس للمخطوطات العربية، وقد تم التطرق لأعمالهم في هذا المجال هذا الاهتمام بالنصوص القديمة عند الألمان والذي أخذ عناية متميزة بدأ على مستوى واسع منذ القرن الثامن عشر، وازداد هذا الاهتمام في القرن الموالي، إذ تم نشر المئات من النصوص القديمة، واختاروا منها مناهج أساسية وحيوية من التراث الإسلامي، وقاموا بتحقيقها ونشرها، وكانت موضوعات تلك النصوص متنوعة، منها في الشعر العربي الجاهلي القديم في الجاهلية والإسلام ومنها في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وغيرها¹.

وقد كتب **هلموت ريتز** الذي كان مرجعا مهما وناذرا في المخطوطات العربية مقالات كثيرة عن مخطوطات اسطنبول منها: مخطوطات عربية في مكتبة اسطنبول لم تطبع بعد، وقد صدرت في كتاب بعنوان: (ماساهم به المؤرخون العرب) (بيروت 1953م)، والمخطوطات المكتوبة بخطوط أصحابها في مكتبات تركية صدرت في مجلة ORICNS عام 1953م، والمخطوطات العربية في إسطنبول والأناضول، صدرت في المجلة نفسها عام 1949م، ومخطوطات التفسير التي صدرت في "أيا صوفيا" عام 1945م، كلها ساهم بها **ريتز** في مقالات كتبها تحقيقا للمخطوطات العربية.

والإيجابيات التي سنذكر هنا طرفا منها، بعضها يخص المستشرقون أنفسهم ويتصل بأسلوب عملهم ومدى ترابطهم، والقصد من ذكرها هو مجرد اعتبار بما فقط، وبعضها الآخر أمور تتصل بإنتاجهم العلمي الذي يعود

¹ ينظر، محمد سعدون المطوي، تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية، مجلة دراسات استشراقية، العدد الثالث، العراق، 2015، ص237.

بعضه بالفائدة على الدارسين العرب وإن كان المستشرقون قد قصدوا به في المقام الأول خدمة أنفسهم، إلا أنهم مع ذلك لم يحبوه عن غيرهم¹، ولم يتقصّدوا ذلك بل استفاد العرب من هذه الخدمات أيما استفادة" فكل من الثناء المطلق و التّجاهل المطلق تنافي مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرّقوا إليه من أبحاث"².

فلا يمكن إنكار ما أسهم فيه هؤلاء من تقديم التراث العربي في شكله المنظم والمنقح دون النظر إلى نية المستشرق التي ربما كانت بغرض نفعي بحث لذاته، ولكن انعكاساتها كانت إيجابية على العرب و علومهم، "وهكذا لن نغمطهم حقهم من تقدير ما لهم من أعمال علمية مفيدة، ولا ضير على المرء إذا اعترف بما لخصمه من مزايا و ايجابيات، إذ أن ذلك ربما يكون حافز لنا على النهوض و الاستعداد من جديد، وقبول التحدي الذي تفرضه علينا ظروف العصر"³. تأثر الألمان بالأدب العربي وخاصة الشعر القديم منه وولعوا بشعراء العصر الجاهلي ومن بينهم فردريش روكرت فقد كان شديد ولع بالشعر العربي و الفارسي و قام بترجمة مجموعة من الأعمال الشعرية إلى اللغة الألمانية كديوان الحماسة و المقامات الحريري.

وفي مجال الشعر الجاهلي دائما فإن أهم الدراسات التي تناولته هي: "دراسة نولدكه التي أثارت مسألة الانتحال و الشك في الشعر الجاهلي وهي بعنوان (في سبيل فهم الشعر الجاهلي)، وقد وقف نولدكه في بحثه هذا عندا موضوعات كثيرة تناول تكون الشعر الجاهلي، و طبيعته، و بدايته، و وصوله إلى العصر العباسي وحفظه، وقد لاحظ نولدكه تكرار المعاني في الشعر الجاهلي ووجود تشابه في صياغة بعض الأبيات الشعرية وعد ذلك أمر

¹ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 60.

² مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص 15.

³ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 60.

طبيعياً لتشابه البيئات، وأن صعوبة التي يواجهها المستشرق تعود إلى سبب وصول تلك القصائد بشكل مقطعات و شذرات مضطربة الترتيب و متنوعة في سياقها".¹

هذه الدراسات الألمانية للأدب العربي و الشعر الجاهلي ظلت محافظة على المنهج العلمي في الدراسات و البحث ويرى بعضهم أن الاستشراق في ألمانيا بقي محافظاً على مستوى لائق من الموضوعية وبدل على ذلك ما أبداه مستشرقون ألمان كبار من أمثال فرتز سبات و جوزيف فناس و يوهاسنن، من الارتياح إلى إهمال هتلر و النظام النازي لهم و عدم استعمالهم في حروبه و سياساته الخارجية مع الدول الأوربية أو غيرها وهو يؤكد حيادية المستشرقين الألمان في اختيار الموضوعات التي يدرسونها.²

زيادة على هذه الفعل ترجمي من العربية إلى الألمانية حيث كانت تأثيرات الألمان الأهم بالمقارنة مع الترجمات العربية إلى الألمانية في المجال الأدبي ممثلة في نشراتهم للنصوص الأدبية الجاهلية وما بعدها مثل: عيون الأخبار، و الكامل للمبرّد، و الاشتقاق لابن دريد و جزء من الأغاني للأصفهاني.

وترجم المستشرقون ألافاً من الكتب و المصنفات و الرسائل الأدبية والعلمية واللغوية والتاريخية كما ترجموا الدراسات لكي يوقفوا العالم عن الحضارة العرب، وكانت ترجماتهم دقيقة أمنية بليغة، بينما بعض المصطلحات استعصت عليهم لعدم تمكنهم من إدراك أسرار اللغة العربية كلّها، وقد توصلوا إلى مستوى رفيع جداً في الترجمات فيما عدا القرآن الكريم الذي لا سبيل إلى البلوغ حد الكمال و الدقة في ترجمته إلى سائر اللغات.³

كانت التراجم الألمانية دقيقة إلى أبعد حدّ إلاّ في بعض العجز اللغوي للمقابل اللغة الألمانية و مدلولاتها التي تؤدّي المعنى الحقيقي أو المقابل الصحيح لها. "ولم تكن معرفة ترجمات اللغة العربية إلى الألمانية لدى المستشرقين

¹ يحي وهيب الجبوري، المستشرقون و الشعر الجاهلي، سلسلة كتب الثقافة المقارنة (الاستشراق) العدد(1) ص78،77.

² ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص35.

³ عادل الألوسي، التراث العربي و المستشرقون (دراسة في ظهور الكتاب العربي و نفائس الكتب العربية التي طبعت في الغرب) دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص27.

الألمان نهاية الطموح ، فقد أثبتت معالجات فلا يشير لشتى العضلات النحوية سوءا للثروة اللفظية أو استعمال اللغة أثبت قدرته على تحليل النصوص بعقلانية، من خلال الإلهام الموضوعي والشامل بالواقع ، و المحافظة على الصيغة الظاهرة للغة فلايشير مقالات في الدوريات السنوية (حول إعادة تركيب الجمل) لأبي المحاسن والتصحيحات شاملة للنصوص في تاريخ المقرئبي¹.

وقد قام المستشرقون ألمان " بترجمة قواعد اللغة العربية إلى اللغات المختلفة كترجمتها من قبل روزن مولر إلى اللاتينية (1818م) و إيغالدي إلى الألمانية في مجلدين (1831م) وترجمها كاسباري في مجلدين (1848م) ، ثم أعيد طبعه أربعة مرات بالألمانية، وترجم إلى الفرنسية والإنجليزية، ومزال مهما حتى اليوم، كما وضع أوكست مولر دراسة في أصل العربية وتفرع لغتي إفريقيا والحبشة عنها، وأصل الحاء والغين في اللغة العربية (1863م) وفي كتابة مدارس العرب النحوية (1862م) درس فوجيل النحاة العرب حتى الجيل العاشر².

وهناك مستشرقون ألمان كثر ممن اهتموا بالدراسات اللغوية والنحو العربي محاولة منهم للبحث في أسرار اللغة العربية و تذليل الصعوبات التي واجهتهم في الترجمان خاصة للشعر العربي و بعض النصوص القديمة التي كتبت باللغة عربية راقية، " وقد ابتداء فيشر كتابه (نحو اللغة العربية) بقواعد الكتابة، فتحدث في ذلك عن الحروف و الخط، و الصوائت الطويلة و القصيرة، و التنوين، و التاء المربوطة، و الهمزة، و المدّة، و الشدّة، و الهمزة الوصل ثم تحدث عن بعض أساسيات الصوتية، و وصف الأصوات العربية و النبر و التنغيم و تسهيل الهمزة و الإدغام و بناء المقاطع و الحذف المقاطع ثم تناول بعدئذ المباحث الصرفية"³.

¹ إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الاستشراق و اللغة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996، ص323.

² محمد سعدون المطوي، الاستشراق الألماني و ملامح من أسسه المنهجية، مرجع سابق، ص219 .

³ إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الاستشراق و اللغة، مرجع سابق، ص323.

هذا بالإضافة إلى اهتمام الألمان بالخطّ العربي من ناحية أصله و تطوره في شكله حالي، والذي تشكلت ملاحظه الأساسية بحسب فيشر حوالي نهاية القرن الثاني الهجري (السابع ميلادي) من رصيد من الحروف الأبجدية مكون من ثمانية و عشرين حرفاً، التي تمثل الحروف، والنظام الصوتي حسب ترتيبها التقليدي¹.

لقد ساهمت هذه المعارف والترجمات والاطّلاع على اللغة العربية و أسرارها وفقهها وأصول الخطّ العربي وغيرها من المعارف في العربية على تكوين رصيد معرفي لا يستهان به لدى المستشرقين الألمان مما ساعدهم على عملية التأليف في التاريخ العربي و حتى في الشعر، "ولقد أجاد بعض المستشرقين ليس في نشر الكتب المؤلفة فحسب بل ألفوا الشعر العربي، وإلى جانب تأليفهم للكتب المنفردة فقد ألفوا و أصدروا المجموعات التي تحتوي كل مجموعة منها على مكتبة متخصصة في موضوع معين، وذلك مثل: مكتبة باريس الشرقية والمكتبة الشرقية الألمانية والمكتبة العربية الصقلية والمكتبة الجغرافية العربية"²، كانت هذه انعكاسات للتراكمات المعرفية للاستشراق ككل والألماني خصوصا على فقه اللغة وآدابها العربية، وحسن استعمال المصطلحات العربية والمعرفة مدلولاتها و معانيها وإتقان الخطوط العربية على اختلافها.

ومثال ذلك "كتاب الأغاني" أو المخطوطات إن صحّ القول كتب عنها هلموت ريتز في مجلة oriens سنة (1949م) كما ترجمه أيضا كارل بروكلمان واعتبره مرجعا للتاريخ الأدبي إلى القرن الهجري الثالث، وأكثر من ذلك على أنه مصدر للتاريخ الحضارة العربية والإسلامية ككل، و كذلك نالهو الذي اعتبره معرضا للحضارة العربية من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، يعكس بجد كل حيثيات التاريخ العربي الإسلامي و يرصده بتفصيلات كثيرة عن القبائل العربية وأيامها وحياتها الاجتماعية و حياة الأمويين فيما بعد (حياة البلاط) وطبيعة المجتمع العباسي ومميزاته. فكان كتاب الأغاني مؤثرا في كبار المستشرقين الألمان وعالجوه بالطريقة و الفحص الدقيق.

¹ فولفد يتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ترجمة: حسن سعيد البحري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2002، ص.76

² عادل الألوسي، التراث العربي و المستشرقون، مرجع سابق، ص.26.

ولابدّ أن نذكر هنا كذلك المكتبة الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان التي بدأ بنشرها العلامة الكبير هلموت ريتز في اسطنبول عام 1931م، وتبعه في إدارتها الأستاذ ألبرت ديتريش والأستاذ فيلد، وقد ظهر فيها نصوص القديمة محققة ذات شأن، فقد حقق ريتز الجزء الأول من " الوافي بالوفيات " للصفدي، ثم تتابع على نشره علماء آخرون، وكتاب " فرق الشيعة " للنوبختي، وكتاب " أسرار البلاغة " للجرجاني، ونشر هانس قير كتاب "الحكايات العجيبة" وهو أقدم من " ألف ليلة و ليلة" ونشر ايفالد فاجنر ديوان " أبي نواس"¹.

ولعل أهم ما ميّز عملهم هو اهتمامهم بالدقة والضبط في التحقيق والترجمة لدرجة أنهم استعانوا بعلماء و أساتذة عرب في اللّغة و الأدب و العلوم الإسلامية كشيخوخ الأزهر في مقدمتهم الشيخ محمد عبده وفؤاد سزكين وغيرهم، بعكس الاستشراق الغربي الذي لم يتصلوا أو يستعينوا بالعرب و المسلمين في ترجماتهم ليضطروا أحيانا لمراجعة وتصحيح بعض الكتب لم فيها من أخطاء كثيرة تضر بالمؤلف، "ومما ظهر من النصوص العربية بعناية آلورد في عشرة مجلدات ضخام، وصف فيه ما يقرب من عشرة آلاف مخطوط، ولقد كان عملا جبارا"².

يأتي ذلك بالموازاة مع تعلم اللغة العربية " يذكر الأستاذ ألبرت ديتريش أن أوّل محاولة في ألمانيا لتدريس اللّغة العربية كانت من قبل كرسستيمان (المتوفي 1613) فقد ألف كتبا لتعليم كتابة الحروف العربية، بل أنه أعدّ بنفسه للمطبعة الحروف العربية في قوالب الخشب"³، فكان تعلق الألمان باللغة العربية وآدابها ليس ترجمة علميا فقط، بل تعدّاه إلى شعور خاصّ ينأى عن الرّابط الموضوعي العلمي "بل أن معظمهم أسلم حبّا بالعربية والإسلام مثل : ريشر الذي سمى نفسه بعد إسلامه عثمان و بعضهم اتّخذ لنفسه اسما عربيا مثل :أوغست موللر، الذي نشر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة فقد سمى نفسه امرؤ القيس بن الطحان و كان هذا ترجمة لاسمه الألماني"⁴.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان و ما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1998، ص9.

² المرجع نفسه، ص11.

³ نفسه، ص7.

⁴ نفسه، ص8.

فحبّ العربية و عشق آدابها لم يأتي بمحض الصدفة فقد قضى هؤلاء سنوات من عمرهم في تحقيق والترجمة و تعلّم اللّغة و الاطلاع على مختلف العلوم الإسلامية و على سبيل المثال كتاب من كتب التراث الإسلامي و خاصّة في فن القراءات القرآنية "أسرار التأويل و أنوار التنزيل للبيضاوي حقّقه المستشرق الألماني فرايتاج، وكتاب آخر بعنوان "القراءات الشاذة في القرآن" لابن خالويه الذي حقّقه برجستراسر إضافة إلى كتب أخرى، و نلاحظ هناك أن الألمان تدعوا فهم اللغة العادية إلى اللغة القرآنية و بلاغته و القراءات القرآنية و غاصوا في أحكام و أسرار و كفيات هذه القراءات و نشر ستنفلد ما يعجز مجتمع العلمي عن نشره فقد حقق "معجم البلدان" للياقوت و "وفيات الأعيان لابن خلكان و"طبقات الحفاظ" للذهبي و"تهذيب الأسماء واللغات" للنووي و"معجم ما استعجم" للبكري، و"العجائب المخلوقات للقزويني و"السيرة" لابن هشام... و غيرهم.¹

إضافة إلى أعمال عربية أخرى تعدّ من أمّات الكتب العربية و عمدتها في اللغة و الأدب العربي و غيرها من العلوم الأخرى و خاصّة الأدب القديم الذي أثار بشغف هؤلاء للاطلاع عليه و دراسته و ترجمته إلى اللغات الألمانية و اللغات العالمية الأخرى ، "وقد نشر فرايتاج ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح تبريزي و ترجمته إلى اللاتينية، و نشر روكوت "مقامات الحريري" و معلقة عمر ابن كلثوم و نشر آلورد "الأصمعيات" و "رجز العجاج و الزفيان، و روبة" و ديوان طهمان الكلبي و "الفخري في الآداب السلطانية" لابن الطقطقي، و نشر متز حكاية أبي القاسم البغدادي" و نشر يان "الشرح المفصل" لابن يعيش و نشر مايرهوف "شرح أسماء العقار" لموسى بن ميمون و "العشر مقالات في العين" المنسوب لحنين بن لصقوان".²

ويأتي على رأس الباحثين في اللغات اليونانية والعربية والفارسية، المستشرق الألماني تيودور نولدكه الذي استعان بنتائج البحوث السّامية، ما اكتشفت النقوش الحميرية والسبئية في اليمن الجنوبي، و الذي استفاد من

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق ، ص8.

² المرجع نفسه، ص9.

الآداب الأخرى اليونانية، والألمانية، ليسوّق ما توصل إليه ابن سلامّ الجمحي في كتابه "طبقات الشعراء" و يضيف إلى أسباب الانتحال الدّاعي الديني الذي يمسّه ابن سلامّ إلا مسّا خفيفاً¹.

ويعتبر المستشرق الألماني رايكسه ممن بذلوا جهودا في تعليم اللغة العربية، و اشترى ما تيسر له من الكتب العربية رغم فقره الشّديد، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدراسة اللغة العربية في ألمانيا وأوروبا وجملة من المستشرقين الألمان الآخرين الذين اعتمد على "كتب العربية النحوية والصرفية والمعجمية" و إذا كانت بداية جهودهم في القرن الماضي تنصب على تحقيق كتب التراث بعامة بما في ذلك الكتب اللغوية و ترجمة بعضها إلى لغاتهم².

وهناك أمر آخر ركّز عليه المستشرقون عند انشغالهم بالدّرس اللغوي العربي وهو مراعاتهم الفصل بين مستويات اللغة، كالفصل بين استعمال اللّغة في مجال الشّعْر، واستعمالها في النثر الأدبي كالمخطب والمديح و الأمثال والحكايات مثل كتب بلوخ كتاب حول "الشعر و اللغة في العربية القديمة". حيث أن اللغة الجاهلية و اللغة الشعر الجاهلي تختلف عن لغة الشعر في عصر الإسلام، حيث أثرى الإسلام و القرآن الكريم المعجم اللغوي العربي بألفاظ جديدة لها من البلاغة والدّلالة والتّعبير واستغنى عن بعضها الآخر لمجونها وهذب مجموعة منها. وتغيرت كذلك بعض العصور الإسلامية الأخرى كالعصر الأموي وظهر أغراض شعرية أخرى كالشّعْر السياسي وغيرها وكذلك في العصر العباسي عصر الحضارة والنّهضة الأدبية والفكرية وامتزاج العرب بالأعاجم ودخول اللّحن على اللغة العربية مما انعكس تلقائيا على الأدب والشعر مع الشاعر المحدث. كل هذا استدعى قراءات مختلفة وشروحات متعدّدة للمستشرقين الألمان المتأثرين بالمنتج الأدبي العربي ومعرفة تطورات اللغة العربية، إضافة كذلك إلى الشّعْر الصّوفي الذي يستعمل مصطلحات وألفاظ معربة مختلفة تماما على الأغراض الأخرى والتي تتطلّب شرحا مستفيضا وصحيحا لها.

¹ منذر المعاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص97.

² إسماعيل، أحمد عمارة، الاستشراق و اللغة، مرجع سابق، ص332.

حاول فيشر أن يضع جذاذا، بلغت الألوف، لمعجم اللغة العربية مستمد من المصادر القديمة على اختلاف العصور، ليكون معجما تاريخيا يدل على تطور معاني الألفاظ، وقد قضى في جمع ذلك، وبمعاونة بعض تلاميذه، قرابة أربعين عاما، ووضع الأستاذ قير معجمه العربي الألماني الذي قصره على الألفاظ العربية المستعملة في عصرنا في الصحف ومؤلفات الكتاب الحديثة¹.

كما اهتموا باللّهجات المحكية، فقد بلغ اهتمام المستشرقين الألمان باللّهجات الدارجة حدا إلى أن عدوها اللغات الجديدة بالدراسة دون الفصحى واعتبروها اللغة المعبرة على الشعوب العربية وخاصة الأدب الشعبي والشعر القديم حيث ذهب البعض منهم لإنكار أن تكون الفصحى لغة حية قياسية على واقع اللغتين اليونانية واللاتينية، "ولذا كان لابد للألمان مثلا، ولغيرهم من وضع كتب بتعليم العربية لغير العرب يراعي فيها وجه الشبه والاختلاف بين العربية والألمانية، حيث يتجنب الألمان المشكلات الصوتية والتركيبية التي اعتاد أن يبنى عليها جملها الخاصة بلغته الأصلية"².

اهتمّ الغرب والألمان تحديدا بدراسة اللّهجات واللغات في البلاد العربية وبخصوص مجال النحو العربي وتعليم قواعد النحو، فاهتموا بالتراث اللغوي وأخذوه بالدرس والتحليل كاهتمامهم بالآداب والنصوص القديمة لأن الصعوبات الذي صادفتهم في الاطلاع حتمت عليهم معرفة اللغة للفهم الصحيح والترجمة البناءة ولا ننسى المتأثرين باللغة العربية عن حبّ وتمتع، "كما اهتموا بالسياق وأدركوا أن المعاني تتعدد بتعدد احتمالات القصد منها، إذ تعتبر حديثا مسألة السياق أساس الدرس اللغوي عند المحدثين الغرب والعرب، ولكن الذي أخذه المستشرقون عن درس السياق لدى القدامى هو أنهم لم يضعوا تطبيقاتهم في إطار نظرية متكاملة المعالم"³.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 11.

² إسماعيل أحمد عمارة، الاستشراق واللغة، مرجع سابق، ص 334.

³ نسيمه ناي، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، جامعة العربي بن مهدي، ورقلة، دط، ص 166.

ومن خلال ما سبق فإن معرفة اللغة العربية في أوروبا كانت تمثل نقطة انطلاق نحو التنافس العقائدي مع الإسلام والحوار الحضاري والتأثر الإيجابي بالمرورث الشرقي والدراسات الأدبية العربية، وشكلت هذه المعرفة فصلا مهما جزاء كبيرا في فهم العرب وثقافتهم ونصوصهم ومخطوطاتهم وخاصة أن أصبحت اللغة العربية الفصحى نموذجا مفروضا ومثلا أعلى يتبعه كل كاتب عربي ومستشرق أوروبي مهتم بالدراسات الشرقية، هذه الحقيقة التي اكتشفها الألمان وركزوا على تعلمها وتعليمها لتحقيق الموضوعية والعلمية في دراسة الشرق وعلومه وآدابه.

ومن الظواهر المخضومة، أي التي تنتمي إلى ما قبل فترة الحرب ومبعتها المجلات الأكاديمية الألمانية، التي تجددت بعد الحرب، ومن ضمنها مجلة جمعية المستشرقين الألمان، و"مجلة الإسلام" التي أنشأها بيكر، ومجلة "عالم الشرق" التي أنشأها مارتن هارتمان، بينما أنشأ هلموت ريتز مجلة "الشرق" في الخمسينيات وتوقفت في الثمانينيات، وقد أصدرها رودلف زلهاميم بعد أستاذه ريتز زهاء عشرين عاما¹.

إضافة إلى كل ما سبق فإنّ لأدب الرحلة والرحالة الغربيين إلى الأقطار الشرقية على اختلافها واختلاف عاداتها وتقاليدها وما يجمعها من معتقد ولغة، كان له الدور الذي يلعبه في تدعيم الفكر الاستشراقي بما استنتجوه وتأثروا به في البلاد الشرقية سواء كانوا رحالة هواة بغرض التجارة أو السياحة وانبهروا بثقافة الشرق وعمران الشرق وحتى الشعوب الشرقية وأنماط عيشها وعلاقتها فيما بينها، أو كانوا رحالة مختصين أكاديميين سواء كتبا أو أدباء تقصدوا زيارة الشرق لما قرؤوا عنها في الكتب القديمة والروايات وغيرها فإن "أدب الرحلات كان عبقا بروج السرد القصصي لما في جعبة الآخرين من مفارقات وعجائب احتلت في الخيال الحيز الذي كانت تستغله الأساطير القديمة في أذهان الغربيين"²، فوجد الغربيون في الشرق ومعتقده حقيقة التي اقتنع بها عقولهم والشعور الذي غدّى

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص46

² نديم نجدي، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص66.

روحهم المادية الصلبة التي تعتقد كل شيء مادي ووجدوا في الشعوب اللطيفة المعشر إحساسهم بالطمأنينة والراحة النفسية.

يجب الاعتراف بالفضل الذي يعود إلى هؤلاء القلة من الرحالة الذين قضوا معظم وقتهم لا في توظيف حكايات عن السحر والجنّ وإنما في العمل والتفرغ لنشر الرموز الفكرية والمعاني الأدبية الغريبة والمتشعبة بين المخطوطات والآثار المهملة في تلك الرحلات، وهو ما قام به كارل بروكلمان بعدما قضى نصف قرن، وهو أكثر من نصف عمره ليؤرخ للأدب العربي، من غير أن يكون وحيد الذي بذل جهداً كهذا¹.

تنوعت المعرفة بالآثار العربي من النصوص القديمة ومخطوط وترجمة وتأليف وتعلم اللغة العربية وفهرسة للإرث العربي، حيث حافظ عليه هؤلاء من التلف واهتموا به، "ومن باب ربّ ضارة نافعة فقد استفاد التراث العربي الإسلامي في غربته عن دياره وأهله بحفظه مادياً وصيانته وترميمه تم استفاد علمياً من حيث تحقيقه ونشره وترجمته، وإعداد دراسات حوله، وان لم تخل هذه الجهود من الملحوظات الجوهرية والمنهجية التي أدت إليها فقدان عامل الانتماء الثقافي لهذا التراث"².

وقد أسهم المستشرقون في خدمة التراث العربي من حيث فهرسته وتحديد أماكن وجوده في المكتبات والمتاحف والجامعات الغربية، سهلت فهرسته الوصول إلى هذه الكنوز بذاتها أو تصويرها وهذا إنجاز وعمل جليل يحسب للاستشراق في خدمة التراث العربي والعرب أنفسهم.

إلا أن نذكر جوانب القصور والتقصير لدى المستشرقين يختلف من حيث التعبير والحكم من باحث لآخر، فالذين يميلون إلى الاعتراف بفضل المستشرقين على التراث العربي تكون لغتهم (اعتذارية، دفاعية، تبريرية) عند حديثهم عن جوانب التقصير والقصور، والذين يميلون إلى التقليل من شأن المستشرقين في خدمة التراث العربي

¹ ندعم نجدى، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 67.

² علي بن إبراهيم النملة، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي والإسلامي، مرجع سابق، ص 43.

تكون لغتهم (تهجمية) عند الحديث عن الهنات والأخطاء الذي وقع بها المستشرقين في خدمتهم هاته، ويصعب جدا لدى هؤلاء الدارسين بنوعيتهم، تناسي أهداف المستشرقين التي كانت مبعث انطلاقاتهم الأولى في اهتمامهم بالثقافة العربية الإسلامية بعامة، وبالتراث العربي الإسلامي بخاصة وفي الوقت نفسه اقتضت الموضوعي والعدل عدم إغفال بعض جهود المستشرقين المبذولة في هذا المجال كي نتمتع نحن أولا بالإنصاف قبل غيرنا ونتمثل إلى الموضوعية مسبقاً¹.

أهم المستشرقين الألمان الذين أسهموا في خدمة التراث العربي وأهم أعمالهم الترجمة:

- 1- فرايتاج . ج (1788-1861):- أشعار الحماسة لأبي تمام التبريزي - بون، 1847،
-قصيدة بانة سعاد- بون، 1823.
- 2- فريديريش روكرت (1788-1866):- معلقة عمرو بن كلثوم - شتوتجارت 1837
- مقامات الحريري، 1829.
- 3- ايفالد هـ (1803-1875):- قسم من المغازي للواقدي- جو تنجن، 1827.
- 4- فلرز . ج (1803-1881):-معلقة الحارث لابن حلزة - بون، 1829.
- معلقة طرفة بن العبد - بون، 1829.
- 5- فلوجل . ج (1806-1870):- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني 1845.
- 6- ديرنيورج. جوزيف (1811-1895):- تاريخ أمثال من مقامات الحريري، 1853.
- 7- جوتفالد . ج. م (1813-1897):- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني، لاينزج،
1844.

¹ ينظر، عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، 1994، ص110،

- 8- رايسكه .ج.ج (1816-1884): - تاريخ أبي الفداء، لاينزج، 1854م.
- رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس -لاينزج، 1755م.
- لامية العجم للطغرائي، لاينزج، 1856م
- معلقة طرفة ابن العبد شرح النحاس، لايدن، 1843م.
- 9- آرنولد .ف (1820-1869): المعلقات السبع - لاينزج، 1950م.
- 10- ديتريش فريدريخ (1821-1903): - ديوان المتنبي بشرح الواحدي، برلين، 1861م.
- رسالة فيما حصل بين المتنبي وسيف الدولة للثعالبي، لاينزج،
1847م.
- 11- دي شلوتسير .ك (1822-1893):- رسالة أبي دلف مسعر بن مهلهل، برلين، 1845م.
- 12- انجلمان .و.ه (1836-1868): - ديوان الحادرة، لايدن، 1858م.
- 13- يان .جوستاف (1837-1917): - المفضل لابن يعيش، لاينزج، 1882م.
- كتاب سبويه، برلين، 1900م.
- 14- توربيكه .ه (1838-1890): - قصة عنتره، لاينزج، 1868م.
- كتاب الملاحن لابن دريد، هايدلبرج، 1882م.
- قصيدة الأعشى في مدح النبي (عليه السلام)، لاينزج،
1845م.
- 15- آلوارد . فيلهلم (1838-1909): - الأصمعيات للأصمعي، برلين، 1902م.
- من أنساب الأشراف للبلاذري، جرايفسفالد، 1883م.

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقي، جوتنجن، 1860م.
- ديوان أبو نواس، جرافيسفالد، 1861م.
- ديوان الأراجيز للعجاج والرقيات، لاينزج، 1903م.
- ديوان عنتره العبسي، لندن، 1870م، بيروت، 1881م.
- العقد الثمين في دواوين الشعراء السنة الجاهليين، لندن 1870م، باريس 1902م.
- فتوح البلدان للبلاذري، جريفسفالد، 1809م، مع دي خويه.
- قصيدة تأبط شرا، جريفسفالد، 1809م.
- 16- ديرنبورج. هرتويج (1844-1908): - كتاب سبويه، باريس، 1889م.
- ديوان النابغة الذبياني، 1869م.
- 17- فلهاوزن. ج (1844-1918): - تنمة ديوان الشعراء الهذليين، برلين، 1887م.
- قصائد في الغزل لأبي صخر الهذلي
- 18- زاخاو إدوارد كارل (1845-1980): - أجزاء الطبقات الكبرى لابن سعد 1928م.
- 19- لاندبرج كارلو (1848-1924): - ديوان زهير ابن أبي سلمى، 1889م
- قصص وحكايات شامية، 1875م.
- 20- شولتنس. ف (1922م): - ديوان حاتم الطائي، لاينزج، 1911م

- ديوان لامية بن الصّلت، لاينزج، 1911م.
- لخليلة ودمنة لابن المقفع، برلين، 1911م.
- 21- باخير فيلهلم (1850-1913): -رسالة في إصلاحات النمو ليحي ابن داوود، فيينا، 1884م.
- 22- بارث ياكوب (1851-1914): - كتاب الشرائع على مذهب اليهود لموسى بن ميمون العبري، لاينزج، 1881م.
- ديوان القطامي، لايدن، 1902م.
- 23- هرشفلد هرتويج (1854-1943): - ديوان حسان بن ثابت، 1910م.
- 24- فلرز كارل (1857-1909): - ديوان المتلمس برواية الأثرم عبيدة الأصمعي، لاينزج، 1906م.
- 25- روزنموتز .إي. ف (1867-1835): - معلقة زهير بن أبي سلمى، 1862م.
- 26- بيككارل هنريخ (1868-1933): - مناقب عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي، لاينزج، 1899م.
- 27- بروكلمان . كارل (1868-1948): - ديوان لبيد، لايدن، 1891م.
- من طبقات ابن سعد، لايدن، 1904م.
- عيون الأخبار لابن قتيبة، برلين، 1900م.
- الوفاء في الفضائل المصطفى لابن الجوزي، لاينزج، 1895م.
- 28- هل . ج (1875-1950): - ديوان الفرزدق، ميونخ، 1900م.
- طبقات الشعراء لابن سلام الجحامي، برلين، 1916م.
- 29- كوزج ارتنج. ج. ل (1892-1850): - قسم من رحلة ابن بطوطة، فيينا 1818م.
- معلقة عمرو بن كلثوم بشرح مخطوطات، باريس، 1819م.
- مج 1 من أشعار الهذليين، 1834م.

- ديوان الشعراء الهذليين 1854م.
- 30- فوك يوهان (مولود 1894م): - الفهرسة لابن نديم، المجلة الشرقية الألمانية، 1936م.
- 31- فولف. فيليب (ت 1894م): - قصائد أبي الفرج البغاء، لايزج، 1934م.
- 32- شاخت . جوزيف (1902-1969): - الحيل والمخارج للخصاف، هانوفر، 1923م.
- المخارج في الجليل للشيباني، لايزج، 1930م.
- 33- شفارتز . بوليس (1827-1938): - ديوان عمر بن أبي ربيعة، لايزج، 1909م.
- ديوان معنا بن أبي أوس المزني، لايزج، 1903م
- شعر يزيد بن معاوية.
- 34- جرونباوم. جوستاف فون (1909-1982): - شعر أبي دؤاد الأيادي، 1952م.
- 35- زيلهايم. رودولف (معاصر): - مسائل في النمو، 1974م.
- نور القبس في أخبار النحاة والشعراء لليغموري، ألمانيا، 1964م.

هذه الأجزاء من الأعمال الترجيحية التي ترجمت إلى الألمانية ولغات أخرى من طرف المستشرقين الألمان حيث "عرف الألمان بدقة البحث والصبر عليه، والاستطاعة العجيبة في أن يؤلفوا بين أجزائه المتنافرة، وأن يصلوا فيه إلى أدق النتائج وأعمقها"¹.

فهل يبقى الدّارس والباحث العربي يطلع على موارثه ومخطوطه المحقق ومعاجم ونصوصه القديمة من مصادر غربية الغير متمكنة من اللغة العربية مثلما يتقنها صاحبها؟ وهل يظل يستشهد ويستدل في أعماله ومناسباته العلمية والأدبية بالمستشرقين وإنجازاتهم حول مورثنا الأدبي؟ وهل نظلّ نعاتب ونلوم هؤلاء ونصفهم بين منصف

¹ ميشال جحا، الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا، معهد الانماء العربي، بيروت، ط1، 1982، ص184.

وغير منصف محايد وغير محايد موضوعي أو لا؟ فقد أهملنا الجوهر الذي هو التراث العربي وإعادة قراءته قراءة عربية العربية الصحيحة المباشرة دون وساطة استشراقية غربية على اختلافها في نفس الوقت "نحن نقدر، علماء الاستشراق الألمان وآخرهم المستشرقة الألمانية المعاصرة زيغريد هونكه في كتابها: "شمس الله تسطع على الغرب" وفي كتابها الذي صدر حديث بعنوان: "الله ليس كذلك" جهودهم العلمية العادلة، ونشكر لهم باسم العلم إخلاصهم للحقيقة ووقوفهم في وصف النزاهة العلمية والتزامهم بالموضوعية والبعد عن الأهواء والأغراض"¹.

¹ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص132.

الفصل الثاني: الاستشراق الألماني والشعر

العربي

أولاً: المستشرقون الألمان القدامى والشعر العربي

ثانياً: المستشرقون الألمان المحدثون والشعر العربي

ثالثاً: المقارنة

توطئة :

تعددت المواضيع التي اهتم بها المستشرقون الألمان فيما يتعلق بالشعر العربي القديم الذي طالما أثار شغف هؤلاء المستشرقين وشكل في أذهانهم تصورات كثيرة في مضمونه وسياقه الخارجي، ولم احتواه هذا الشعر من قيمة فنية وموضوعاتية وذلك من خلال مروره بفترات زمنية مختلفة شكّلت محطات مهمة أثرت فيه وبشكل كبير خاصة الشعر الجاهلي الذي كان يعكس أنماطا مختلفة من حياة العرب ويجسد واقعها وبيئتها المرسومة في الأبيات الشعرية التي كانت تعبر فعلا عن العربي في هذه الفترة.

هذا الإرث الشعري القيم تناوله الألمان من زوايا شتى بداية بالتأريخ له ومحاولة البحث في جذوره وبدائياته، وهذا فعلا ما قامت به فئة بارزة من المستشرقين الألمان القدامى ولم يتوقفوا عند هذا بل راحوا يبحثون في قائل هذا الشعر من شعراء الجاهلية البارزين الذين ظلت أشعارهم منحوتة في الأذهان والصحائف ومغروسة في قلوب عاشقي الشعر العربي من العرب والغرب، ثم واصلوا كذلك إلى معرفة مسار هذه القصائد والأشعار وكيفية وصولها على اللاحقين من القارئ والمدونين ولم ينسوا أبدا الرواة وطبيعة رواياتهم له.

عالج الألمان مسائل عدة وقضايا جمة عن الشعر الجاهلي الذي أخذ الحصة الأكبر في هذه الدراسات عند القدامى والمحدثين، وإضافة إلى الشعر العربي في فترة ما بعد ظهور الإسلام وما حققه الشعر من تطورات في عصور لاحقة بعدها وخاصة في العصر العباسي أين عاش العرب أزهى أيامها وأبهاها.

كل هذه الخطوات والمراحل لم يغفلها المستشرقون الألمان وحاولوا الوقوف عندها بأدق تفاصيلها نظرا لأهميتها في الجمع والتحقيق والحفظ وغيرها من المسائل الأخرى التي تحقق الموضوعية العلمية في العمل الأدبي. ما المستشرقون الألمان الواردون في هذا الفصل إلى نماذج لبعضهم ممن كانت لهم البصمة الواضحة والقيمة في الشعر العربي من خلال الأترك والتأريخ والتأليف والترجمة ولم يكن اختيارنا لها اعتباطا بل انتقاء معتمدين على التنوع والاختلاف الموجود بينهم والتكامل من جهة أخرى، فمنهم من كانت له دراسة نسقيّة ومنهم من كانت سياقية حيث تكاملت العمال واتسقت.

إضافة إلى هذا كله لم يهمل المستشرقون الألمان الجانب اللغوي بل عدوه ركنا أساسيا في أعمالهم وتطبيقا لمنهجهم، فقد أتقن جلهم - إن لم نقل كلهم - قدامى ومحدثون اللغة العربية إيمانا منهم أن متفردة في ألفاظها وعباراتها ولا يمكن الاعتماد على الترجمة لأنها لا تحقق لهم الغرض الموجود.

لم يخفت نور الشعر العربي القديم عند المستشرقين الألمان المحدثين بل زاد نوره حين تعددت قراءاته ومفاهيمه بتعدد مناهج البحث والقراءة الحديثة، وبهذا يظل موضوعا خصباً للدارسين من المستشرقين الألمان على اختلاف أزمته وتوجهاتهم ومناهجهم البحثية.

فما طبيعة هذا التنوع الذي مس الشعر العربي بين قدامى المستشرقين الألمان ومحدثيهم؟ وما هو التشابه في ذلك الاختلاف؟

أولاً: المستشرقون الألمان القدامى والشعر العربي

لطالما افتخر العرب بتراثهم الأدبي والشعري منه، لأنه يمثل لهم كل شيء في بادية قاحلة وصحراء قاسية وطبيعة لا ترحم، فكان الشعر المتنفس ضمن تحديات الطبيعة اليومية، وخاصة عند ترحالهم وقد ألفوا المكان واعتادوا عليه، فكان الشعر معبراً عن شعورهم وأحاسيسهم، مقيداً لحياتهم اليومية مؤرخاً لبطولاتهم وغزواتهم، مدافعاً عن قبيلتهم، ومفتخراً بإنجازاتهم، جسّد الشعر كل هذه الصور، لهذا كان له الحضوة والمكانة المرموقة، وكانت مسائل عدّة قد طرحت في بداية هذا الشعر وحقيقته وتدوينه وحفظه... الخ.

يرى الجاحظ في الشعر مادّة المعرفة، وهو في موقفه الثقافي الحضاري يحاول أن يرى من الزاوية العقلية ذلك التّفاوت في الشعر بين العرق العربي وغير العربي وبين البادية والحضارة أي أن يلحظ أثر الجنس والبيئة¹. ولم يشغل هذا الشعر العرب لوحدهم بل شغل أيضاً المستشرقين الذين حاولوا البحث في حقيقته وماهيته وأصوله وكتّابه، ومنهم المستشرقون الألمان الذين سعوا في هذا الباب وسخّروا معارفهم لفهمه وتحقيقه باعتبار جلّ المخطوطات العربية في جامعاتهم.

العناية بالشعر الجاهلي تزداد ويكثر دارسوه وعشاقه، وتكثر الدّراسات في توثيق هذا الشعر ونشره وجلاء صورته... وليس الشعر فتناً من الفنون الأدبية فحسب، بل هو زاد العربية ومادّتها، عليه قامت علوم اللّغة وبه فسّر القرآن الكريم، وبفضله قوّم اللّسان العربي، لذلك فالحفاظ على هذا الشعر هو حفاظ على اللّغة العربية وعلى كتاب الله الذي حفظ اللّغة وخلدها وجعلها باقية راسخة موجودة، وهي أقدم لغات العالم التي وصلت كاملة متماسكة يجتمع عليها أهلها رغم تفرّق أهوائهم وأمصارهم².

وقد ارتأينا أن نعرض جهود المستشرقين القدامى منّ تخصّصوا في الشعر العربي القديم ووقفنا عند أعمال بعضهم من تحقيق وترجمة ودراسة.

¹ إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص 16.

² يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997، ص 6، 5.

ولو نظرنا نظرة متأنية فاحصة إلى ما حققه ونشره المستشرقون من كتب الآداب واللغة والتراجم والسير والطبقات والفلسفة والعلوم تعطينا مدى الفائدة التي عادت على الفكر والتراث العربي في وقت كان النشر ومزال في كثير منه في الأقطار العربية والبلاد الإسلامية نسخا ومسحا لمخطوط في طباعة رديئة لا تستثني من ذلك إلا بعض المحققين الأفراد وهم قلة من غير ميدان التجارة والكسب العاجل¹.

هذا لا يمنع من أن نقف وقفة المستفيد الواعي من الأعمال الأدبية الاستشراقية على اختلافها، ونتعترف من خلالها على تراثنا ولا نجمل كل الأعمال الاستشراقية ونرفضها برمّتها لأن هناك من حافظ على المخطوطات العربية وأبانها إلى الضوء المعرفي. هذه الفئة من المستشرقين التي نخصّ بها بحثنا هذا ونكتشف إسهاماتها في دراسة الشعر العربي القديم وفق مناهج مختلفة سادها طابع الموضوعية والعلمية .

يوهان جاكوب رايسكه **Johan Jacob Reiske** (1716 – 1774) :

كان العلماء الألمان يعتقدون أن اللغة العربية مجرد لهجة ولم تصنف بعد من اللغات ، وهي عبارة عن لهجة عامية تفرعت عن العبرية ، لهذا لم تلق الاهتمام الواسع من طرف المستشرقين الألمان ، وبهذا فالدراسات العربية كانت خفية عن اهتمام هؤلاء المستشرقين ، خصوصا وأن هذه الدراسات كانت مقتصرة على تفسير الكتاب المقدس من قبل رجال اللاهوت².

بيد أنّ الدراسات الاستشراقية الألمانية لم ترتبط بإيديولوجيات أو سياسات ألمانية مثل بقية الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وإسبانيا وإيطاليا، فمسيرة الاستشراق الألماني كانت مختلفة، ومستشرقوها مختلفون في منهجهم ودراساتهم للأدب العربي واللغة العربية التي وجدت الاهتمام الكبير من قبل ألمان كثير أمثال : ويستلفند وهلفارت و يوهان جاكوب رايسكه.

¹ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 10.

² ينظر، يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 107.

يعدّ هذا المستشرق المؤسس الحقيقي لدراسة اللغة العربية في ألمانيا وأوروبا ومات فقيرا بعد أن أطلق على نفسه شهيد الأدب العربي "1، شغف بهذه اللغة وأحبّها، وأحس بشعور قوي اتجاهها، فأتقن النحو العربي معتمدا على نفسه وإمكاناته البسيطة .

ظهر راييسكه في مرحلة لم تأخذ فيها اللغة العربية حقها، ولم تأخذ مكائنها ضمن اللغات الأخرى والدراسات الاستشراقية، فكان حاملا لمشعلها في هذا الوسط الاستشراقي العقيم .

تقول عميدة الأدب الألماني في الولايات المتحدة الأمريكية كاترينا مومزن عن راييسكه : "أنه كان في موضوعات الاستشراق أكبر عالم في اللغة العربية أنجبته ألمانيا"2.

ولد راييسكه في مدينة زوريخ سنة 1716م لأب دباغ ، وتلقى تعليمه خلال السنوات (1728-1732) في دار الأيتام بمدينة (هاله)، وبولع بالغ يجمل عن الوصف ولا تحد حدود ، ولا يجد تفسير الدراسة العربية حتى لديه، حيث باشر بإرادة حرة واستقلالية واختيار خاص الدراسة منذ سنة 1733م في مدينة لايبزيغ، وقد استطاع مستغنيا عن أي عون خارجي ومعتمدا على موهبته الخاصة، تجاوز كل صعوبات اللغة العربية، واقتنى رغم فقره سائر الكتب العربية المتيسرة،³ ونهل منها ما استطاع لبلورة معرفته اللغوية والنحوية للغة العربية، فأصبح مصدرا لكل ما هو من إصدارات العربية من كتب ومخطوطات وغيرها.

تعلّم راييسكه اللغة العربية برغبة شديدة في ربيع 1737م في مدينة " ليتسك " الألمانية عندما كان يدرس في جامعتها، وبدون مساعدة من أحد استطاع أن يتقن النحو العربي، بعد ذلك تابع اهتمامه بالمخطوطات العربية، عندما استوعب كل المطبوعات العربية، واتجه إلى البحث في المخطوطات العربية رغم ضيق ظروفه المادية، لكن شغفه بالمخطوطات دفعه إلى ذلك، حينما جاء في فترة العوز المادّي، والتردد على مكتبة ليدن يحتاج إلى

¹ سالم الحاج ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الاسلامي، لبنان ، ط 1، ج 1، 2001، ص 130.

² كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ترجمة : عدنان عباس علي، مجلة عالم المعرفة ، العدد 194، شباط، 1995، ص 36.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 110.

مال، عمل مصحّحاً لتجارب الطّبع مقابل السكن والمأكل، وعمل في الوقت نفسه كمدرس خصوصي للغة اليونانية، وفي المحادثة باللاتينية للطلاب الهولنديين بهذه الجامعة.

كان أول كتاب عربي عمل على ترجمته هو كتاب المؤرخ ابن عربشاه بعنوان: "عجائب المقدور في نوائب تيمور"، وهو كتاب يتحدث عن الحاكم التتاري تيمور لنك عهد إليه بعد ذلك بترتيب المخطوطات في مكتبة جامعة "ليدن"، فهياً له ذلك فرصة ممتازة، فقام بنسخ المؤلفات المخطوطة التي تمهه لتحقيقها مثلاً: " المعارف لابن قتيبة"، وتاريخ أبو الفداء، " والبلدان " لابن أبي أصيبعة، وكثيراً غيرها¹.

كما ترجم رسالة هرمس من إحدى المخطوطات التي وجدت في مدينة لايبزيغ، وكان لهذه الترجمة أثرها، حيث قال المستشرق الألماني فلاشير عنها بعد أكثر من مئة عام على وفاة رايسكه: "إنّه لم يعد يوجد الآن شاب ابن عشرين سنة يستطيع القيام بترجمة أحسن منها حتى ولو كان حاصلًا على أفضل التعليم ومتلقنا أصحّ الوسائل" ثم يضيف: " ليتني اجتنبت غلطات رايسكه، ولا أرغب في فضل آخر"².

يقول يوهان فوك عن رايسكه: " لقد تمّنى رايسكه على القراء أن يتابعوا مصائر كلّ الشّعوب ومناطق الشرق وإفريقيا عبر السنين، التي كانت في يوم من الأيام يونانية أو تابعة للإمبراطورية الرومانية، ويشد الانتباه إلى العلاقات المتبادلة التي كانت قائمة منذ أيام شارل الكبير والبنظيين، مروراً بعصور النورمان والحروب الصليبية، وصولاً إلى الحروب التركية بين أوروبا والعالم الإسلامي، ويبرز الفوائد التي يمكن للمؤرخ الغربي أن يستخلصها من معرفته بالشرق"³.

كان العوز دائماً يلاحقه ويكبح همّه، إلّا أنّه لم يستسلم لهذا وكان ذو عزيمة قوية وإرادة فلاذية لأتّه حاول الحصول على أكبر قدر من المخطوطات للإطّلاع عليها.

¹ ينظر، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1984، ص 206.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج 1، مرجع سابق، ص 16.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 116.

بعد ذلك كان على راييسكه أن يحصل على مخطوطات عربية فبعث إليه المؤلف الشهير لكتاب "المكتبة العربية" وهو يوهان كريستوف قولف في مدينة هامبورغ (من 1683م - 1739م) بنسخة من مقامات الحريري في مجموعته الخاصة، ونشر راييسكه المقامة السادسة والعشرين بمتنها العربي، وترجمتها إلى اللاتينية استنادا إلى هذه المخطوطة وسريعا ما تحسنت ترجماته وتفوق عليه¹.

لم يتوقف رغبته وطموحه عند هذه المخطوطة التي قدمها له قولف، وإنما تطّلع هذا الأخير لمزيد من المخطوطات الموجودة بمكتبة ليدن والتي احتوت على مئات من المخطوطات العربية النادرة، مما جعلها مقصد كل العلماء الأوروبيين المهتمين بالدراسات العربية، ومنهم راييسكه الذي سافر إلى هولندا للاطلاع على هذه المخطوطات رغم فقره .

في أمستردام بحث عن العالم اللغوي الكلاسيكي دوارفيل ليسلمه رسالة توصية من قولف فأراد مساعدته بالمال لكن راييسكه رفض الفكرة، الشيء الذي زاد من إصرار دوارفيل على مساعدته فعهد إليه بمراجعة التصحيحات وشغله بطائفة كبيرة من الأعمال الأدبية².

وعلى الرغم من عمل راييسكه ببعض الأعمال الأدبية عند دوارفيل إلا أنه انطلق نحو ليدن وقصد هناك المستشرق الهولندي شولتنز (1686م - 1756م)، الذي كان قسيسا إنجليزيا، وأستاذا للغات الشرقية في جامعة ليدن، كان شولتنز يعتبر أنّ اللغة العربية والكلدانية والسريانية والحبشية هي لغات أخوات أو لهجات أخوات للغة العربية³.

كان حبّه للغة العربية وإعجابه بالتراث العربي المخطوط يزداد يوما بعد يوم كلما غاص في هذه المخطوطات وتعمّق فيها ممّا حمّسه على الاستمرارية والبحث .

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج 1، مرجع سابق، ص 16

² يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 111

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 23

عندما تابع شولتنتز التدريس بعد التّعطيل الصيفي للجامعة أصبح رايسكه تلميذا له وحصل بمساعدته على الإذن بمطالعة المخطوطات التي طالما اشتاق لرؤيتها، وكانت رغبته الأولى التعمق في آثار المؤرخين وكتب الجغرافيا، ولكن شولتنتز أوصاه يدرس الشعر العربي¹.

كانت هذه البداية الحقيقية لرايسكه في التّوجه نحو الشعر العربي تحقّقا وقراءة وفهرسة وترجمة، والفضل يعود لهذه الوجهة الأدبية إلى شولتنتز الذي نصحه بذلك والاهتمام أكثر بالشعر الجاهلي والشعر الأموي وأشهر القصائد لأبرز شعراء هاذين العصرين وبالأخصّ الجاهلي .

نقل في سنة 1739م أشعار جرير، ولامية العرب الكبرى للشنفرى ، وديوان طهمان، وفي السنّة التي تلت حماسة البحري، لكنّه اهتمّ بشكل خاصّ بقصائد العرب الشهيرة في العصر الجاهلي، بالمعلّقات التي عكف على دراستها مع شروح التبريزي وابن النّحاس في مخطوطات فارنو ووقع اختياره أخيرا على أطولها للعمل بها وهي معلقة طرفة بن العبد². ومن تم طباعة هذا العمل الضّخم في عام 1742م .

ويبحث فيما بعد حياة طرفة بالتّفصيل كما أنّه يضيف أيضا جدولا للأنساب تبدو منه علاقة القرابة بين طرفة وسائر الشعراء في جزيرة العرب ويمكننا بواسطته ضبط التّواريخ التي اقترحها رايسكه في مقدمة تأليفه هذا، وكان رايسكه بهذا العمل أوّل من سلك الطريق الذي سلك إلى الآن في الغرب عند شرح آثار الشعراء العرب، ومن المسلم به أن هذا الطريق هو أحسن طريق يهدي بالشارح إلى غايته العلمية³.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 17.

² يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 112-113.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 17.

يقول يوهان فوك في نفس السياق عن عمل رايسكه حول معلقة طرفة بن العبد: "وبعمله الأول هذا، شقّ رايسكه طرقاً في شرح الشعر العربي لازالت تحتذى حتى في وقتنا الحاضر، بالنظر لأنها توصل في أقصر الطرق إلى الهدف"¹.

أخذ رايسكه على عاتقه درياً جديداً في دراسة الشعر العربي القديم وانتهج منهاجاً مختلفاً وبالأخصّ عن أستاذه شولتنز ومن أبرز ما ميّز منهجيه:

1. لم يكن ميّالاً بالقدر الكبير للآهوت .
2. فسّر اللّغة العربية بعيداً عن التوراة ونظريات اللاهوتيين².
3. لو شاء المرء النهوض بالعربية، فلا ينبغي عليه أن يتناولها بالتناول اللاهوتي³.
4. لم يخضع رايسكه لطلب شولتنز بتبديد الوقت في لهجات سامية أخرى لأنه أدرك بأن الاهتمام بها لن يدر على اللّغة العربية من حيث المبدأ شيئاً⁴.
5. عرف أن درس مشتقات الكلمات تلاعب على أساس جذور وفرضية وأن السعي لمعرفة المعنى الابتدائي للكلمات المشتركة في اللّغات السامية ما هو إلاّ خرافات باطلة⁵.
6. نادى بـ "ضرورة تدريس اللّغة العربية والاهتمام بها، لا في إطار فقه اللّغة المقدسة فحسب، بل وخارج هذا الإطار أيضاً"⁶.

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 112 ، 113.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 17 .

³ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، المرجع السابق، ص 299.

⁴ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 113.

⁵ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 17.

⁶ كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ترجمة: عدنان عباس علي، مرجع سابق، ص 37.

هذه المواقف والسبب الدّراسية الحديثة في دراسة اللغة العربية وآدابها أثار موجة من الغضب عند كثير من المستشرقين الأوروبيين آنذاك وعلى رأسهم شولتنتز ووصل ذلك إلحدّالقطيعة بينهما التّاجم عن الخلاف الفكري والتّوجيهي، وقد هاجمه مجموعة اللاهوتيين في ليدن معتبرين أن دراسته كانت مادية¹.

ولم يقف الأمر عند هذا بل حاربه أيضاً أسخولتنتز، بعد أن ألفت هذا الأخير كتابين الأول بعنوان: (كتاب اربونوس في النحو العربي) وأضاف إليه مختارات من (الحماسة) وحاول من خلالها أن يثبت المصاهرة بين اللغتين العربية والعبرية، "فانتقد رايسكه هذين الكتابين، خصوصاً بعد أن قال إنّه كان من الأفضل لو كان أحد آخر غير اسخولتنتز قد تولى هذا العمل"². هذا الموقف أغضب المؤلف كثيراً وحرّم رايسكه التّدريس في الجامعات الألمانية. التحأ رايسكه إلى صديقه السّابق يوهان دافيد ميخائيلي سنة 1756م، الذي اعتبر أن الإعراب بمنزلة اختراع من التّحويين وفق النظرة الأوروبية، "وقد سلّم هو نفسه بأنّه لم يتمكن من وزن القوافي العربية، وكان بادئ الإخفاق في أثناء دروسه بالعربية وعمل بالرّغم من ذلك كله على ألاّ ينازعه فيها منازع"³.

وفي سنة 1756م نشر ترجمة ألمانية بلامية الطغرائي، وفي السنة التي تلت، عالج في برنامج مدرسي، وعودا على كتاب الميداني، لأكثمبصيفي، ومرة أخرى في سنة 1765م طلع على جمهور القراء بترجمة للشعر العربي من ديوان المتنبّي، وكانت كناية عن اثني عشر بيتاً أودون ذلك من أبيات التّسيب، بالإضافة إلى قصيدتين كاملتين في الرّثاء، وقد أهدى تلك الباقة المنورة من شعر التّسيب العربي لزوجته⁴.

عند نقله هذه الأشعار لمشاهير الشّعر العربي أمثال المتنبّي في غرضي التّسيب والرّثاء، راعى بعض المفردات التي استعملها الشّاعر واستعمل ما يقابلها، بحيث يجعل منها قريبة إلى مشاعر العالم الغربي وفكره دون أن تفقد

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 114.

² عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 206.

³ عمر لطفي العالم، المستشرقون والقران، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز الدراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط 1، 1991، ص 198.

⁴ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 120، 121.

الجمالية الفنية، وهذا ما كان يميّزه فعلا في حركة الترجمة لأنّها ليست آلية وظيفية دائما نابعة من تأثر معجب عارف بجبايا اللغة العربية ويحسن التصرف في ألفاظها ويدرك معانيها .

استمرت دراسة رايسكه للأدب العربي، إلاّ أنّه لم يستطيع أن يقنع أحدا بتبني نشر مؤلفاته فكان ينشرها

على نفقته الخاصة ومن هذه المنشورات :

1. المجلد الأول من تاريخ أبي الفداء .

2. رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس.

3. ترجمة ألمانية للامية الطغرائي.

4. كتاب يتضمن أقوال مأثورة من تصنيف الميداني .

5. قصائد للمتنبي¹ .

6. علاج برنامج مدرسي حول أكتف بن صيفي أحد حكماء العصر الجاهلي في اللغة والشعر والحكمة

والأمثال .

لما توفي رايسكه سنة 1774م، على إثر مرضه بالسل - ولم يكن قد أتمّ العام الثامن والخمسين من عمره -

اهتمّت زوجته بتركته القيمة حتى لا تقع في يدي خصمه ارنستي واستودعتها ليسينغ المؤلف الألماني الشهير الذي

كان من القليلين الذين قدروا قيمة رايسكه أثناء حياته وحفظ ليسينغ هذه التركة إلى أن اشتراها حاجب الملك

الدنماركي فونسوم ووصلت مكتبة كوبنهاجن بعد وفاته² .

¹ ينظر، يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 120، 121.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 23.

كما أن زوجته نشرت سيرته بعد وفاته ، وكشفت عن خصومه ومواقفهم ضده أثناء حياته، بالإضافة إلى بعض محاضراته. "وبارتياح عارم قدّر لها أن تعيش لحظات اعتراف الآخرين التدريجي بزوجها الراحل، وهو ما لم يتمّ به أثناء حياته"¹.

قدّم رايسكه الكثير للغة العربية والأدب العربي والشعر تحديداً وأبدع في ترجمته وتوصيله إلى القارئ الأوروبي بمعانيه وجمالياته .

حيث يقول يوهان فوك عنه : "لقد رفع رايسكه من منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم المستقل، ولم يكن أحد مثله على بنية من خصوصية قواعدها واستقلاليتها، كما لم يتصدّى أحد مثله عن وعي لأصحاب (اللغة المقدسة) التي كانت سائدة في ذلك الوقت... فلم يقرأ نصوصه العربية كعلم لغة يكفي منها فقط بفهم القصد الذي يرمي إليه المؤلف بل كمؤرخ يصنّف التاريخ الإسلامي في إطار التاريخ البشري العام"².

أصبح رايسكه شهيد الأدب العربي، وبعد قرن واحد، استعاد حقّه، بعد وفاته، من خلال معهد الدراسات العربية في جامعة لايبزيغ، مدينته التي عاش فيها، فكان هذا المعهد يعتبر رايسكه الأب الروحي الذي تستمدّ منه تراثه الذي مات من أجله.³

كان رايسكه المترجم الواعي للشعر العربي بمعانيه وألفاظه ونقله إلى الألمانية الثقيلة الصحيحة التي تتسم بالعمق في دراسة التاريخ العربي وأصوله وفق منهج مستقلّ ومغاير أهله لأن يكون مختلفاً عن غيره .

فريدريش روكرت (1788 – 1866) :

فريدريش روكرت شاعر ألماني ومترجم ومتخصّص في لغات وآداب الشرقيين الأدنى والأقصى، ولد في مدينة شفباين فورت وتوفي في قريته "نويتزس" بالقرب من مدينة كوبورك .

¹ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 121.

² المرجع نفسه، ص 122.

³ نفسه، ص 123.

والحقّ أننا لسنا ندري أكانت عبقريته أكبر في مجال الشعر أم في مضمّار اللّغات الشّرقية ولعلّ ما يبعث على الأسف أنّ هذا العالم القديم يحظّ بتقدير مواطنيه، فمازال الشعب الألمانيّ يجهل حتى الآن الكثير من أعماله في حقل الاستشراق¹.

ما دعانا إلى التعريف به وبأعماله في ميدان الإبداع والترجمة للشعر العربي القديم وإتقانه للغة العربية وعلومها، حيث، "انشغل بأداب الشرق المختلفة، وافق في النهاية فنّها الشعري، من حيث أنّه أدرك بالحدس طبيعتها من خلال غريزة لا تخطئ لرومانسي أصيل، ثمّ قدّمها في قواف ألمانية بتمكن لغوي لا يضاهي، هذا وتعدّ ترجمته لديوان الحماسة الذي أصدره فريتاج وترجمته الرّفيعة لمقامات الحريري بشكل خاصّ من صلب الأدب الألمانيّ"².

تعرف على المستشرق الشهير يوزف فون هامر الذي علّمه اللّغات الفارسية والعربية والتركية وأطلعه على آدابها، درس بعدة جامعات منها جامعة برلين حتى عام 1848م، كان شخصا غزير النّظم في الشعر بأنواعه، فنظم القصيدة والأغنية والأنشودة والمقامة القصيرة والمسرحية الشّعريّة، ومزج في شعره بين الكلاسيكيّة والرومانسيّة، وكان مضطلعا على الأشكال الشّعريّة الشّرقية خاصّة في العربية وهو من أدخل قصيدة الغزل إلى الشعر الألمانيّ .

كان ذا باع طويل في ترجمة الآداب الشّرقية إلى الألمانية حتى أنّه ليس من اليسر حصر كل ما ألف من أشعار وما ترجم من أعمال، حيث كان له إنتاج غزير في الأشعار الغراميّة وعلى الرّغم من ذلك لم يدرك الجمهور أنّ شاعره المحبوب كان في الوقت نفسه مترجما عبقرى الإهاب، ينذر أن يوجد مثله على مرّ العصور، ورغم ذلك كان روكرت يشكو حاله بقوله:

لا يثير النفوس ما أوحطني به آلهة الشعر

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 55.

² يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 168.

ولا يلتفت العلماء إلى ما ألفت في مضمار اللغات.¹

شاعر تلقى علومه في جامعتي " فورزبورغ وهايدلبرج " والتحق بمعظم أقسامها الشرقية فوفق في إجادة العربية وكان يحسن ثلاثين لغة.²

إضافة إلى القصائد الألمانية التي كتبها، فقد أسس لعلوم الاستشراق، منفصل عن كلية اللاهوت لأول مرة في تاريخ الجامعات الأوروبية، وأسس مكتبة لخدمة الدراسات اللغوية والأدبية الشرقية، وكان نشاطه الترجمي في حركة دائمة، فكان ينجز ترجماته في صياغات شعرية جميلة ومتينة تكاد تضاهي الأصل، إضافة إلى تحقيق النصوص الشعرية مثل ترجمة " ما يشرح القلب ويهيج العين من الشرق ".

صاغ بقلمه أشعار على نمط أسلوب الشاعر المتصوف مولانا جلال الدين الرومي، وأخرى تعكس روح الحافظ الشيرازي، وأخذ يترجم القسم الأكبر من القرآن الكريم، وعندما نشر سيلفستر دي ساسي مقامات الحريري سنة 1822م ترجمها روكرت ترجمة رائعة قريبة من الإعجاز.³

اختار روكرت الشعر لأنه أقدم شكل أدبي في تاريخ البشرية وكما له فكرة أن الشعر يلتقي فيه العالم وكان المؤرخ رودولف كرويتنر يعمل في كتابات روكرت بعد وفاته يؤكد أن كتابات هذا الأخير كانت كلها شعرية مكتوبة بلغة راقية جدًا.

نشر قصائد وحكايات منظومة استمد مواضيعها من كتب التاريخ الإسلامي وقد جمع منها مجموعتين تحتويان على حكايات وأشعار حول الأحداث الهامة في تاريخ الإسلام، وعلى أجزاء من بعض وسائل التصوف مصاغة كلها في لباس أشعار ألمانية رقيقة.⁴

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 55.

² نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 699.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 56.

⁴ المرجع نفسه، ص 56، 57.

هناك نقطة مهمّة ميّزت روكرت عن باقي المستشرقين الألمان وهو أنّه حاول في ترجمته إبراز الأسلوب الشعري في القرآن ونقله بلغته إلى اللغة الألمانية ومن خلال ترجمته هذه أثر على الشاعر غوته الذي اعتمد في ديوانه الشعري " ديوان الشرق والغرب " على ترجمة روكرت .

كان يترجم أحيانا الشعر العربي أو الفارسي الذي قرأه على طلبته ارتجالا في شكل منظوم، ولم يهتمّ في ترجمته بالقواعد اللغوية والنحوية حيث كان يأخذ بيد التلاميذ إلى قلب اللغة ليتعرّف على أسرارها وتوافق العبارات فيها وتشابك الكلمات .¹

وعلى العكس المستشرقين الألمان فقد تأثر روكرت بالشرق والأدب الشرقي ولغته عن بعد، ومن خلال ما قرأه فقط، حيث أنه لم يسافر قطّ إلى البلاد الشرقية ولم يحتكّ بالعرب أو الفرس طوال عمره، بل تعرّف عليهم من خلال الكتب وأعمال الرحالة والدراسات اللغوية المقارنة، ودراسة بعض أعمال المستشرقين الذين سبقوه .

كان روكرت يسعى دائما إلى أن يثبت بواسطة بحوثه العلمية وترجماته الشعرية عن اللغات الأجنبية وحده الإحساس عند كافة الأقسام، وأن يبرهن بذلك على أنّ العشق هو في الأقاليم السبعة وفي قلم الزمان وحديثه ولذلك كتب عند ترجمته لأشعار " الحماسة " أبياته القائلة :

إنّ الشعر في اللغات جميعها لغة واحدة لدى العارفين .²

عرّف الألمان بشعر الغزل الذي لم يكونوا يعرفوه من قبل ولا يعرفوا الشعر ذا القافية الواحدة، وقد طبق روكرت هذا اللون الشعري في اللغة الألمانية وقد تبعه في ذلك شعراء آخرون كتبوا في الغزليات بقوافي مشتركة لها إيقاع جميل وصوت حلو تطرب له الآذان والأسماع .

¹ ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 58.

² المرجع نفسه، ص 59.

وكان روكرت على حقّ إذ أشار في أوّل الغزليات إلى معشوق مولانا جلال الدين الرومي وهو شمس الدين

التبريزي المذكور اسمه في كل من أشعار الرومي :

التور في المشرق ، وأنا في المغرب

مثل جبل ينعكس على ذروته الضياء

أتى القمر الأشهب لشمس الجمال

فاصرف عني النظر ، وانظر إلى وجه الشمس.¹

تأثر كثيرا بأشعار حافظ الشيرازي، حيث ترجم قسما من ديوانه من الغزليات نشرها سنة 1926م لكنّها

للأسف لم تجمع في ديوان واحد وبقيت مبعثرة في الجامعات الألمانية .

وإذا أردنا أن نحمل أعمال روكرت حول الشعر العربي القديم وأهم أعماله المترجمة نذكر منها :

- المقامات الحريية (1829م) .
- دراسة عن طرفة بن العبد مع ترجمة معلقته شعرا بالألمانية.²
- ترجمة معلقة عمرو بن كلثوم (1838م) .
- ترجمة أشعار امرؤ القيس (1843م) .
- ترجمة ديوان الحماسة لأبي تمام الذي نشره فرايتاج ، وقد حقق فيها شعره ، وردّ على انتقاد العرب في صحّة مرثية تأبّط شرّاً.³

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، المرجع السابق، ص 61.

² نجيب العقيلي، المستشرقون، المرجع السابق، ص 699.

³ المرجع نفسه، ص 699.

- ترجمة مقطوعات من آثار فريد الدين عطار ، وقصيدة لأنوري ، وبضع رباعيات لعمر الخيام، ولم يهمل الشعر الشعبي الفارسي¹.
- ترجم الأمثال العربية الألف وستا مئة ، لكنها لم تطبع لحد الآن .
- لامية العرب للشنفرى التي ترجمها الكثير من المستشرقين الألمان .
- ترجم قصيدة البردة لكعب بن زهير (1849 م)².

توفي روكرت وهو يقارب الثمانين من عمره ، وكان بلغ منه التعب والإرهاق حداً بليغاً بعد حياة حافلة أطفأ فيها جذوة يومه وأحرق فحمة ليله في العمل ، على ما قاله زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولاً لا أبالك يسأم³.

فيلهلم آلوارد wilhelm ahlwardt (1838 – 1909) :

هو وليم بن آلوارد البروسي، ولد في جرايفسفالد ، وتعلّم العربي وأولع بأدائها فرحل إلى عواصم الاستشراق لنسخ مخطوطاتها، ثم عمل على تحقيقها وشرحها والتعليق عليها، فاشتهر بها اشتهار بوضع فهرس مكتبة برلين⁴. من المستشرقين الألمان المهووسين بالشعر العربي والجاهلي تحديداً، ويعتبر من الذين تأثروا به قراءة وترجمة، فوضعه تحت مجهر البحث والتقصي عن حقيقته ومنبعه وصفته وطبيعته ومن حملوا هذا الإرث العربي الثمين إلى الجيل اللاحق، ورغم أنّ هذه الشخصية مغمورة نوعاً ما، ولم تلق الكثير من الاهتمام، إلا أنّنا عزمنا أن ندرجه ضمن المستشرقين القدامى الذين ساهموا في دراسة الشعر العربي القديم وحقيقة وصوله، حيث كانت له جهود

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع السابق، ص 62.

² نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 699.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، المرجع السابق، ص 66.

⁴ نجيب العقيلي، المستشرقون، المستشرقون المرجع السابق، ص 720.

معتبرة وأفكار واجبة الدراسة والعناية، وهذا واحد ممن تأثروا بـ: "يوهان جاكوب رايسكه ومنهجه في قراءة الشعر واللغة العربية، لكن فكرة الشك أثارت وألهمت فضوله للمضي نحو هذه الدراسة والبحث فيها، حيث كانت له أعمال أدبية في هذا الصدد، وأفكار جمّة، وأحكام كثيرة ومواقف عدّة بين مؤيدة ومعارضه لرواية الشعر العربي وانتحاله وحقيقة روايته .

نشر كتاب "العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين" في لندن سنة 1870م، ثم في باريس سنة 1900م، وقد لفتت هذه القصائد السّت نظرة حول مدى صحّة الشعر الجاهلي، وقد قرأ ما كتبه قبله نولدكه حول هذا الموضوع قبل ثماني سنوات¹.

هذه المسألة - صحّة الشعر الجاهلي - أخذت الاهتمام الكبير عنده وعزم البحث في تفاصيلها، حيث قرّر آلوارد القول الفصل في موضوع صحّة الشعر الجاهلي ليس سهلاً ولا فصلاً، وتختلف فيه معالجة باحث عن آخر وفق نظريته ومعلوماته، ومن الخطأ مطالبة الآخرين الاعتقاد المطلق بأرائه وكل ما يمكن استخلاص وجهات محتملة مادامت الأمور متعلقة بالأوائل الذين تعزونا عنهم الوثائق².

ومن بين الأعمال التي صدرت عنه فيما بعد "دراسات وملاحظات" حول صحّة الشعر الجاهلي نشرها سنة 1872م، تضمّنت مجموعة من الشروحات والتمثّلات حول بعض القصائد الشعريّة لشعراء جاهليين معروفين وبارزين، وكذلك بعض الرّواة وطريقة سردهم لهذه القصائد .

ثم يتحدّث آلوارد عن سبب جمع الشعر وكيفيته، لقد جمع الشعر كي تفسر به آيات القرآن والحديث النبوي لأنّ القرآن جاء بلهجة قريش وهي لهجة كانت مفهومة في وطن النبي، أمّا خارج وطنه فلم تفهم نصف فهم، وقد شعر النّاس بالحاجة إلى تفسير القرآن، ولذلك نشأت مدرستان متنافستان في علوم اللّغة في الكوفة والبصرة،

¹ يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، المرجع السابق، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 23.

وكانت كلا المدرستين تعتمد في دراستها على الشعر الجاهلي وبفضل ما في الشعر الجاهلي من بناء متين ووزن يحدّد أشكال الألفاظ ومداهما، فقد اعتمدوا عليه¹.

حرص اللغويون في هذه الفترة على دخول الألفاظ من اللهجات التي قد تقدّم تفسيراً خاطئاً أو تؤثر على التسق اللغوي في تفسير القرآن، والفروق بين اللهجات قد يؤثر سلباً على هذا الموضوع، لهذا حاولوا أن ينسخوا قالباً نحويًا واحدًا وتركيباً مشتركاً بين القبائل من غير القرشيين، ولا ينبغي للعامة أن تطغى على اللغة الشعرية التفسيرية للوحي، لهذا السبب نجد حكام العصر الأموي كانوا حريصين كل الحرص على هذه المسألة، خوفاً من دخول اللحن إلى اللغة العربية، حيث أنهم كانوا يعلمون أبناءهم وغلمانهم العربية الفصحى، ويذهبون بهم إلى البادية المنعزلة غير المختلطة بالفرد الأعجمي، محافظين بذلك على قيمة اللغة العربية وصفاء تراكيبها ونحوها ومدلولاتها، لأنها تقدّم خدمة تفسير الوحي الإلهي والاستشهاد الشعري، لهذا السبب كان لظهور (كتاب المعاني) و(كتاب النوادر).

يرى آلوارد أنّ الشعراء كانوا منذ القلم حريصين على وجود راوٍ يتبع الشاعر أينما سار ويحفظ عنه، ويفسّر ظاهرة ذكر الصّاحب أو الصّاحبين في القصائد القديمة، إلى الإشارة إلى الراوي، ثم تطوّر الراوي بمرور الزمن، فلم يعد راويًا لشاعر واحد بل وسعت حافظتهم شعراً لشعراء كثيرين، ورويت عن قوة حافظتهم روايات مبالغاً، بلغت حدّ الأسطورة والأكيد أنّ ما وصل من الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين قليل، فقد ضاع بسبب مقتل العديد من المحافظين في معارك الجهاد في صدر الإسلام، وبسبب النسيان، والذي حفظ ووصل إلينا حتى منتصف القرن الثاني للهجرة هو أقلّ القليل².

يقول آلوارد في باب الرواية والرواة: "نحّف من توجيه اللوم إلى الرواة لهذه التجاوزات، لأنّه أقوى ذاكرة لا مفر لها من أن تنتابها لحظات من الضعف، ولذلك قد يخطئ في ترتيب الأبيات، أو يخلط في معرفة أسماء أصحاب

¹ يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 23، 24.

² المرجع نفسه، ص 26، 27.

القصائد والمقطعات الشعرية الكثيرة، وقد يكون هناك شعر متشابه في موضوع واحد، فينسب شعر هذا لذلك، كما حصل لشعر أبي داود الرؤاسي في وصف الخيل، أن نسب إلى امرئ القيس، وهنا لا يدخل القصد في نسبة الشعر لشاعر آخر... وليست النية سيئة، هي إنما السبب في هذا الأخذ... ويبقى الرواة الحقيقيون هم الينبوع الرئيسي الذي استقى منه جماعو الأشعار"¹.

يبقى العقل البشري معرضاً للأخطاء والتسيان وغيرها من الأمور الطبيعية الموجودة بالقوة فيه، فهو يقيم لها اعتباراً من حيث أنّها تؤثر على جمع الشعر وتوثيقه لكن ليس بالشكل الكبير، ورغم أخطاء هؤلاء الرواة إلى أننا في الأخير لا يمكن الاستغناء عنهم ولا عن حافظتهم باعتبارهم المصدر الوحيد لهذا الإرث الثقيل .

يعترف آلوارد أنّ الوسائل المتاحة لمعالجة القصائد القديمة هي وسائل محدودة حقاً ولكنها رغم ذلك ليست عارية من الأهمية والقيمة، ويقسم القصائد إلى ثلاث مجموعات : - فبعضها صحيح والآخر غير صحيح والثالث مشكوك فيه، وفي بعض النقاط لا نستطيع أن نتجاوز الرواية المنقولة إلينا، لأنّه لا مناص من تقبلها وفق ذمة الراوي واليات التحقق البسيطة"².

ويتحدّث أيضاً عن مشاهير الرواة ومنهم حماد الراوية الذي هو من أوسع الرواة حفظاً، والذي جمع القصائد السبع الطوال التي تعرف بالمعلقات، والذي جمع أيضاً القصائد القديمة، وما يتعلق بها من أخبار، وكان حماد أوّل من جمع الشعر، وقد روي عنه أنّه حفظ ثلاثة آلاف قصيدة جاهلية، وأنّه كان ينشد سبعمائة قصيدة تبدأ ب (بانت سعاد)، لكن ما يعيبه أنّه كان غير موثوق، وكان لا يتردّد في الإجابة عن أي سؤال يوجه إليه في الشعر والشعراء"³.

¹ يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 28.

² ينظر، عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص 71.

³ ينظر، يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 28، 29.

كما تحدّث عن الرّواية خلف الأحمر ويعتبره أشدّ خطرا على الشّعْر العربي القديم في إساءة التّصرف لهذا الشعر، لأنّه كان عالما وحادقا بالشّعْر حافظا للكثير من القصائد، وكان لا يستطيع نظم قصائد كاملة بروح القدماء ولغاتهم، ويزعم آوارد أنّ خلف الأحمر هو الذي نظم قصيدة الشنفرى المعروفة بالأمية العرب ونسبها إلى الشنفرى، وكذلك فعل مع تأبّط شرّا وامرئ القيس والنابعة الذبياني... وغيرهم¹.

لكن ما تكلم عنه المستشرق الألماني آوارد يفتقد نوعا من المصدقية والدليل القاطع، فهو لم يقدّم لنا رابطا أو شكلا من أشكال الانتحال بين هذه الأشعار ومن نسبت إليهم من الشعراء، إضافة لهذا أنّ هؤلاء الشعراء من خيرة من قالوا الشّعْر العربي وأعمالهم تحكم عليهم وليست لهم الحاجة إلى أن ينسبوا قصائد غيرهم لأنفسهم، فهذا الحكم يفتقد الكثير من الصّدق والمصدقيّة.

ترجم بقلم كوكو فتسوف، في نشره مجمع العلوم البروسي سنة 1910م، ونشر ديوان طهمان الكلابي (ليدن 1858م) وقصيدة تأبّط شرّا في أخذ الثّار وسفك الدّماء، بشرح واف (1859م)، والفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (جوتنجن 1860م)، وديوان أبو نواس، على مخطوطي برلين وفيينا (جرايفسفالد 1861م)، وبمعاونة دي خويه : فتوح البلدان لالبلاذري في ثلاثة أجزاء (جرايفسفالد 1863م).²

تحدث آوارد عن الشّعْر كثيرا وتحديدا عن الرّجز والشّعْر المرتجل، وقدّم الشّعْر المرتجل وقدّم الشعر وصناعته، وتناسق الأبيات فيما بينها وترابطها وسهولة الانتقال من موضوع لآخر داخل القصيدة الواحدة، دون أن يخل ذلك بالمعنى أو بعموم القصيدة ونسقها الدّاخلي أو تركيبها الفتيّ وما إلى ذلك من الأمور الفنيّة .

¹ يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 29.

² نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 720.

يقف عند المعلقات وسبب تسميتها بذلك، ويفترض أنّ القصائد الطويلة سميت معلقات لأنّ كل قطعة فيها قد علّقت بالأخرى، ومع ذلك لم تسمّ بهذا الاسم إلاّ القصائد السبع أو التسع، ويرى أنّ لا صحة للرأي الذي يقدمه فوق كريمة الذي يقول فيه: "أما القصائد التي علقت - أي كتبت - من إنشاء الرواة"¹.

ويعتبر آوارد أن القصائد الجاهلية بوجه عام مشكوك فيها وأسباب ذلك :

- الكيفية التي تمّ بها نقل القصائد إلى العصور المتأخرة.
- المقاييس والأغراض التي ارتبطت بإعطائها وقبولها والاعتماد عليها وتسميتها باسم هذا الشاعر أو ذاك .
- أحوال تركيبها، فمنها من كانت أبياتها متناثرة هنا وهناك و تمّ جمعها وتوحيدها في قصيدة آخذين في ذلك اعتبارات عدّة .

- طبيعة مؤلفيها وحجمها وترتيبها الداخلي وبعض أبياتها المفردة نظرا لضياع بعضها أو نسيان ترتيبها وهذا ما يؤدّي أحيانا إلى إنكارها.²

زاده المعرفي بالشعر العربي لم يكن هينا وحبّه وعشقه له لم ينضب، حيث استمر في تأثره وقدم لنا "العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين"، بمقدمة إنجليزية، وتذييل يشمل على المخطوطات الباريسية والجوطية³ والليدنية⁴، وذكر السبب في قول المعلقات واختلاف نسخها (لندن 1870م، باريس 1902 م)، ونشر تاريخا عربيا لمؤلف مجهول (جرافسفالد 1883م)، والجزء الحادي عشر من أنساب الأشراف للبلاذري، (جرايفسفالد 1883م)، وقد بلغ الذروة في وضعه فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية، في عشر مجلدات

¹ يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 31، 32.

³ الجوطية تعني: المخطوطات الموجودة بجامعة جوتنجن الألمانية .

⁴ الليدنية تعني: المخطوطات الموجودة بجامعة ليدن الألمانية .

جسيمة، وصف ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وصفا علميا دقيقا (برلين 1887م)¹.

ثم تحدّث عن السرقات الشعرية والشعراء الذين ترقّعوا عن هذا الأمر واجتلاب المعاني مثل حسان بن ثابت الذي يقول :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

إني أبي لي ذلكم حسبي ومقالة كمقالع الصخر².

وقف آلوارد عند القصائد التي تنسب لشاعر ولاحر، مثل قصيدة النابغة الذبياني إلى أوس بن حجر، ويقرّر من الصعوبة البثّ في هذا الحالات، وتحدّث أيضا عن مسألة القصائد المنسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب في ديوانه ومطلعها:

النّاس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأّم حواء

إنّما هي لسميته: علي بن أبي طالب القيرواني³.

وهذا ما كان يحدث في قصائد أخرى وأخطاء مماثلة يقع فيها الرّواة وخاصّة إذا كانت أسماء الشعراء متشابهة بدرجة كبيرة -مثل مثالنا السابق- ما كان عائقا أمام نسبة القصيدة إلى صاحبها الحقيقي وتدوينها باسم شاعر آخر نسبت إليه .

ومن بين الأعمال الشعرية الترجمة لآلوارد أنّه "نشر أشعار خلف الأحمر (جرافسفالد 1895م) ومجموع أشعار العرب، في ثلاثة أجزاء، وذيول تفسير وفهارس :

¹ نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 720.

² يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 33.

³ المرجع نفسه، ص 33.

أولاً : الأصمعيات وبعض قصائد لغوية، من مخطوط كوبربللي في 110 صفحات وذيل في 89 صفحة (برلين 1902م).

ثانياً: ديوان الأراجيز للعجاج، والرقيات وأبيات مفردات منسوبة إليهما في مائة صفحة وذيلين في 68 صفحة (ليبيج 1903م) .

ثالثاً: ديوان روبة بن العجاج، وأبيات منسوبة إليه، وديوان أبي المرقال في 192 صفحة، وذيلين الأول من 122 صفحة والثاني من 114 صفحة (برلين 1903 م، وترجمته بالألمانية ، برلين 1904 م)¹.

كۆن ثقافة جاهلية من خلال هذه الدراسات والتّجمات، أهلته الاطلاع على مسائل عدّة في هذا التراث الشعري وعن أصحابه ومجموعة الدّواوين التي كتبها ونشرت في وقت لاحق .

ومن مصنفاته: شعر العرب وشاعريتهم (جوتنجن 1856م)، وملاحظات على صحّة الشعر الجاهلي (جرايفسفال 1872م)².

يقول محمد الدسوقي: "لقد قام المستشرقون بنشر الكتب من نفائس التّراث الإسلامي نشرا علميا يسّر لنا الانتفاع بهذا التراث، وهذا فضل للاستشراق لا يمكن غضّ الطرف عنه مهما تكن بواعث المستشرقين في ذلك"³.

وإذا أردنا أن نلخص مجمل الخطوات التي وقف عندها آلوارد في دراساته وتأثّره وترجماته للشعر العربي والجاهلي منه، وأهمّ مواقفه و آرائه حول هذا الإرث العربي نلخصها فيما يلي :

1. من يفتح مجموعات القصائد القديمة مثل "الحماسة" لأبي تمام، أو الكتب المتعلقة بأقدم الآثار الأدبية مثل

كتاب الأغاني، سيجد مقدارا كبيرا من هذه القصائد القديمة التي تنسب حيناً إلى هذا الشّاعر، وحيناً

¹ نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 720 ، 721.

² المرجع نفسه، ص 721.

³ محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، تاريخه وتقومه، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1995، ص 140.

آخر إلى شاعر آخر¹.

2. بعد زمان الشعراء الحقيقيين وبين الزمان الذي جمعت فيه قصائدهم وكتبهم ورواياتها انتقلت بين أفواه كثيرة

قد يضيع بعضها في الطريق بفعل التسيان أو التعمد أو غير ذلك .

3. تشابه أسماء الشعراء ممّا خلط الأمر على الرواة في نسبة القصيدة لهذا أو ذاك،" فنجد مقدار من القصائد

نسبها البعض إلى أبي نواس والبعض الآخر إلى غيره، فضلا عما حدث بالنسبة إلى المتأخرين عنه"².

4. تشابه مطلع القصائد واختلاف مضمونها، ممّا قد يخلط الأمر عند المدونين وتداخلها في بعضها البعض

وحتى في ترتيب أبياتها .

5. الدراسات اللغوية لمجموعة الألفاظ التي جاء بها القرآن الكريم والتي لم تفهم في القصائد ولها دلالات في

ذاتها، ممّا استدعى استبدالها من طرف الرواة أو المدونين وهذا ما قد يغيّر في مغزاها الحقيقي، وبالتالي يؤثّر

على المعنى العام للمقطع أو للقصيدة برمتها .

6. بني الوارد شكّه على ما لاحظته من وجود قصيدة بحجم معين ووجودها في موضع آخر أكبر من ذلك، أو

أنّ المطلع موجود هنا ومفقود هناك، أو تغيير خاتمة القصيدة³.

7. اعتماد النحو الجاهلي والموجود في القصائد الجاهلية، لأجل وضع الظواهر التحوية التفسيرية لمحمل الألفاظ

والمعاني (في المدرستين الكوفة والبصرة) .

8. مثل الشعر الجاهلي الثروة اللغوية الصّافية السلمية، ولم تكن تزيّفها آثار أجنبية ولم تخلّ بها الكلمات

والأفكار التي أتى بها العصر الجديد⁴.

¹ عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 42.

² المرجع نفسه، ص 42.

³ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 23.

⁴ المرجع نفسه، ص 24.

9. ضرورة توحيد اللغات بين كل العرب، القبائل والأمصار، وتوحيدها كذلك بين الشعراء والكتاب المقدس، حيث يكون استعمال الألفاظ والتراكيب التحويلية بين الشعراء واحداً بين كل القبائل العربية وبالأخص الشعراء منهم الغير القرشيين وألفاظ ومعاني وتراكيب القرآن الكريم، لأن لغة قريش كانت لها المصداقية وهي الطاغية.

يقول محمد كرد علي: "لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدور الثمينة التي أخذناها... ولجهدنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا، ولو جئنا نعدّد حسنات دواوين الشعر أو كتب الأدب والعلم التي أحيوها لطلال بنا المطال"¹.

تيودور نولدكه (Theodor noldeke) (1836 – 1930):

رغم الهدوء الذي كان يسود بوجهه عام مجرى حياة المستشرق العظيم تيودور نولدكه إلا أنّ مكاسبه العلمية وقوة نفوذه طبعت حقل الاستشراق بكامله خلال سبعين عاماً الأخيرة، بطابع شخصيته المؤثرة، ولولاه لما، أمكن تصور أيّ تطوّر لهذا العلم.²

يعد هذا المستشرق ومن خلال ما قدّمه نقطة تحوّل في الاستشراق الألماني والعالمي، إذ وصف بأنّه أعظم مستشرفي عصره من الألمان .

ولد في هامبورج - التي أطلقت اسمه على أحد شوارعها - من أسرة عريقة، تعلّم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية على يد ايفالد، في جوتنجن (1853م)، ونال جائزة مجمع الكتابات والآداب في

¹ علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون ونشر التراث، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد للنشر، الرياض، ط 1، 2003، ص 22 ، 23.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 115.

باريس على رسالته أصل وتركيب سور القرآن (1856)، وأستاذًا للغات الشرقية في ستراسبورج (1872 - 1920م)، فجعلها مركز الدراسات الشرقية في ألمانيا.¹

نال جوائز عدّة في أبحاث كثيرة حول الدراسات الشرقية منها سنة 1856م، نال مرتبة الشرف في جامعة جوتنجن، وجمعه مراجع جديدة من مكاتب فيينا، ولايدن، وبرلين ونال جائزة حول هذا العمل عندما أعاد ترجمة (تاريخ القرآن) باللغة الألمانية سنة 1860م.

لقد شهد العمل بالوثائق العربية الذي اتسعت دائرته إلى جانب القرآن ليشمل الشعر العربي القديم بشكل خاصّ (قصائد عروة بن الورد 1863م، مساهمات حول معرفة شعر قدماء العرب 1864م).²

من أوّل الدراسات التي ظهرت وأثارت الانتحال والشك في الشعر الجاهلي، بحث فولدكه بعنوان: "في سبيل فهم الشعر الجاهلي"، وقف على موضوعات كثيرة تتناول تكوّن الشعر الجاهلي وطبيعته وبدايته، ووصوله إلى العصر العبّاسي وحفظه، وقد لاحظ أنّ الشعر الجاهلي بسبب تشابه البيئة ورتابته، ظهر فيه التكرار في المعاني وفي صياغة لبعض أبيات الشعر وتشابهها.³

كان يرى أنّه من الأنسب تحديد البدايات لهذا الشعر إلّا أنّنا لا نستطيع ذلك وان أردناه فعلا فيتسنى لنا تحديداً نهايته، حيث أنّ امرئ القيس عندما يتحدّث في شعره إنّما يحاكي من سبقوه وهذا دلالة على وجود شعراء سبقوه في كتابه الشعر العربي .

حيث يقول: "شكل القصيدة لم يكن قديما جدا في عصر امرئ القيس، أو يبدو لي على الأقلّ أنّ استخراج هذه النتيجة أولى من الاعتماد على أقوال أهل اللّغة والأدب فيما يتعلّق بنسبة هذه الطّريقة في التّظّم إلى هذا الشّاعر أو ذاك، بيد أنّه يلوح من ناحية أخرى أنّ الأشكال المنقولة قد أدّت أحيانا عند

¹ نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 738.

² يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 226.

³ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 14.

الشعراء القدماء إلى صناعة تثير الشك والاثام بأنّها لم تعد بعد حيّة وأنّها نشأت قبل ذلك بزمان طويل، لكن مهما يكن من شيء، فإنّه لا يوجد لدينا بيت شعر وثيق النصّ يمكن أن يرجع إلى ما قبل سنة 500 ميلادية¹.

هذا ما يتعارض مع بعض المفكرين العرب المهتمين بدراسة الشعر القديم ومن بينهم منذر معاليقي الذي يقول: "أكدت الوقائع التاريخية أنّ نولدكه وأمثاله من المستشرقين المنصفين لا يستطيعون أن يعطوا حكماً على الشعر العربي، ويكون بديلاً للنقاد العرب، بسبب التمايز الثقافي والتباين المجتمعي، والحاجة إلى معرفة تامة بدقائق اللغة العربية وإلى أساليب الكتابة الشعرية، التي نشكّ في قدرة أي أجنبي مستشرق أن يكتبها، وبالتالي لا يجوز منطقياً أن نعول كثيراً على تصورات نولدكه وآرائه النقدية حول القصيدة العربية في الجاهلية"².

لا ننسى أيضاً أن هناك مسألتان أولهما: أنّ بعض المستشرقين الألمان أمثال رايسكه، وفلايشر ونولدكه، وبروكلمان، من القدامى وآخرون من المحدثين، أتقنوا اللغة العربية وأبدعوا فيها ولربّما في بعض الأحيان يتفوقون في ذلك على العربي في معرفتهم لها. وثانيها: أنّ المخطوطات العربية القديمة والشعرية منها متوفرة في جامعات ألمانية وتحت تصرفهم بعكس ما تحت أيدينا نحن، فالمخطوط الأصلي ليس كالمقول في الدراسة والاطّلاع، حيث أنّ نولدكه له دراسة بعنوان (حول القواعد العربية الفصحى) سنة 1896م، ممّا سهل مهام الاطّلاع على الإرث الثقافي العربي ودراسته.

تناول نولدكه المعلقات وتسميتها، وينكر أنّها علّقت أو كتبت بماء الذهب، وإن كان لا ينكر وجود الكتابة، وكتابة الشعر خاصّة، ويشير إلى قصيدة لقيط بن زرارة التي أنذر بها قومها وأنّها كانت مكتوبة، أمّا إنكاره التعليق، فيستند إلى المؤرّخين الذين كتبوا تاريخ مكة، كالأزرقي وابن هشام، الذين لم يذكروا التعليق

¹ عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 18.

² منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997، ص 140.

أو يشيروا إليه، أو في كتاب الأغاني، وأول من ذكر المعلقات هو أحمد بن النحاس، ثم بعض المتأخرين مثل ابن خلدون والسيوطي، وابن النحاس يذكر صراحة أنّ حمّاد الرّواية أول من اختار المعلقات السّبع من بين القصائد ويؤيد هذا الرّأي المفضل الضبي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو زيد القرشي، مؤلف كتاب جمهرة أشعار العرب.¹

كان يدرس بجامعة ستراسبورج "وكان التلاميذ يترجمون، بينما كان يصحّح ويقوم بالتعليق والشرح، لغة ومحتوى، وكان كأستاذه ايفالد، يفرض على تلامذته مطالب عالية، فتعلّموا منه أن يكونوا أمناء في أصغر التفاصيل، وإلا يفقدوا نظرهم إلى الكلّ عموماً، وأن يجتنبوا النظريات القلقة التي لا تصمد أمام النقد ولا تستند إلى الحجّة والبرهان، وحين كان أحد التلاميذ يلحن في القراءة أو يخطئ في أحد بحور الشّعر أو في التّرجمة كان جسم الأستاذ يهتزّ بقلق احتجاجاً واستنكاراً للخطأ الفادح".²

أظهر الصّرامة اللاّزمة في التّعامل مع ترجمة الشّعر العربي، حرصاً منه التّرجمة الصّحيحة وعلماً بصعوبة المفردات العربية ومقابلاتها في اللّغات الأخرى، أخذاً بذلك اعتبار لاختلاف البيئات والمجتمعات، فمثلاً هناك حيوانات في البيئة العربية لا توجد في ألمانيا ولا يعرفونها حتى، وهناك إشارات وتشبيهات صعبة التّرجمة .

عادت ترجماته وشروحه على المعلقات الخمس بالنّفع العميم على اللّغة التي كتبت بها المعلقات، وتجلّى مهارته في الشّرح أيضاً في محاضراته التي جمعت لمقتضيات الدّرس الأكاديمي باللاتينية ونشرت عام 1890م، وهي مختارات غزيرة من الشّعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، والى أن وضع أوجست موللر

معجمه.³

¹ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 19 ، 20.

² صلاح الدين المنجد المستشرقون الألمان، مرجع السابق، ص 118.

³ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص 227.

كما طرح فكرة أن القصائد العربية لم تكتب إلا بعد نهاية العصر الجاهلي - كما هو معروف - وإما قد كتبت من فم راو محترف أو أعرابي معجب بالشعر سمعه وحفظه ورواه، وبقي الحال كذلك يعتمد على المشافهة ونقل القصائد القديمة بالرواية الشفوية إلى أن ظهرت مدارس العصر العباسي التي حرصت على تقييد هذا الإرث الأدبي الشعري وتدوينه .

ومن الصعوبات البالغة في فهم القطع الشعرية أنها مقدمة لنا منتزعة من سياقها، وبناء القصائد العربية، وهي تتألف من سلسلة من الصور للقارئ مختلف جوانب الحياة العربية، وفيها كل بيت مستقل بذاته تقريبا - نقول إن هذا البناء ساعد على ظهور عادة إيراد شذرات منفصلة، تؤلف لذاتها كلا معلوما - خصوصا إذا كان السامع أو القارئ يعرف السياق، أما بالنسبة إلينا فمن المفهوم أن مثل هذه الشذرات تكون غالبا في غاية الغموض.¹

مسألة رواية الشعر وحقيقة وصوله إلى القارئ العربي والأجنبي تشوبها الكثير من التساؤلات وقد طرحها مستشرقون ألمان بالإضافة إلى نولدكه، وهي القصائد الشعرية المتبورة عن سياقها سواء كان ذلك في المقدمة أو الخاتمة أو حتى مطلع القصيدة الذي لا يتناسب أصلا مع موضوع القصيدة، وهذا ما يؤرق القارئ والناقد على حد سواء .

ولذلك نرى نولدكه يعلن أن التزييف الفعلي، انطلق من الشعراء المتأخرين، الذين وضعوا قصائدهم على لسان شعراء جاهليين، لينالوا الحظوة والقبول، والذين انتحلوا قصائد كاملة، أو أبيات محدّدة، من أجل الوعظ أو الفخر بالقبيلة وذمّها، وراحوا ينسجون النصوص الشعرية حسب أذواقهم وما حفظته ذاكرتهم ويسلكون منهج الانتقاء والاختيار من مختلف الروايات المتضاربة وبخاصة ما يتعلق بنشأة القصيدة وظروف نظمها.²

¹ عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 21.

² منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 140، 141.

لاحظ نولدكه أنّ بعض الرّواة في العصر الأموي قد سلكوا مسلكاً يتّسم بالاستهتار وعدم المسؤولية، ومن المغالاة أن نطالب رجل مثل حمادة الراوية (المتوفى بعد منتصف القرن الثاني) أن يدقّق في آلاف القصائد التي كان يحفظها تدقيقاً علمياً وأن يرويها للخلق كما هي في نصّها الأصلي دون أدنى تغيير¹، وهذا خارج عن طاقة بشرية معرّضة للخطأ والنسيان وأمور كثيرة، خاصّة بعد مرور وقت طويل على هذه الأشعار بالإضافة إلى تشابه نصوصها وصورها وبيئاتها، ممّا قد يخلق للرّايي مشاكل في رواية القصيدة، لأنّ البيئات العربية كانت متشابهة وتستعمل في أغلب الأحيان نفس الصّور في التّعبير لكنّ المقام مختلف .

تتجسد قمّة إعجابه بالشّعر العربي، في عيد ميلاده الثمانين أهدي إليه كتاب في جامعة ستراسبورج من جمعية هناك مع كلمة إهداء من السيد ايلنار ، وطبع على الكتاب باللّغة العربية البيت التالي:

تلك آثارنا تدلّ علينا فانظروا من بعدنا إلى الآثار .²

دلالة على الأثر التّرجمي الطيّب الذي أورثه للجامعة والمكتبة الجامعية وحتى الطّلبة من الدراسات الشرقية والأعمال الشّعريّة المترجمة إلى اللّغات الأجنبية بالصفة اللاتئة، يقول نولدكه : "وأنت لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللّغة العربيّة عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً".³

كما لاحظ نولدكه التّغيرات التي حصلت في الشّعر بسبب الدّين والمعتقد، حيث اعترف أنّ العرب القدامى لم يكونوا متدينين بدرجة كبيرة، إلّا أنّ هذا لم يمنع من ظهور بعض أسماء الآلهة والرّموز الدينيّة في أشعارهم (الغزّي) في دواوين الحماسة لتدل على القوّة والعظمة و(الشّمس) في ديوان الهذليين لتدلّ على السيطرة والشمولية وغيرها من الصّفات، وقد يتجنّب الشّعراء المسلمون ذكر هذه الأسماء في أشعارهم لأنّهم لا يعترفون بها، فحذفوا من الشّعر مقاطع وأبياتاً كاملة تتحدّث عن هذا، وأدخلوا أسماء الله بدلا من أسماء

¹ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 121.

² ينظر، صلاح الدين المنجد، المستشرقون، مرجع سابق، ص 121.

³ تيودور نولدكه، اللغات السامية، ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، مصر، 1963، ص 81.

الآلهة في الشعر، فنجد قصيدة لشاعر جاهلي قديم في ديوان **الهدليين** فيها اسم (الرحمن) أو لا بدّ أنّ أحد المسلمين قد أقحمه في هذا الموضوع، ونجد في كثير من القصائد التي فيها لفظ (والله) كان أصلها (واللات، والعزّة).¹

وينهي **نولدكه** بحثه في الشعر الجاهلي ووصفه وطريقة وصوله، مبينا قيمة هذا الشعر وقوته وروعته وبعد أثره قائلا: "ومهما يكن من شدة التعبيرات والتّحريفات التي أصابت القصائد الجاهلية، ومهما تعرضت له روايتها من اضطراب فإنّه يفوح من هذه الشذرات روح **هوميروس**، التي على الرّغم ممّا أصابها من تغييرات، وبالرّغم كل غموض في معانيها فإنّه لا يزال يرف منها ربيع الإنسانية الوضاء وسميت (الزهراء)."²

كانت له قراءة فنيّة في الشعر القديم وشعريته وجمال صورته من حيث أنّه "يرى أنّ القصائد العربية صور حيّة للعرب القدماء بفضائلهم وعيوبهم، بعظمتهم ومحدوديتهم، وهي قصائد جعلت مهتمّها وصف الحياة والطبيعة، كما هما في الواقع، مع القليل من التخيلات، وتسري فيها روح الرّجولة والقوّة، روح تهزنا هزّا نجدها في آداب كثيرة من الشعوب الآسيوية الأخرى".³

وكثيرا ما كان **نولدكه** يدعو نفسه بالعقلاني، ولكنّه لم يكن كذلك بالمعنى المألوف لهذه الكلمة، ويمكن أن ندعوه بدلا من ذلك ممثلا للعقل الإنساني السليم في الشؤون العلمية، أمّا في المسائل الشّخصية فكثيرا ما كان يصبح عاطفيا تماما، وكان ينفر من كل ما هو رومانتيكي وصوفي.⁴

أسهم **نولدكه** إسهاما كبيرا وفعالا في الشعر العربي القديم، الجاهلي والأموي، دراسة وتحقيقا وترجمة، ومن

بين أهمّ ما قدّم نجد :

• لامية العرب للشنفرى (1853م).

¹ ينظر، يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 17.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ نفسه، ص 21.

⁴ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 121.

- ديوان عروة بن الورد، متنا وترجمة ألمانية بشرح (جوتنجن 1863 م) .¹
- في سبيل فهم الشعر الجاهلي (1864 م) .²
- ديوان أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي (1864 م) .
- التخيلات العربية المتعلقة بالقدر (1865 م) .
- علم الأنساب في جزيرة العرب (1869 م) .
- منتخبات من الأغاني العربية القديمة مع شرح مفرداتها باللاتينية (1890 م) .³
- ترجم وشرح المعلقات الخمس مع موجز لتاريخ الجاهلية (1900 م) .
- مساهمات لفهم اللغات السامية وفيه لغتا الشعر والكتابة عند قدماء العرب (1906 م) .
- كتابات في الجزيرة العربية (1909 م) .
- ترجمة كليلة ودمنة ، مع مقدمة برزويه (ستراسبورج 1912 م) .⁴
- ديوان ذي الرمة .
- ديوان لقيط بن يعمر ودراسة عن أبي نؤاس (1962 م) .⁵
- أمية بن أبي الصلت (1912 م) والسموئل (1912 م) .
- الشعر الجاهلي وديوان الأنصاري، وديوان معن بن أوس المزني، وديوان قيس بن الحطيم، وديوان الأنصاري، وديوان عمر بن قميئة (1921 م) .⁶
- جمهرة أشعار العرب .

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 739.

² المرجع نفسه، ص 739.

³ نفسه، ص 739.

⁴ نفسه، ص 739.

⁵ نفسه، ص 739.

⁶ نفسه، ص 739.

- ديوان طرفة بن العبد.

- ديوان الحجاج

بحث نولدكه هو أوّل بحث استشراقي رصين يتعرض للشعر العربي وانتحاله وأسبابه على ضوء ما قدمته المصادر العربية من شواهد ونصوص، وأنّ الانتحال الذي يتحدث عنه لا يتجاوز التغييرات الطبيعية في ترتيب الأبيات أو تغيير كلمة مكان كلمة أو عبارة مكان أخرى، أو إضافة أبيات في قصيدة أو شاعر مجهول لشاعر آخر، وهذه أمور طبيعية تصيب آداب الشعوب المثيلة التي لها شعر عريق نقل بالرواية الشفوية خلال عصور طويلة.¹

¹ يحيى الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص 21.

ثانيا: المستشرقون الألمان المحدثون والشعر العربي

لقد مهّد المستشرقين الألمان بأبحاثهم ودراساتهم عن الشعر العربي (القديم والحديث)، الطّريق أمام ميلاد دراسات وأبحاث أخرى في الشرق الإسلامي عموما والعالم العربي على وجه الخصوص، وآثارهم في هذا المجال لازالت ممتدة إلى يومنا هذا، واتخذها الجيل الجديد منطلقا له في إرساء دعائم جديدة للبحث العلمي، وإن اعترت أعمالهم بعض النقائص أو لقيت انتقادات، فذلك لا يجرمهم من الاعتراف بصنيعهم واجتهادهم الأكيد في التنقيب، والبحث، والإصدار، وهذه الرؤى الاستشراقية التي وان خلت أحيانا من الموضوعية، كانت منطلقا لإعادة النّظر في تراثنا القديم، والكشف عن مواطن الزّيف التي حاول بعض المستشرقين إرساءها، فهنالكَ من كدّ وقدم لبيان عكس ما ذهبوا إليه بعض المستشرقين حيث "إنّ الدراسات الأدبية، وتاريخ الأدب التي نعرفها اليوم هي أثر من آثار المستشرقين وحسنة من حسناتهم"¹

نلاحظ ثلة من المستشرقين المحدثين الألمان اهتموا بالشعر العربي وساروا على خطى القدامى في ذلك لم تنماز به القصائد القديمة من منابع غزيرة للفكر الشرقي والثقافي والاجتماعي وغيره، فالقصيدة كانت نموذج بارز في حياة العرب قديما وتعكس كل ما يتعلق بالفرد والمجتمع وحتى النفسيات وأنماط التفكير.

لم يتلق الشعر العربي والقصيدة الجاهلية القديمة اهتماما كبيرا لدى المستشرقين إلاّ بعد مرور زمن طويل، أي إلى العصر الحديث وذلك لأسباب ثلاثة:

1- النّحل: وهو شكّ المستشرقين في قضية صحة الشعر الجاهلي، مما جعلهم ينفرون من دراسته وإعطائه

الاهتمام الكبير والتّفرغ الكامل للدراسة والبحث مثل: الدراسات التي قام بها: نولدكه ومرجليوت.

¹ عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، ج1، 1966، ص385.

2- شعريّة الشّعْر العربي وخاصة الجاهلي منه في مضامينه وذوقه الفني، يختلف عن الشعر الأوروبي، مما جعل

تذوقه بالنسبة للمستشرقين صعبا وبعيدا فكانت القصيدة العربية أقل تأثيرا في ذوقها الفني والإبداعي.

3- التفكّك: النظرة السائدة على القصيد العربية في قلبها وعمودها، الشّعْر الجاهلي على أنه مفكك وغير

مترابط ومنسجم.¹

هذه الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بان يعتكف المستشرقون وخاصة الألمان عن معاينة النصّ الشعري العربي وتطرقوا على قضايا تمسه فقط كالشك والانتحال والرّواة... وغيرها، ولكن في العصر تغيرت النظرة لهذا الإرث الشعري، وأصبح الألمان المحدثون يعالجون القصائد القديمة ويهتمون بها من خلال العلاقات القائمة بين أجزاء القصيدة والأغراض الشعريّة وغيرها من المسائل التي تدرس النصّ في ذاته دون عن سياقه التاريخي والعناصر البنائية له.

ولأجل هذا رصدنا بعض المستشرقين المحدثين الذي تطرّقوا لهذه المسائل ومن زوايا مختلفة، فكل مستشرق

ألماني طرق باب الشّعْر من نظرة مختلفة سيتم عرضها في هذا المبحث.

• كارل بروكلمان Carl Brockelmann (1868م-1956م) :

ولد في روستوك، وتخرّج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، ونبغ فيها وصارت له شهرة فقه العربية وقراءتها قراءة فصيحة وكتابتها، كتابة سليمة، وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، حتى عدّ إماما من أئمتها،

وعين أستاذا لها في جامعات عدة: كونسبرج وهاله وبرلين، وعيّن عضوا في مجامع برلين، وليبزيغ، وبون، ودمشق، وجمعيات أسيوية كثيرة.²

¹ موسى رباغة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، اربد، الأردن، ط1، 1999، ص9.

² نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص778، 777.

أكبر باحث عرفته الجامعات الأوروبية في النصف الأول من القرن العشرين في مجالات الدراسات السامية، وتاريخ التراث العربي، أثر فيه أستاذان المستشرقان الألمانيان فيشر ونولدكه، حيث اهتم بالدراسات الشرقية مبكراً قبل أن ينهي دراسته الثانوية في بلده، وارتبط خيالاً بالشرق ومن خلال المؤلفات التي قرأها عنه، متأثراً بأستاذه السابق ذكرهما.

لقد تبين لنا أنّ هناك أهمية لما قدمه كل من المستشرقين على انفراد، بحيث درس بروكلمان الأدب العربي على النمط التاريخي، وحاول أن يسجل تراثه الضخم، وأخطأ أحياناً كثيرة عندما تعرض للقرآن الكريم والرسول والإسلام، واهتم بالمراجع أكثر مما اهتم بالقضايا، وعنى عناية لا بأس بها بالمذاهب الفكرية و السياسية والدينية، وأحدث منهجه تحولاً عظيماً في دراسة الأدب العربي في الشرق والغرب معاً، وإن سبقه آخرون في اتجاهه.¹

حاول بروكلمان من خلال هذا المنهج قراءة التراث العربي قراءة تحقيقية ونقدية وتحليلية فهو عمل بيبلوغرافي فهرسي، يؤرّخ لتاريخ الأدب العربي من وجهة نظر أجنبية لا عربية، ومنذ ظهور كتاب بروكلمان أخذت كتب تاريخ الأدب العربي تصدر في الشرق والغرب متأثرة بكتابه متبعة منهجه في تناول تاريخ العرب من أوجه عقلية وعلمية وأدبية خاصة.

كان رأيه مميزاً بالموضوعية الصّافية الخالية من أي وهم التي كان بروكلمان ينظر بها لأعماله الخاصّة، ولأعمال غيره أيضاً، ولذا فمن الضروري لكي نفهم قوة فاعليته أن ننتبه دوماً للعلاقة الداخلية التي كانت تربط عمله الفردي بكل مستوى من مستويات البحث العلمي، وخاصّة أنّه شهد ثلاثة أعمار بشرية تقريبا، وأنّه كان منذ الثمانينيات شاهداً على الازدهار الكبير الذي مر به الاستشراق.²

تحدث في كتابه هذا عن تاريخ الشعر والشعراء واعتمد التصنيف التاريخي في ذلك، حيث عنون الباب الأول: أدب الأمة العربية وتحدث في الفصل الثاني منه عن أولية الشعر حيث يقول في بدايته: "كان شعر

¹ أحمد سميلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص416.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص153.

العرب فنا مستوفيا لأسباب التّضحج والكمال، منذ ظهور العرب على صفحة التاريخ، ولا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبر صحيحا عن أولية الشّعر، وإذا فلا يسعنا إلا أن نستخلص من الملابس المتشابهة عند شعوب بدائية أخرى نتائج معينة يمكن تطبيقها أيضا على العرب، إذا قدمت الأحوال الممكن التعرف عليها عند هؤلاء نقاطا يعتمد عليها في ذلك.¹

يعترف بفنيّة الشعر الجاهلي وعدم وجود تاريخ محدّد لبداية الشعر القديم، لأن البدايات العربية لم تكن على اتصال فيما بينها، إضافة إلى تدوين الشّعر، حيث قدم لنا الأخير أحوال هذه الشعوب وأيامهم ومآثرهم وحياتهم الاجتماعية وما إلى ذلك من مستخلصات وقراءات الشعر المختلفة.

يقول كذلك: "على أن العربي من حيث هو شاعر ليس موضوعا تماما، ليجد كفايته في فن كلامي واقعي محض، وإنما يضع فنه قبل كل شيء في خدمة فخره بنفسه واعتزازه بمجد قبيلته."²

كذلك الشاعر نفسه باعتباره موضوعا منفردا تميز بصفات القائد المدافع عن القبيلة في الحروب والمناسبات، مفتخرا بها، واضعا فنه لخدمة قبيلته يتخيّر أجزل العبارات وأرقى التعبيرات ليصورها أحسن تصوير ويضعها في أبهى صورة، فهذا الاعتزاز كما سماه بروكلمان يلفت نظر الناقد إلى شاعر القبيلة.

كما تحدث عن العروض في الشعر العربي القديم وأصوله قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي، وصنّف البحور حسب الأغراض الشّعريّة، على سبيل المثال: "تغلب البحور الطويلة النفس عند قدامى شعراء الحماسة، وعند الشعراء الستة، ويجيء البحر الطويل في المرتبة الأولى، ثم الكامل والوافر والبسيط."³

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط5، 1962، ص.44.

² المرجع نفسه، ص.65.

³ نفسه، ص.53.

كما حاول أن يقدم البحور الشعرية التي كانت طاغية عند الشعراء الستة وأشهر الشعراء القدامى حيث يقول:
 "أما التقارب فيوجد عند امرؤ القيس، كما يوجد عنده المنسرح قليلا، واستعمل طرفة الرمل في قصيدة طويلة تبلغ
 74 بيتا، وأما الحفيف فيبدو أن عمر بن أبي ربيعة هو أول من ساعد على انتشاره."¹

يقرّ أنّ البحوث الذي عنيت بتاريخ الشعر القديم لم تؤدي حقّ هذا الأخير، وخاصّة في باب العروض،
 حيث أنّ القصائد القديمة قد تخرج عن البحوث التي وضعها الخليل، حيث يقول في هذا الباب: "وعلى الرّغم
 من أنّه لا تزال تعوزنا بحوث لفنّ العروض عند قدامى الشعراء، يمكن أن نقرّر اليوم بحق هذا الفنّ كان يعتمد
 عندهم على قواعد ثابتة، نعم نجد في بعض قصائد الشعراء الأقدمين أبياتا خارجة عن العروض الذي وضعه
 الخليل أحمد، وما وضعه سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط في كتابه العروض، كما في قصائد المرقش
 الأكبر، وعبيد، وعمرو بن قميئة، وامرؤ القيس، وسلمى بن ربيعة، ويبدو أن هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة
 من النحو لم نقف على كنهها بعد."²

إضافة إلى إقراره بعدم شمولية فن العروض لكل القصائد القديمة، فهو يعترف بالعروض ويعتبره فناً، ويعتمد
 قواعد ثابتة ومنظمة النّسق والإيقاع وهذه ميزة من بين الكثير في الشعر القديم.

كان بروكلمان يدرك أن عمله في حاجة مستمرة إلى الإكمال بناء على ما يكتشف من مخطوطات
 ولذلك كان دائم العناية بإكماله على مدى نصف قرن، ويقوم الباحث التركي المسلم فؤاد سيزكين-تلميذ
 المستشرق الألماني هيلموت ريتير- بعد اكتشاف آلاف المخطوطات، بإكمال عمل بروكلمان، وذلك في كتابه
 "تاريخ التراث العربي" بالألمانية الذي ترجم بعضه إلى العربية، ومنح عله جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية
 منذ بضع سنوات.³

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج1، مرجع سابق، ص53.

² المرجع نفسه، ص54.

³ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص69، 70.

قدّم في الفصل الرابع - دائما من كتابه تاريخ الأدب العربي - طبيعة الشعر الجاهلي وتحدّث عن أقدم

الأغراض الشعرية ذات السند الصّحيح وكان غرض النّسب عكس ما يروّج للهجاء ثم فنّ الوصف حين يقول:

"فهم مارسوا أيضا فنّ وصف الحيوان والطّبيعة، الذي كان عند أسلافهم وسيلة إلى سحر المطر والصّيد، ولكنهم قصدوا هذا الفنّ لذاته فحسب."¹

كما تحدّث على أهم الحيوانات الموجودة في أشعار القدامى وحياتهم ومن أبرزها الإبل، لم له ضرورة في

حياتهم ممّا وجب عليه مدّحه وتقديره، يقول في ذلك: "يجب أن نضع نصب أعيننا أهمية الإبل العربي من حيث

هي أول مصدر وأهمّه لضرورات حياته.... ولن يأخذنا العجب في ذلك إذا علمنا أن البعير كان يلهب رغبة العربي

الصياغة والتصوير الفني، كما ألهب التّبخر شعراء الهند."²

كما تحدّث عن منهج شعراء القدامى في كتابه الشعر أو نموذج القصيدة العربية (عمود الشعر الجاهلي)

حيث يقول: "هذا المنهج لا بد أن يكون قد رسخ منذ زمن طويل، وقد ذكر امرؤ القيس سلفا له في الشكوى

والبكاء على الأطلال، يدعى: ابن خدام، وان لم يستطع أدباء العصر العباسي تعيين هذا الشاعر، وتبع المتأخرون

هذا المنهج ولم يكادوا يجسرون على تغييره."³

إشارة واضحة من بروكلمان إلى قيمة هيكل القصيدة العربية القديمة، وأن الشعراء القدامى البارزون شكّلوا منهجا

لكتابة القصيدة العربية ينتهجه الشعراء بعدهم وخاصة على منوال امرؤ القيس، وبقي هذا النموذج نمطا توارثيا

لشعراء اللاحقون حتى في عصر الحضارة العربية الإسلامية (العصر العباسي) أين التّنوع الشعري واللفظي واقتحام

الشعراء الأعاجم في كتابه الشعر على المنوال القديم وخير دليل على المحافظين في عصر النهضة البحري الذي

حافظ على منهج الشعراء القدامى.

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 56.

² المرجع نفسه، ص 56.

³ نفسه، ص 60

لعل المستشرق بروكلمان الذي قضى نصف قرن في تأليف كتابه "تاريخ الآداب العربية" وسلك به منهجا خاصا،

احتاج إلى صبر وجهد عجيبين، لا ينقص من فضله ولا من قيمة كتابه، بعض التغيرات اللغوية والقضايا

الاجتماعية، وسيظل عظيم الفائدة لا يستغني عنه باحث مهما تعددت الكتب التي من نوعه.¹

وقف في كتابه هذا على أمر مهم يخصّ الشعر والشعراء، ألا وهو قضية زمن كتابة القصيدة العربية ومدّة نظمها

حيث يقول: "وبديهي أن أمثال هذه القصائد، ولا سيما الطّوال كالمعلّقات، لم يتم نظمها دفعة واحدة، ومهما

كانت القافية كثيرا ما تهدى الشاعر في نظم شعره... وعلى ذلك فلا نستبعد مجال من الأحوال أن تكون

القصيدة من نتاج حول كامل، ومن هنا وجدنا رواية أكثر القصائد لا تثبت على ترتيب واحد... هو السّبب في

أن كثير من الشعر القديم لم تبق منه إلا قطع متفرقة."²

زمن نظم القصيدة يأخذنا إلى نقطة أخرى، فإن انقطاع أجزاء القصيدة وطول الزمن بينها يعرضها للتلف

وكذلك يغير من موضوعاتها، مما يجعلها ذات موضوعات مختلفة، فالزمن كفيل بتغيير الأفكار والأهواء، فهذا التغيير

في الموضوعات وعدم تجانس المقاطع الشعريّة، يؤجج فكرة الشك والانتحال، وهذا ما سبق إليه المستشرقون الألمان

القدامى في دراساتهم أمثال رايسكه وآلوارد.

نفى بروكلمان المؤثرات الأجنبية وتأثيرها في فن الشعر القديم وضرب مثال بورداخ، الذي أرجع غرض

النّسب العربي إلى شعر القصور اليونانية بالإسكندرية فهو شعر غزلي للنساء المتزوجات، وهذا الغرض انتقل إلى

الشعر العربي عن طريق شعراء ملوك الشّام والعراق وحجته في ذلك أن القبائل التركيّة قد عرفت هذا اللون من

الشعر في مطالع قصائدها المطولة في أواخرها منذ القديم.³

¹ عمر فروخ، الأدب العربي، دار العلم، بيروت، ط2، ج1، 1978، ص20.

² كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص61.

³ ينظر، المرجع نفسه، ص62.

أما في رواية الشعر العربي فقد كان لبروكلمان رأي، حيث أن الكتابة ظهرت عند أهل اليمن منذ ألف عام على الأقل قبل الميلاد وكانوا يستعملونها في نقوشهم الأثرية على الجدران والحجارة، وربما استعملوها لأغراض حياتية أخرى، وليست اليمن لوحدها وإنما وجدت نقوش في بلاد الجنوب تحمل طقوس دينية مختلفة، وكلها مكتوبة بخط قريب من خط الألف، وكان هذا قبل الإسلام بزمن طويل، وهناك دلائل أخرى منها: النصب التذكاري على قبر امرؤ القيس سنة 328م، في بلاد سورية مكتوبة بخط دمشق وكان هذا الخط شائعاً في تلك الناحية ويستعمل لأغراض شتى وكذلك عباد الخيرة النصرانيين كتبوا جانباً من أشعارهم بهذا الخط، فلا يمكن أن ننكر ولا نستبعد -مع كل هذه الدلائل- أن تكون هناك أبيات كتبت داخل جزيرة العرب في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- والأبيات عديدة وكثيرة، وهو ما يتعارض مع مرجليوت وطه حسين، على أنهم قد أنكروا استعمال الكتابة في هذه المنطقة قبل الإسلام كلية، وأن جميع الأشعار قبل هذه الفترة مصنوعة ومنحولة، وضربوا كل الأشعار الجاهلية في عدم المصادقية.¹

موقفه من رواية الشعر كانت صافية لا يشوبها شك ولا صنعة، حيث أقر بقدرة العربي على الاستيعاب والحفظ، لأنّ الشعر كان حياته، وكان شاعراً اجتماعياً بالقدر الكبير في أوساط قبيلته وخارجها، ممّا سمح لاستعارة بالذبوع والانتشار على قدر كبير، والمشافهة كانت سمة بارزة عند العرب، تعودوا عليها وجبلوا على تداولها، وكانت لكل شاعر صحبة تتبعه وتحفظ عنه.

يقول في هذه المسألة: "كان لكل شاعر جاهلي كبير على وجه التقريب راوية يصحبه، يروى عنه أشعاره وينشرها بين الناس، وربما احتذى آثاره الفنية من بعده، وزاد عليها من عنده، وكان هؤلاء الرّواة يعتمدون في الغالب على الرّواية الشفوية ولا يستخدمون الكتابة إلا نادراً... ولهذا لم يمكن التّحيز عن السقط والتّحريف، وان لاحظنا أن ذاكرة العرب الغضة في الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحد على الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم

¹ ينظر، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 63، 64.

الحديث¹، فهذا اعتراف واحترام للعربي وشخصه، ونفيا للشك والنفي واتهام بعض الرواة صنعة الشعر القديم، فهو يحترم الفرد العربي وشعره وينزهه من كل الشوائب والتحريفات التي اهتم بها سابقا سواء من قبل المستشرقين أو النقاد العرب أنفسهم.

كما تحدث عن المعلقات باعتبار أشهر وأرقى ما كتب العرب القدامى وأعادها إلى اختيارات جمعها حماد الراوية وأقدم لها هذا الاسم، واتفق مع نولدكه في هذا الرأي بخلاف ما ذهب إليه المحدثون على أنها كانت معلقة على الكعبة لعلو قدرتها ومكانتها، وذكر أن: "لا نتفق للروايات تماما على القصائد المعلقة فالقصائد المتفق عليها من الجميع خمس هي معلقات: امرؤ القيس، وطرفة، وزهير، ولييد، وعمرو بن كلثوم، والمعلقتان السادسة والسابعة هما قصيدتا عنتره والحارث بن حلزة في أكثر الروايات، ولكن المفضل وضع مكانتهما قصديتي النابغة والأعشى".²

أفرد كارل بروكلمان هؤلاء الشعراء فعلا كاملا في كتابه هذا (الفصل السابع) تحدث فيه عن قدامى الشعراء الستة –السالف ذكر أسمائهم– من شعراء الجاهلية لأنهم هم الأفضل من بين الشعراء الذين تم الجمع لهم القدرة الأكبر من الأشعار والدواوين الطوال وسيعرض بعض آراء النقاد العرب حول هذه المسألة أمثال: الفرزدق، وعمر بنشبة، وابن قتيبة، وابن سلام الجمحي، وتعرض لآراء هؤلاء تفصيلا حول آرائهم النقدية من الشعر والشعراء القدامى، وتحدث فيه فصل تبعه (الفصل الثامن) عن شعراء جاهليون أسماه (شعراء آخرون في الجاهلية) كالمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر ربيعة بن سفيان بن سعد ابن أخي الأكبر، وتأبط شرا والشنفرى، وعروة بن الورد، وعبيد بن الأبرص الأسدي، الذي عدّ شعره من أصدق الشعر الجاهلي، ولقيط بن يعمر الأيادي، وأوس بن حجر التميمي، وأممية بن أبي الصلت، وعبد القيس بن خفاف التميمي الذي عاصر حاتم الطائي، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن قميئة، وطفيل بن عوف، فقد أحصى اثنان وعشرون

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 64، 65.

² المرجع نفسه، ص 67.

منهم، وتعرض لمختلف أعمالهم الشعرية وممن ترجموا لهم من المستشرقين الألمان، ومنابع شعرهم إن كانت منحولة أو صحيحة.

وكان رأيه في شعر حسان بن ثابت متبدل وألفاظه بسيطة وسهلة، ويقول أن سبب انتشار شعر حسان يعود إلى مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- "وأكثر شعر حسان قريب الألفاظ إلى حدّ الابتذال ولا يصل إلى مستوى جد رفيع، وإنما يرجع فصل انتشاره، والتعلق به في الأزمنة المتأخرة إلى غرضه العظيم الأهمية وهو مدح النبي".¹

كما خصّص فعلا في كتابه للشاعر كعب بن زهير (الفصل الخامس) وذكر أهم أعماله بعد إسلامه "قصيدة البردة" التي هي من أشهر أشعار العرب، فلم يخجل كارل في كتابه هذا على الشعراء -على اختلافهم- بارزون ومغمورون، يحث تعرض لجل أشعارهم، والمتجمة منها إلى اللغات الأجنبية والألمانية والمستشرقين، الذين اجتهدوا في هذه الترجمات. "ومن ذا الذي يمكن أن يستغني عن "تاريخ الأدب العربي" بأجزائه الخمسة. تصنيف كارل بروكلمان؟ أنه لا يزال حتى الآن المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها".²

وفي أعمال بروكلمان وجدت الفيلولوجيا كمنهج تاريخي، يقول فولفد يتريش فيشر: "من المعلوم أن منهج تاريخي، ولذلك ألف بروكلمان في تاريخ الأدب العربي وهو مؤلف أيضا أساس النمو المقارن للغات السامية، وأخذنا ربما منه هذا المنهج، ولذلك على كل طالب يدرس اللغات السامية أن يدرس إحدى اللغات السامية الأخرى، على جانب اللغة العربية على الأقل، فنحن نرى في الآرامية كثيرا من كلمات وأصوات نجدها في اللهجات العربية أيضا".³

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 153.

² قدور تاج، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2014، ص 81.

³ هاشم اسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفد يتريش فيشر، ط 1، 1994، ص 382.

كانت له علاقة طيبة وأكاديمية مع الأدباء العرب، حيث "كان على اتصال دائم بالمراسلة مع عدد كبير من الشعراء وكتاب وعلماء الشرق، وقد سرّ قبل وفاته حين علم بأن القسم الثقافي لجامعة الدول العربية قُرز نشر الترجمة العربية لتاريخ الأدب العربي وملحقاته."¹

كانت له منهجية خاصّة في هذا الكتاب فقد "عرض تراجم العلماء والأدباء في العصور الإسلامية، وذيل كل ترجمة بمصادرها، ووصف الكتب ومميزاتها، وتاريخ طبعها، ومكانها في الشرق والغرب، وأحصى المخطوطات في مكتبات أوروبا وفي غيرها... وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجامع علمية أخرى كثيرة، وقد حرّر مواد كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية ودراسته وبحوثه في التاريخ واللغة، والأدب واللغات السامية، غزيرة ووفيرة."²

هذا الكتاب حظي بالاهتمام والعناية البالغين في أوساط الدارسين الغربيين والعرب "وهو الآخر نال مكانة بارزة في الدراسات الاستشراقية، فمعظم الباحثين في تاريخ الشرق الإسلامي لا يمكن الاستغناء عن كتاب بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الستة، الذي يعد المرجع في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها."³

لم يكتب بروكلمان في أجزاءه كتابه بعد أسماء الأدباء من كتاب وشعراء وعلماء وفلاسفة، على طريقة كتب الطبقات ونمط التراجم، ولا يسرد أسماء المصنفات والمؤلفات العربية في مختلف العلوم والمعارف والآداب، بل تناول الحياة العقلية بالوصف والتقد والتّحليل.

يعتبر كارل بروكلمان من أغزر المستشرقين إنتاجاً للأعمال الأدبية والتاريخية والإسلامية حول الشرق،

وأكثرهم نشاطاً وموضوعية وشمولاً وجدية، حيث نجد من بين أعماله الأدبية ما يلي:

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 160.

² محمد محمود الطنجاوي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1984، ص 260.

³ حسن محسن محمد، الاستشراق برؤية شرقية، دار الوراق، بغداد، ط1، 2012، ص 270.

- ديوان ليبد، مترجمات عن طبعة فيينا ومزودا بالحواشي (1891).¹
- تاريخ الآداب العربية في مجلدين (1898-1902).
- إحصاء المخطوطات في المكتبات الأوروبية.
- مختصر تاريخ الآداب (1901).²
- الشعر العامي القديم في تركستان (1923).
- ملاحظات عن أشعار مليح بن الحكم الهذلي (مجلة الدراسات السامية، 6، 1928).³
- تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن حزم.

كانت هذه الأعمال على سبيل الذكر لا الحصر، فقد قدّم أعمالاً كثيرة في مجال اللغويات والإسلاميات، والتصوف وأعمالاً في دائرة الإسلامية. في عصر تسوده موجة التخصص العلمي التي لا تعرفتوافقاً، وأصبحت فيه كل من هذه الفروع حقلاً واسعاً، يكفي ملء حياة عالم بكاملها، استطاع بروكلمان أن يمثل في شخصه وفي إنتاجه وعلى أتم وجه وحدة علم الاستشراق، وقد عنت وفاته نهاية عصر بكامله.⁴

هلموت ريتير Hellmut Ritter (1892-1971) :

من الجهود التي ينبغي إبرازها ونحن نتحدث عن الاستشراق الألماني هلموت ريتير، عاش حياة واسعة حلوة، مبدعة ومنتجة، تتسم بالحرية في الإبداع، لأنه ابن أسرة ألمانية متدينة فقد كان أبوه وأخوه قسيسين، تتلمذ على يد عديد من كبار المستشرقين الألمان الذين كانوا واسعياً الاطلاع على اللغات والثقافات الشرقية، تعلم اللغة العربية، والفارسية والتركية، أنجز بحثاً في بداياته تحت عنوان: "السفن العربية في الفرات ودجلة"، حين

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص778.

² المرجع نفسه، ص778.

³ نفسه، ص778.

⁴ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص162.

تواجهه بالعراق، وأربعون أغنية شعبية عربية، وأشعار حربية عربية من العراق، وعمل في اسطنبول مديراً لفرع "الجمعية الشرقية الألمانية"، نشر فيها التراث العربي والفارسي والتركي، واطلع على المخطوطات الموجودة في مكتباتها

أقام عشرين عاماً بإسطنبول في نهاية العشرينات، وصار أقدم العارفين بالمخطوطات الإسلامية المتوفرة في تلك المدينة.¹

كان ينتمي إلى اتجاه قدامى المستشرقين أمثال نولدكه، وفيشر وبروكلمان حيث، "كان مثلهم في الإصرار على تمثيل الدراسات السامية والعربية ولذلك فقد ألف في نحو اللغات السامية وفقهها، كما ألف في النحو العربي وقد ترجم رمضان عبد التواب تلميذ رودلف زلهام الذي خلف هلموت ريتز في فرانكفورت كتاب بروكلمان هذا في السبعينات."²

عمل على ترجمة العديد من الكتب الشرقية إلى اللغة الألمانية خاصة في التصوف الإسلامي، يعد فؤاد سزكين التركي الأصل مؤلف كتاب التراث العربي، الذي ينافس إدارة معهد الدراسات العربية لكارل بروكلمان، من أهم طلبة ريتز، ففؤاد سزكين يتولى إدارة معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، وقد شرع بتأليف كتابه بمساعدة أستاذه ريتز، وترجم كتابه إلى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية باثني عشر مجلداً.³

قدّم أعمال جمّة في البلاغة العربية تحقيقاً ونشراً، وتعرض لأعلامها وفنونها وتاريخها ومن أهمها كتاب "أسرار البلاغة" لبعدهم القاهر الجرجاني سنة 1954م.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 185.

² المرجع نفسه، ص 63.

³ ميشال جحا، مستعربان ألمان بارزان، هلموت ريتز ودوري بارث، ضمن كتاب (الاستشراق) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد الثالث، 1989، ص 65.

كانت له آراء رائعة حول التركيب الفني والجمالي واللغوي للشعر العربي أو الفنون البلاغية، ويتطرق ريتز

إلى مدرسة أبي تمام الشعرية أي مدرسة البديع ويرد على ما كتبه طه حسين في بحثه (البيان العربي من

الجاحظ إلى عبد القاهر)، الذي نشره كتمهيد لطبعة نقد النثر المنسوب لقدامى بن جعفر، وكذلك على

فكر طه حسين، بأنه أكثر العناصر البلاغية من شعر أبي تمام جاءت بسبب أصله اليوناني.¹

اهتم ريتز بالشعر الصوفي الإسلامي وتأثر بالشعراء المتصوفة وخاصة الشعر الفارسي وأعلامه على غرار

مولانا جلال الدين الرومي، والسهروردي، وفريد الدين العطار.

كان اهتمام ريتز بالتصوف الإسلامي مبكراً، وتدل دراسته المنشودة في مجلة الإسلام الألمانية عام

1924م عن الحسن البصري، على منهجه في بحث هذه الظاهرة الدينية والثقافية، مثلما تدل عليه مقالته

البالغة العمق عن أبي يزيد البسطامي، وهي التي نشرت ضمن مجموعة الدراسات التي صدرت تحية وتكريماً

للأستاذ تشودي في عام 1954م، وإن الاستشراق الأوروبي مدين له بالفضل على تقديمه وصفا للحركات

الإيقاعية التي يقوم بها المشتركون في حلقات الذكر من دراويش طريقة مولوي استجابة لموسيقى السماع.²

في مقدمة كتابه "أسرار البلاغة" يقول: "إنها لحقيقة مشهورة جداً أن العرب طوروا موهبة مميزة للفنّ

الأدبي، فلم يكتفي البدويون بإنتاج فنّي بحث ورسم أصليين بل من جانب آخر، ومنذ القرن السادس الهجري

صوروا فناً أدبياً أحادي الجانب هذا الفن يعتمد أساساً على الشعر وبصورة أكثر تحديد (القصائد الغنائية)،

ومنذ الأزمنة القديمة وجد الشعر جنباً إلى جنب مع النثر الأدبي.³

القصد من ذلك في نظره أن الشعر البدوي القديم كان إنتاجاً فنياً غنياً بالصور البلاغية التي اعتمدها الدارسين

العرب في البلاغة العربية أمثال الجاحظ، الذي اعتمد القصائد البدوية التي عرفت (بالاستعارات)، وكانت

¹ حامد ناصر عبود الظالمي، المستشرق هـ. ريتز ومقدمته عن أصول البيان العربي، قراءة في ضوء الاستشراق الألماني دراسات استشرافية، العدد السادس، 2016، ص155.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص186.

³ حامد ناصر عبود الظالمي، المستشرق هـ. ريتز، مرجع سابق، ص129.

الأساس في كتابه (البيان والتبيين)، كان له موقف من الشعر الغنائي العربي الذي رأى أنه لم يكن معروفاً في الأدب العربي القديم، وإنما بعض الرسائل الغنائية العربية، وحتى الشعر الملحمي هو بدوره متأثراً بأصول فارسية مثل كليلة ودمنة والسندباد وقصص أخرى إلى الشعر العربي.¹

من أهم كتب ريتز التي حققها هي كتاب: (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني، وقف فيه عند أهم المسائل البلاغية التي تحدث عنها الكاتب مستنبطاً إيها من الشعر القديم وأساليب الشعراء الستة الجاهليون وغيرهم، فهو ينتقد الرأي القائل بأن "جمال الأشعار يعتمد على جمال الكلمات"، فهو يولي عناية إلى الموسيقى الموجودة بين ثنايا هذه الألفاظ ووقعها لدى المتلقي، ومسائل أخرى بلاغية كالتورية في شعر أبي تمام، والتشبيه والاستعارة والتمثيل في أشعار لبيد وابن المعتز، والمجاز عند المتنبي، والتفصيل عند بشار بن برد، وغيرها من المسائل البلاغية الأخرى، المستقاة من الشعر العربي وأعمال الشعراء.

ونجد من أعمال التصوف الإسلامي أهمها:

- السهروردي 1937م.²
- فريد الدين العطار 1939م.³
- مولانا جلال الدين الرومي 1942م.⁴
- الصوفية الإسلامية 1952م.

قام ريتز بما لا يحصى من تعقيبات على ما تخرجه المطابع من إنتاج علمي، وكانت معظم هذه التعقيبات مقالات مستقلة، بينما عرف عنه قسوته البالغة في نقد ما تعرض له من أعمال، ولم يكن ذلك منه إلا رغبة

¹ ينظر حامد ناصر عبود الظالمي، المستشرق ه. ريتز، مرجع سابق، ص 130.

² نجيب العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 797.

³ المرجع نفسه، ص 797.

⁴ نفسه، ص 797.

في الدفاع عن الدقة والإخلاص العلميين، فالحق أن الدرس على يدي ريتز كان غاية ما يطمح إليه طلبة

الاستشراق.¹

– آنا ماري شمیل (Ana Marie Shemil) (1922–2003):

من أشهر المستشرقين الألمان، بدأت دراسة للغة العربية في سن 15 سنة، وتتنقن العديد من لغات المسلمين

(العربية، الفارسية...)، درست في العديد من الجامعات في ألمانيا والولايات. م. أ، كانت تهتم في دراساتها بنقد

أعمال المستشرقين وتقويمها.

درست شمیل تاريخ الفن الإسلامي على المستشرق إرنست كونل والدراسات التركية على يد فون كابلين،

وفي بدايات الخمسينيات تعرفت على ابن خلدون فترجمت بعض فصول مقدمته الشهيرة، وواصلت دراستها في

الآداب العربية والتركية الفارسية، وحصلت على كرسي الأستاذية في قسم العلوم الإسلامية، واللغات الشرقية في

جامعة بون وخاصة الشعر الصوفي، وإن كان أول كتاب نشر لها كان عن شعر جلال الدين الرومي، الذي

عشقه شمیل، فزارت قبره أكبر من مئة مرة، وترجمت أعماله وكتبت عنه مجموعة من البحوث والدراسات.²

تأثرت شمیل بالشعر الصوفي الإسلامي وبالشعراء المتصوفة وتخصصت في هذا المجال الذي استهوها، وملاً

قلبها بالحب والاحترام، وأظهرت احتراماً كبيراً لهؤلاء الشعراء وخاصة جلال الدين الرومي، ونأت بنفسها من

مادية الحضارة الغربية، إلى تغذية روحها بالشعر الصوفي الإسلامي الذي وجدت فيه توازماً النفسي.

اهتمت بالأعمال الشعرية الصوفية مدة طويلة تمتد إلى أربعين سنة حيث تقول: "بدءاً من أيام دراستي الأولى

عندما قرأت أول مرة بعضاً من الترجمات الشعرية الرائعة التي قام بها روكرت من ديوان مولانا جلال الدين، تلك

الأشعار الألمانية التي ظلت دائماً تحلب لي، ثم عندما كنت طالبة شابة... فإن اللحظة التي أنشد لنا فيها أستاذي

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 189.

² حامد ناصر الظالمي، المستشركة الألمانية آنا ماري شمیل وكتابها "وأن محمداً رسول الله"، دراسات استشراقية، العدد 5، 2015، ص 25.

المجلد هـ. هـ رشيد الأبيات الأولى من مثنوي الرومي، أثبتت أنني حاسمة في تطوير هذا الحب القديم، ولم تمض

سوى أسابيع قليلة حتى كانت ترجماتي الشعريّة الأولى من ديوان شمس الدين التبريزي جاهزة.¹

كانت جاهزة ومتحمسة لخدمة الإسلام من باب الشعر الصوفي حيث، "كانت تعرف من اللغات مالا

يعرفها غيرها من دارسي الإسلاميات، وكانت سببا في تعريف الشرق بشخصيات صوفية من الهند وباكستان،

وتركيا، لم يسمع عنها من غيرها... كانت تستطيع أن تترجم أعمال الرومي كلها كما فعل نيكلسون لكنّها لم

تفعل... لم تملك القدرة على نقل هذا العالم اثري إلى أي لغة مهما كانت... فكل اللغات تعجز عن نقل عالم

مولانا الرومي... رأيت شمائل أن رسالة الإسلام أوسع من أن تستقل بها منطقة أو يحدها زمان.²

تحدثت عن المناظر الجميلة والبساتين المحبوبة لدى المسلمين حيث تقول: "يمكننا أن نقول إن للمسلمين محبة

خاصة للبيستان والأزهار، وهذا من الطبيعي بالنسبة لمة كان موطنها في منطقة من أرضنا غلب عليها الحر ومعظم

أراضيها عقيم"³، واستدلت على ذلك بآيات من الذكر الحكيم وآيات شعرية لأبي نواس وهي:

من حديثي إليّ مررت بها يوما وقلبي من الهوى مستطار

وبهائر جس ينادي غلامي قف فقد أدركت لدينا العقار

بينما نحن عندها صرخ الورد إلينا يا معشر السّمار

فأريت الربيع في عسكر الصفر وقلبي يشفه الاحمرار.⁴

تحدثت عن حب المسلمين للمنظر الجميل حكاما ومحكومين وشعراء، إلى أن صار تقليدا لهم في دورهم

وأحيائهم، مما يدعم الإحساس المرهف لديهم، عكس ما كان يروج عن العربي القاسي قسوة الطبيعة الذي نشأ

¹ أنا ماري شمائل، الشمس المنتصرة، دراسة آثار الشاعر جلال الدين الرومي، ترجمة: عيسى علي العاكوب، مؤسسة الإرشاد الإسلامي للطباعة والنشر، طهران، ط1، 1950، ص21، 22.

² خالد محمد عبده، المستشرقون والتفوق الإسلامي، المحروسة للنشر والخدمات، القاهرة، ط1، 2016، ص53.

³ أنا ماري شمائل، الجميل والمقدس، تحقيق وترجمة: عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص38.

⁴ المرجع نفسه، ص40.

فيها، ونلاحظ من هذا أنّ شميل أرادت أن تظهر ذلك الجانب الرّهيف العاطفي الحساس عند المسلمين، فهو يتجسد في أشكال كثيرة والبساتين والأزهار واحد منها. والتصوّف جانب آخر حيث أعطت جزءا كبيرا من اهتمامها له (الشعر الصوفي)، وحاولت التعريف بالتصوّف في كتابها (الأبعاد الصوفية في الإسلام) وإلى صعوبة ترجمة الأشعار، لأنّها ملآ بالأحاسيس التي لا يمكن للمترجم أن يجد لها بديلا في اللغة المقابلة.

تقول عن هذا: "بنسيان اللّغة العربية بمصادرها يعطي إمكانية بناء صيغ لا حصر لها ومن الممكن تشبيهها... لوردة تنقلب إلى قطعة زخرفيه رائعة في تشابكها، وإذا كان أسلوب الشاعر العربي والكاتب متأثرا بميله إلى الاستماع بالإمكانات المتعدّدة للّغة، فقد نرى كذلك ميلا ماثلا إلى التلاعب بالألفاظ في أقوال الصّوفية، ولا يكتفي مؤلفو الصّوفية باللّغة العربية أن يستقوا من المصدر الواحد معاني مختلفة، بل يميلون إلى القوافي وإلى السجع. وقد انتقل هذا الميل إلى شعراء الصّوفية... وهنا تكمن صعوبة ترجمة النصوص الصّوفية، فالعلاقة سحرية بين اللفظ والمعنى..."¹

أكدت في مقولتها على الارتباط اللّغوي وإحساس الشّاعر، وقراءة اللّغة من ناحية الألفاظ والاشتقاقات، فهي طبيعة ممتعة، ذات حلول جمّة، وهي في نفس الوقت صعبة الترجمة. وخاصّة النصوص الصّوفية، وسمتها العلاقة السّحرية بين اللفظ والمعنى لأنّهما يربطهما الشّعور الصّادق.

فالحبّ شرط أساسي للبحث العلمي في أي موضوع، وأينما أحببت موضوعا ما، فقد نتج عن هذا الحبّ عاجلا أو آجلا عمل مكتوب²، وهذا ما تجسّد في بحثنا عن أصل التصوف الإسلامي وشعرائه، والتأثر بهذه الأشعار المكتوبة، فكان هذا الحبّ ميلاد لمؤلفات عدة لشميل في هذا الباب.

¹ أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا قطب، منشورات الحمل، بغداد، ط1، 2006، ص18.

² أنا ماري شميل، نموذج مشرق للاستشراق، ترجمة: ثابت عيد، تقديم: محمد عمارة، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1998، ص22.

من أبرز من تأثرت بهم جلال الدين الرومي، فكرت سنوات من عمرها في البحث في أشعاره حيث تقول عنه: "سيمثل الرومي ليس بوصفه الشيخ الصوفي الذي تحمل أشعاره طابع تأملات أفلاطونية جديدة، بل بوصفه كائنا بشريا شديد الحساسية، "إنسانا" بأسمى معنى لهذه الكلمة، ضاربا جذوره بعمق في تربة القرآن والتصوف الإسلامي الأصيل."¹

وتقول فيه كذلك: "ليس هناك أي متصوف مسلم أكثر شهرة في الغرب من جلال الدين الرومي... كما أن المستشرقين الذين اهتموا بالأدب الفارسي كانوا يختارون أشعاره مادة لترجماتهم."² وذكرت في مدحه هذه الأبيات:

الشمس تشبه وجهك يا شمس الدين.

يا من تسير القلوب معه سير السحاب.³

فلم يكن تأثيرها بالشخصية فقط، بل بالطريقة التي كان ينتهجها، في الصلة بينه وبين ربه وكيف تتجسد في أشعاره، وينتقي لها الألفاظ المعبرة المناسبة للمقام، وكذلك في أتباعه الذين يكونون له الاحترام الكبير والولاء التام والطاعة الكاملة.

تعلمت شمائل الكثير من دروس جلال الدين، واستحضرت في لقاءاتها العلمية ومحاضراتها وكانت تحفظ

الكثير من حكايات المثنوي، وحكم الرومي الغزيرة المعنى، وحاضرت عن الرومي في إيران... أينما ذهبت كان الرومي مرشدها وموضوعها الأبرز."⁴

¹ أنا ماري شمائل، الشمس المنتصرة، دراسة آثار جلال الدين الرومي، مرجع سابق، ص34.

² أنا ماري شمائل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص348، 349.

³ المرجع نفسه، ص343.

⁴ خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص55.

اطّلت على ترجمة روكرت لجزء من المثنوي للرومي وفي إحدى القصائد نسي ترجمة بيت واعتبرته الأهم والمعبر حين تقول: "وقد ترجم ريكرت جزءا من المثنوي قبل مائة وخمسين عام، ولكن بدون أن يترجم آخر وأهم سطر فيه:

ماذا أخشى إذن ما مت بالموت لا تنقص قيمتي

فإذا ما عدت فمت انسانا

فلسوف أهدى جناح الملك

ثم يكون لزاما أن أموت ملكا

فأصير - لا أفهم كيف - إلى روح الله

ثم يقول السطر الأخير: أواه لا توجدني! فالعدم يناديني

بنغمات الأرغن قائلا: إليه سوف نعود.¹

استطاعت أن تكتب عنه الكثير من الأشعار وغيرها وما هي تنقل عنه أشعاره الأخيرة حيث تقول: "

تضاعف مرضه ولكن عزى أصدقائه الذين أحاطوا به ببعض الأشعار:

العشاق الذين يموتون عارفين

يموتون أمام المعشوق كالسكر...

يدوبون تدريجيا في الحلاوة الأبدية للحقّ (سبحانه).²

كان الرومي أبرز من تأثرت بهم شمائل من الشعراء المتصوفة، وكان قبله آخرون تأثرت بهم أيضا - بدرجة

أقل - وقرأت أشعارهم كإبن عربي حين تروي عنه أشعارا في الحب الإلهي:

إذا بدا لي حبيبي فبأي عين أراه

¹ أنا ماري شمائل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص 363، 364.

² أنا ماري شمائل، الشمس المنتصرة، مرجع سابق، ص 51.

بعينه لا بعيني فغيره لا أحد يراه.¹

كذلك الشاعر الصوفي ابن فارض فتقول عنه: "قد صب ابن الفارض خبراته الصوفية في قليل من الأشعار العربية رائعة الجمال على غرار أساليب الشعر العربي الكلاسيكي... ومن قرأ أشعاره المعقدة يتساءل كيف يمكن أن تكون قد نشأت في حال الغيبة الصوفية، إن تلك الأشعار عربية خالصة، شكلا ومضمونا... مأخوذة من تقاليد ما قبل الإسلام."²

هي تؤكد تأثر ابن الفارض بالشعر العربي القديم (الجاهلي) من حيث الشكل والمضمون، وهذا متجلى في أشعاره مما جذب اهتمام دارسي اللغة العربية من الأوروبيين منذ بداية الدراسات الاستشراقية، حيث "أقدم فون هامر بورغشتال على ترجمة "التائية" أكبر قصائد ابن الفارض ترجمة كان يعتبرها شعرا ألمانيا، إلا أنه ما أصاب المعنى نادرا."³

وقد ترجمت شميل عنه قصائد عدة منها قصيدتان من ديوان ابن الفارض، تصف خمرة الحبّ الالهي الذي يفعل المعجزات في قوله:

سر بنا على كأس الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم.
لها البدر كأس وهي الشمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت بنجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهم
فإن ذكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم.⁴

كما ترجمت له قصيدة "الجيمية"، واعتبرتها قمة الشاعرية والإحساس وهي من أحب أسطر الشعر العربي

الكلاسيكي في الإبداع الرومانسي والبلاغي، وقصائد أخرى من شعره.

¹ أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية، مرجع سابق، ص 300.

² المرجع نفسه، ص 309.

³ نفسه، ص 309.

⁴ نفسه، ص 309، 310.

إنّ اهتمام أنا ماري شمّيل بنقل الأشعار الشرقية إلى الألمانية والإنجليزية، وغزارة ما نشرته من ترجمات رائعة، يضعها في مصاف الأخلاق الروحيين للمستشرق الألماني الكبير فريدريش روكرت الذي كان أيضا شاعرا ومترجما، بل الواقع أن ترجمات تضعها على قدم المساواة معه.¹

لم يقتصر اهتمام شمّيل بالشعراء المتصوفة الذكور فقط بل كان الاهتمام أيضا بالعنصر النسوي، ومن الرومي انتقل الاهتمام بالمرأة الصوفية، (فروخي أنثى) كتابها عن الأنوثة في الإسلام دليل على سعة الاطلاع، واتساع التجربة وثرائها، عرفتنا من خلالها بنساء غير معروفة في الدرس العربي حتى اليوم.²

فاختارت شمّيل هذه المرة قصيدة لشاعرة أندلسية هي سعدونة الحميرية حين تقول:

سألتم التمثال إذا لم أجد للثم نعل المصطفى من سبيل

لعلني أحظى بتقبيله في جنة الفردوس أسنى سبيل

وأمسح القلب به عله يسكن ما جاش به من غليل.³

كتبت هذه الأبيات في عشق سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- آملة أن يلمس خدّها نعل النبي الكريم.

تعدّ شمّيل من المستشرقات النوادر التي كرست جهودها لدراسة التصوف الإسلامي وتاريخه، فهي مستشرقة

ألمانية وأستاذة الثقافات الإسلامية والهندية في جامعة هارفرد وبون، يعد كتابها (الأبعاد الصوفية في الإسلام

وتاريخ التصوف) مرجعا مهما لمن يدرس التصوف في الشرق والغرب، إذ وضعت في كتابها الخطوط الأساسية

للمنظور التاريخي لحركة التصوف في المشرق، وناقشت جميع النظريات الغربية في تفسيره، ويكاد يكون منهاجا

¹ أنا ماري شمّيل، نموذج مشرق للاستشراق، مرجع سابق، ص 45.

² خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 55.

³ حامد ناصر الظالمي، المستشرقة الألمانية أنا ماري شمّيل، ص 34، عن كتابها "أن محمدا رسول الله" مرجع سابق، ص 105.

موضوعيا في وصف الإطار العام لتاريخ التصوف باعتماد على مؤلفات كبار الصوفية، ويحتوي الكتاب على كبار شعراء الصوفية وكذلك أهم رواد التصوف، وأهم الطرق الصوفية في المشرق والمغرب.¹

اهتمت شمائل أيضا بالشعر المدائحي، الذي كان في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- بموسيقاه المتميزة وقوافيه المنتقاة، واللغة الأنيقة المناسبة لمقام مدح سيد الخلق واختارت أبياتا لمحمد إقبال في كتابها "وأن محمدا رسول الله" حين يقول:

أنا ابن المدينة وابن النجني غبارها كان في مقلتي

غبارها قطرة للعيون وأنفع طب لذي علة.²

احترمت الشعور الصادق لدى الشاعر الصوفي، الممزوج بجودة العبارات التي ينتقيها في كتابة أبياته التي تؤثر في القارئ وينساب معها دون وعي لأنها تخاطب فيه الجانب الشعوري بعيدا عن العقل، فالجانب الروحي مهم جدا بالنسبة لها لأنه يحقق التوازن البشري ويغذي الروح الإنسانية، التي أصبحت تغطي عليها الماديات، فوجدت في الشعر الصوفي الملاذ الأنسب للهروب من الماديات الغربية.

عدت المستشرقة من دعاة الحوار بين الأديان والحضارات... وتنظر إلى الإسلام على أنه دين سمح يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فمن دون معرفة متبادلة واحترام، أو ثقة متبادلة لا يتحقق أي سلام مرجو... وبذلك كان لها الفضل في تعريف الشعب الألماني خاصة والأوروبيين عامة منهج الإسلام، والحضارة، وهي تدرك أن الإسلام في تحولات وإيديولوجيات لم يعرفها من قبل.³

كان لها مؤلفات كثيرة في الإسلام والتصوف والتاريخ نذكر أهمها:

● مختارات من الشعر العربي المعاصر 1985م.

¹ زهير يوسف عليوي الحيدري، جهود المستشرقين في دراسته تاريخ التصوف، مجلة أوروكل للأبحاث الإنسانية، جامعة القادسية، المجلد 3، العدد 3، 2010، ص 57.

² حامد ناصر الظالمي، المستشرقة الألمانية أنا ماري شمائل، مرجع سابق، ص 40.

³ ميشال جحا، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، مجلة الاجتهاد، العدد 51، 2001، ص 257، 276.

- تعليم اللغة العربية 1985م.
- محمد إقبال اللاهوري (ترجمت له عدة دواوين شعرية).
- الشمس المنتصرة (دراسة في آثار الشاعر الإسلامي (جلال الدين الرومي).
- المرأة الشرقية (مجموعة شعرية 998).
- ديوان شعر (عنادل تحت الثلج) ترجمته إلى العربية الشاعرة أمل الجبوري.
- الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف عام 1984م.
- الوردة والعنديل (في الشعر الصوفي).
- الشمس الظاهرة عام 1987م عن شعر جلال الدين الرومي ترجمه إلى العربية علي العاكوب.
- النجم والزهرة عام 1984م (شعر).
- الجميل والمقدس ترجمه عقيل يوسف عيدان عام 2008.

تقول شمائل: "إذن فإن صوري التلفزيونية على الأقل قد زارت الأماكن المقدسة في الحجاز، وقامت بحج

افتراضي، وأما الزيارة الفعلية للمدينة فإنها لم تحقق حتى اليوم."¹

فهي بحق أحببت الإسلام والمسلمين والشعر العربي الصوفي والفارسي والتركي، واجتهدت بكل ما أوحيت من

قوة في إظهاره للعالم الغربي في أبهى صورة وأحسن ترجمة.

ريناتا يعقوبي Renata Jacobi (1936):

من أبرز ممثلي النقد الجديد في الدراسات الاستشراقية الحديثة، حيث كانت لها بصمة بارزة في مجال القصيدة

العربية القديمة، والعودة إلى ما اهتم به المستشرقون الألمان القدامى أمثال: رايسكه، وآلوارد، وروكوت... وغيرهم،

لكن من منظور يختلف عن ما ذهب إليه هؤلاء، فإن دراساتها في بناء القصيدة القديمة ومن خلال الأغراض

¹ أنا ماري شمائل، الشرق والغرب: حياتي الغرب - الشرقية - ترجمة: عبد السلام حيدر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص482.

الشعرية المختلفة، حيث "أخذت تظهر مواكبة لمنطقات النقد الجديد الذي أصبح يتوجه إلى النص وسيتجلى معالمة، ويستنبط منه أفكارا جديدة ومناهج أسلوبية وبنائية جديدة، متخطية بذلك تلك الدراسات الاستشراقية القديمة التي ظلت أسيرة منهج تاريخي يلتزم بالإشارات اللغوية المعجمية المباشرة، ويخضع لمناهج اجتماعية وعرقية، وذلك من أجل فهم البنية الأساسية للأمة."¹

عادت يعقوبي إلى دراسة القصيدة القديمة لكن بنمط مختلف يتطرق إلى بنية القصيدة وما تعكسه من تمثلات في البنية الاجتماعية العربية والشرقية وذلك الرابط الموجود في القصائد المتجسد والمتنوع ضمن الأغراض الشعرية المتعددة التي تعكس التنوع الاجتماعي وطبيعته.

حاولت ريناتا في كتابها المعنون "دراسات حول شعرية القصيدة العربية" أن تصف القصيدة على أنها نوع أدبي، ومن خلال هذه الرؤية يظهر أن ريناتا تعدت ما كان غيرها من المستشرقين قد التفتوا إليه، فهي ترى أن ليس من الصعب تصنيف القصيدة الجاهلية ضمن أنواع أدبية مختلفة، معتمدة في ذلك على نظرية الأنواع الأدبية الغربية.²

اهتمامها بالدراسات الأدبية القديمة وتحديد القصيدة وبنائها لم يكن محض الصفة وإنما مسار طويل في دراسة هذه الأخير ضمن مراحلها التاريخية وتطورها عبر العصور، حيث عملت أستاذة الأدب القديم، ومديرة معهد الدراسات السامية والشرقية في جامعة برلين، ولها بحوث كثيرة في مجال الأدب العربي عامة وفي مجال القصيدة العربية القديمة خاصة من أهم دراساتها كتابها -السالف الذكر- دراسات حول شعرية القصيدة العربية بالألمانية "حاولت فيه التطرق إلى شعرية القصيدة العربية وبنائها الفني والجمالي، والاختلافات الموجودة بين الأشعار في مختلف العصور، من خلال مجمل التطورات وأثرها على القصيدة، أي التنوع الأدبي.

¹ عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، ريناتا ياكوبي أمودجا دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص29.

² موسى سامح رابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد 11، 1995، ص281، 282.

لم ينظر المستشرقون الألمان في دراساتهم للشعر الجاهلي والقصيدة العربية بعده، على أنّها فنّ شعري حتى ظهرت دراسة ريناتا يعقوبي سنة 1971م، حيث أخذت من هذا المنهج (دراسة النص في ذاته دون أن يربطه بسياقه التاريخي والاجتماعي) طريقة للبحث في النص الشعري الجاهلي دون مراعاة للسياقات الخارجة عن النص التي أنتجته، وقد التزمت بهذا المنهج التزاما تاما، ولم تحاول أن تخرج عنه إطلاقا.¹

هذه الدراسة للمستشركة الألمانية كانت مختلفة عن سابقتها، رغم أن موضوع الدراسة مشترك بينهم، إلا أنّها نظرها كانت لذات القصيدة بعيدة عن المؤثرات الخارجية التي قد تذهب ما جمالية النص الشعري، وتغمر نتاجا شعريا فنيا على مقاييس عدة.

اهتمت ياكوبي كثيرا بالنص الشعري، وذلك من خلال وصفة بنية تتحرك في إطار الفنّ وتشكيلات اللغة الشعرية فيه ورصد تغيراته، إذ يختفي موضوع الناقّة شيئا فشيئا إلى أن يزول تماما في العصور اللاحقة، وعلى هذا فإن حسان بن ثابت قد ألفت القصائد المدحية من غير أن يضمنها مقطع الناقّة، والسبب وراء ذلك هو تحول وظائف القصيدة، فبعد أن كان غرض النسيب والمديح وحديثي بناء القصيدة القديمة، وكان موقع الناقّة يعتبر موقعا مهما في قصيدة المديح، فموضوع الناقّة إذن بدأ ينصب بالتدريج إلى أن اختفى، وعلى الرغم من كونه أهم جزء في القصيدة الجاهلية.²

تحدث ياكوبي عن مسألتين مهمتين في القصيدة الجاهلية وتغيراتها أولا هما بناء القصيدة الذي تغير مع العصور وتواليها، وذلك من خلال اضمحلالها وتلاشيها، فبعدما كانت هي أساس بناء القصيدة الجاهلية لم يعد لها مكان في القصائد الإسلامية وما تلاها، وثانيها ما أسمته التحول الوظيفي للقصيدة من خلال الأغراض الشعرية على سبيل المثال عرض المدح المرتبط بالنسيب أصبح له وظيفة مغايرة في عصر الإسلام وهي مدح

¹ ينظر، موسى رابعة، اتجاهات من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد 15، العدد 40، 1991، ص 134.

² عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، ريناتا ياكوبي أمودجا، مرجع سابق، ص 204، 205.

شخص الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأبطال من المسلمين في ساحة الوغى ضد الكفار بعيدا على المدح المرتبط بالنسيب، ويتغير كذلك في العصر الأموي مع ظهور الشعر السياسي وشعر النقائض، ويحدث كذلك في العصر العباسي.

إن نقطة الانطلاق الأساسية التي اعتمدها المؤلفة في هذه الدراسة، تتأسس على أن أجزاء القصيدة الجاهلية كانت موجودة بشكل منعزل في الزمن القديم، كما أنها كانت تفتقر لأي ارتباط، لكن هذه الأجزاء اندمجت بعضها ببعض نتيجة للتطور لتكون شكلا أدبيا جديدا هو ما يعرف بالقصيدة، وتعني بذلك تلك القصيدة التي تتكون من ثلاثة أجزاء: النسيب، والرحلة والجزء الختامي الذي ربما يكون مديحا أو فخرا أو رسالة أو غير ذلك.¹ تطور مناهج تحليل الخطاب وتعددها في دراسة النص الأدبي والشعري منه، وكذلك التيارات الفكرية الحديثة وخاصة منهج الشعريه ساهم في القراءة الحديثة للقصيدة العربية القديمة، وساعد يعقوبي على وضع نسق وبناء للقصيدة التي كانت متناثرة ومتباعدة الأغراض في نظرها، وترابط هذه الأجزاء ساهم في القراءة المختلفة الجديدة والصحيحة والثرية في نفس الوقت لقراءة النص الشعري القديم.

تقول ريناتا: أن أصول القصيدة غير معروفة فأغلب مجموعات النصوص القديمة منقولة لنا من الجاهلية ووردت في نوعين من الشعر:

أولهما: المقطوعة المونوثيمية: "Monothematic" التي تحتوي على موضوع واحد هو غالبا رسالة موجهة إلى إنسان ما.

ثانيهما: القصيدة البولوثيمية: "polothematic" التي تشتمل على موضوعات مختلفة انضمت إلى بعضها بعض دونما إشارة إلى تخلص أحدها من آخر -أحيانا- دونما سبب واضح لتتابع هذه الموضوعات فيه.²

¹ موسى رابعة، اتجاهات من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 135.

² عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، ريناتا ياكوبي أمودجا، مرجع سابق، ص 55.

تم تتابع في نفس السياق وتقول، "إن إطلاق مصطلح القصيدة على القصيدة الخاصة، هو تقليد جرى إتباعه في الوسط العلمي الحديث."¹

تحدث في تصنيفها للنصوص القديمة على أنها لم تكن معروفة من قبل، وأكثر ما وصل إلينا من الأشعار المنقولة عن القدماء هي إما ذات موضوع واحد يحاكي نمط معين ضمن الغرض الشعر الواحد، وإما النص الشعري ذو الموضوعات المتعددة حيث نجد في القصيدة الواحدة يحاكي الشاعر الديار والبكاء على الأطلال ثم يمدح ثم ينتقل بين الأغراض وبذلك تتعدد بتعدد الموضوعات. هذان تصنيفان ركزت عليهما ياكوبي ضمن أصول شكل القصيدة العربية.

أنكرت عن الشعر العربي خاصية الغنائية أفكارا تاما، فالقصيدة في رأيها ملحمية حيث تصور أحداث درامية حين تصعد في العنصر المؤثر، وتصنف الأسلوب الواصف الأكثر شيوعا في الشعر العربي القديم على النحو: أهم سمة له هي نمط الجملة المصنوف الذي يدمج مجموعات من الأبيات دون تحديد تسلسلها، وفي ذلك يدخل عنصر جديد في السلسلة دائما في صدارة البيت أو السطر. وثمة بديل هو التوازي دون تبعية نحوية، إما في تتابع مباشر من بيتين أو عدة أبيات أو في صورة سلسلة ممتدة، عناصرها تمتد في الغالب بوصفها مناظر صغيرة عبر بعض أبيات، وعناصر الأحداث متشابهة، ويمكن اتفاق محدد في أسلوب الحوادث في غياب صور الزخرفة وتأثيرات الواقع على الأسماع... الخ، باستثناء زوج من الصفات الموصوفة التي تعد ماهية للوصف.²

من خلال حديثها من أسلوب الوصف الذي يستعمله الشاعر الجاهلي، الذي سيتقي ظواهر وأنماط واقعية، وتسلسل في الوصف ضمن جمل مترتبة، وتتحدد هذه الأوصاف ضمن تشبيهات مختلفة ذات الوجه شبه الغير

¹ عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، رينانا ياكوبي أمودجا، مرجع سابق، ص55.

² إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ترجمة ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص257، 258.

متباعد، كلها تؤدي الصفة المبتغاة للموصوف ومن ذلك استشهدت بأبيات لامرؤ القيس في وصف محبوبته حين يقول:

مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسخبجل.
تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل
وفرع يغشي المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضلّ المدارى في مثنى ومرسل
وكشح نظيف كالجديل مخضر ساق كأنبوب السقى المذلّ.¹

ومن خلال دراساتها للقصيدة القديمة دائما حاولت أن تقسمها إلى ثلاثة أنواع من خلال الأغراض الشعرية والأساليب تمثلت في:

الأسلوب الوصفي - الأسلوب القصصي - الأسلوب البلاغي

كما تضمنت هذه الأساليب أغراض أخرى على سبيل المثال تضمن الأسلوب القصصي، قصيدة الرثاء، والفخر والهجاء.

ومن خلال هذه الأساليب حاولت ريناتا أن تبرز خصائص كل واحد منها، مثبتة رأيها بشواهد لشعراء ونماذج من قصائدهم المشهورة، وأما فيما يتعلق في وصف الأحاسيس والمشاعر ففي رأيها كان ذلك الوصف ناذرا في الشعر العربي القديم، فبدلا من التصوير المباشر للحالة النفسية يظهر الشاعر أثرها فمثلا الدموع بدل الحزن والغضب والوحدة والقلق بدل الاشتياق وعذاب الحب.

¹ ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1996، ص15، 16، 17.

أما الأسلوب القصصي أو الحكائي فهو متمثل بالجمل القصيرة وغياب الأدوات البلاغية، إذ يحتوي على بعض التشبيهات المتناثرة فقط، وإن القصصية متوافرة في النسيب في بعض الأحيان، وفي وصف الحيوانات التي تشبه بها الناقة، أو وصف الناقة أو وصف الفرس أو مشهد الصيد الذي يتضمن مفاخرة¹، وقدمت مثالا عن هذا الأسلوب عند زهير بن أبي سلمى حين يقول:

ولم تدر وشك البين حتى رأتهم وقد قعدوا أنفاقها كل مقعد
تبدّ الألى يأتينها من ورائها وإن تتقدّمها السوابق تصطد
وجدت فألقت بينهنّ وبينها غبارا كما فارت دواخن غرقد.²

هذا الأسلوب القصصي، أما عن الأسلوب البلاغي فهي تصفه كما يلي: "على النقيض من البناء غير المحكم في الحادثة والوصف يجد المرء تقسيما متماسكا، بناءا مختلفا للجمل ذا تبعية تركيبية، تعالقا واضحا للجمل وعناصر الجملة من خلال التوازي والتكرار. وتوجد إلى جانب التكرار الذي يعزى إليه دور محوري، وسائل بلاغية أخرى ويقابلنا الأسلوب البلاغي بوجه خاص في قصائد الرثاء وفي الرسائل الأحادية الموضوع وفي أجزاء الرسالة في القصيدة."³

الأسلوب البلاغي المحكم في القصيدة القديمة، وبراعة الشاعر وتمكنه منه وفي توظيفه غطى على أساليب كانت من الممكن أن تؤثر عليها كالتكرار في غرض الرثاء، وتشيد بهذا البناء البلاغي المحكم الذي يجعل القصيدة متماسكة الأجزاء في مجملها وتراكيبها وكل نسقها الداخلي، وكذلك في غرض المديح عند وجود الأساليب البلاغية كالنداء ولام الأمر... وغيرها.

¹ موسى سامح الربابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، مرجع سابق، ص283.

² ديوان زهير بن أبي سلمى، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص228، 230.

³ إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، مرجع سابق، ص258.

تبرز يعقوبي أن القصيدة إذا أبرزت الأسلوب الوصفي أو القصصي فإنها تكون ذات طابع ملحمي، أما إذا

كان أسلوبها بلاغياً فإنها تكون ذات طابع درامي.¹

بهذا أخذت ريناتا الشعر الجاهلي إلى هذه التقسيمات الثلاثة: الملحمي، والدرامي، والغنائي، رغم أنّها نفت

هذا الأخير (الغنائي) عن القصيدة الجاهلية وأنكرتها إنكاراً تاماً، فالقصيدة في رأيها ملحمية، حين تصور أحداث

درامية حين تصعد من العنصر المؤثر، والشاعر الجاهلي لم ينتبه إلى نفسه ولم يتحدث عما يجيش في خاطره من

أحاسيس، وهذا عالم نجده في القصائد الغزلية والراثية وغيرها التي يعبر فيها الشاعر عن مكوناته وعواطفه

ووجدانياته.

وعن غرض النسيب، فهو مجال للتأمل مادام العصر الجاهلي، لم ترد عنه قصائد مستقلة في الحب فقد ظنّت

يعقوبي: "أنّ النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية كان في الأصل قصيدة غزلية مستقلة بذاتها تتألف من شكوى

الحب، ومدح جمال المرأة. إن هذه المقولة لا يمكن أن تؤخذ على أنها مسلمة من المسلمات، لأن الأمر هنا يتعلق

بالظن مما يجعل هنا الرأي غير نهائي، لأن كلا من الرحلة أو المديح أو الغزل يمكن أن يكون قصيدة قائمة بذاتها

قبل أن يندمج من القصيدة ككل."²

بنت نظرتها هذه على النسيب من خلال رأيها القائل أن: "موضوعات القصيدة الجاهلية لم تكن في بداية

الأمر مرتبطة بعضها ببعض، إلا من خلال الوزن والقافية، وإنما جاءت الروابط بين هذه الموضوعات في مرحلة

لاحقة."³ لأنّ دراسات القدامى من المستشرقين وغيرهم للقصيدة لم يكن لذاتها وإنما للسياق الخارجي وعن

حقيقتها وكيفية وصولها.

¹ موسى الرابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، سابق، 284.

² موسى الرابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، الأردن، ط1، 1999، ص12.

³ المرجع نفسه، ص13.

تقول ياكوبي بشأن تتابع موضوعي النسيب والرحيل من وجه، تم الرّحيل والموضوع بعده من وجه آخر: "إن هذين الوجهين تطورا على نحو مستقل فيه كل واحد منهما عن الآخر، لذا وجب عدّهما على أنّهما وجهان مختلفان في تاريخ النوع الشعري، فتتابع النسيب فالرحيل، قد سبق تتابع الرحيل، فالموضوع بعده بوقت زمني أبكر كثيرا، أما تناسق القصيدة بأجزائها الثلاثة، فلم يتم إلا في المرحلة الأخيرة في العصر الجاهلي."¹

حاولت أن تدرس النسيب في غير ربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي، فإنّها لم تفد من هذه المقولة، ولم تتعمق في دراسة هذا التعارض، وإنما اكتفت بالإشارة إليه. حيث "بدأت يعقوبي دراستها برفض تفسير ابن قتيبة للقصيدة العربية، وذلك لأنّها رأت فيه قصورا واضحا، وأن تفسير ابن قتيبة ينطبق على نمط واحد من أنماط القصائد وهي قصائد المديح."²

حاولت الكشف عن الروابط الأسلوبية المحضة التي لا تحتوي على أية تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو واقعية بين غرض النسيب والرحلة في القصيدة الجاهلية، وإنما عمدت إلى البحث عن الروابط لنقول أن النسيب يرتبط مع الرحلة من خلال قول الشاعر: ردعها، فعزيت نفسي، فسليت ما عندي، فسلهم، فعدي عمائري.... إلخ، ولذلك ترى أن ارتباط النسيب مع ما يليه من القصيدة كان معللا، وذلك من خلال التشابه أو الارتباط بين بعض المفردات التي تخدم كلا الغرضين.³

تحدثت عن الخيال في الشعر العربي القديم وحاولت أن تعيد فقر الخيال الجاهلي إلى البيئة والطبيعة الجاهلية المحدودة والقاحلة في نفس الوقت، فكان بذلك الشاعر مرتبط في وصفه وتخيلاته بأشياء موجودة وتكاد تكون مشتركة بين الشعراء كالنّاقة، والرّمان، والحيران، والخيمة... وغيرها، إذ تقول عن هذا الأمر: "الشاعر العربي يعيش

¹ ينظر، عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة، مرجع سابق، ص62.

² يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1982، ص214، 215.

³ ينظر، موسى الربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص25، 26.

في بيئة لم تستطع أن تقدّم شيئاً ذا بال للخيال الإبداعي عند الشّاعر، فالصّورة كانت عبارة عن نبع حقيقي للتفصيلات التي كشف الشّعر العربي في وصفها عن حدة عجيبة في المعاينة.¹

واستشهدت في ذلك بأبيات من ديوان **علقمة الفحل** حين يشبه الحيوان بالجماد والحيوان بالإنسان وكذلك أبيات لعنترة وامرؤ القيس.

وإن كان هذا الكتاب (دراسات عن شعرية القصيدة الجاهلية) يعد فتحاً جديداً في تاريخ دراسة الاستشراق الألماني للشعر الجاهلي، لأنه أعطى هذا الشعر أهمية أمام التّهم التي وجهت إليه بأنه شعر مفكك وغير مترابط. فإن المؤلفة لم تستطع أن تتخلص من بعض النظرات غير العلمية التي بنت عليها افتراضات غير سليمة في بعض الأحيان.²

تعدّ **ريناتا يعقوبي** من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بالأدب العربي القديم والقصيدة الجاهلية، خلفت بذلك أعمالاً في هذا المجال نذكر منها:

- كتابها "دراسات حول شعرية القصيدة العربية القديمة" عام 1981. من أشهر ما كتبه عن الشعر العربي القديم.
 - الشّعر والكذب في نظرية النقد العربي عام 1972م.
 - شريحة الناقة في قصيدة المدح عام 1982م.
 - الزمن والحقيقة في النسب العربي 1985م.
- وهي عبارة عن مجموعة مقالات نشرتها حول الأدب العربي القديم.
- تعمل الآن مديرة لمعهد الاستشراق في **ساربروكن** في ألمانيا.

¹ Renata Jacobi, studienzur poetik du altaraishenqaside (wiesbaden : Franz stunerverlag GMBH), 1971, p109, 110.

² موسى الرابعة، اتجاهات من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 142.

ثالثاً: المقارنة

منذ بداية الاستشراق البعيدة والغرب يهتم بكل ما صدر عن المسلمين فهم الذين أنشئوا مئات الأقسام العلمية، والمجلات الفكرية والأدبية التي تختصّ بعلوم الشرق، كما تحتفظ مكتباتهم بألوف المخطوطات في شيء المعارف وقد ثبت أنّ بعض الأدباء في الغرب تأثروا بالأدب العربي - خاصة الشعر - في عصور ازدهار الأمة الإسلامية، وكذا المدرسة الألمانية التي تحوز العدد الأكبر من المخطوطات العربية الشرقي في مكتباتها وجامعاتها مما سهّل من عمل المستشرقين الألمان في دراسة الشعر العربي عن كتب وعن مخطوطات أصيلة غير متوفرة لدى صاحبها، إلا أن دراسة هؤلاء والتعاطي مع الإرث الشرقي الشعري والأدبي عامة كانت مغايرة عن المدارس الاستشراقية الأوروبية الأخرى - كما سبق الذكر - وتبعوا في ذلك منهجا مستقلا في دراسة الشعر العربي.

في هذا الجانب من البحث نحاول أن نقارن بين دراسات قدامى المستشرقين من الألمان والمحدثين منهم وليس كلهم، وإنما عينت منهم، رأيناها مختلفة في طرحها متشابهة في بعضه، وسنقف عن هذه النقاط .

أول ما بدأ به المستشرقون الألمان هو إتقان اللغة العربية، إيماناً منهم بأنها مفتاح القراءة الصحيحة و الحقة للشعر العربي فقد عمدوا إلى تعلم اللغة العربية و أتقنوها، حيث كانت البدايات الأولى لاهتمام المستشرقون الألمان بحقل اللغة العربية في القرن السابع عشر ميلادي، ففي هذا الوقت كان لجرمانوس عناية خاصة باللغة العربية شملت حتى اللهجات الشعبية وقد أنجز في ذلك آثار منها: قواعد اللغة العربية العامية باللاتينية، ووضع أقولا مأثورة بالعربية سميت الفوائد والقلائد¹ .

وقد تفتنّ الألمان لأهمية دراسة اللغة العربية بداية بيوهان جاكوب رايسكه، الذي يعتبر أكبر عالم في اللغة العربية أُنجبتهُ ألمانيا واستطاع التمكن من النحو العربي، ممّا ساعده على دراسة وفهم الشعر العربي، مثله مثل

¹ نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب من تراجم المستشرقون ودراساتهم عنه منذ ألف عام وحتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، ط 5، ج2، 2006، ص 252.

فريدريش روكرت وجل المستشرقين الألمان، هذه هي أول نقطة تشارك فيها القدامى المحدثون في فهم أصول اللغة العربية واعتمدها أساس بداية الدراسات الاستشراقية وقراءة الشعر العربي.

إنّ موضوعات اللغة العربية التي اشتغل عليها المستشرقون الألمان القدامى والمحدثين قد تضمنت قواعدها وفقهها وتاريخها ومعاجمها، كما عدّ معه الأدب بوصفه مصدراً وأسلوباً لتلك اللغة¹.

دراسة اللغة العربية بالنهج القديم اختلاف نوع ما عن دراسة الجيل الجديد وهذا ما تحدث عنه عمارة

حين يقول: "في وقت متأخر شعر قسم من المستشرقين الألمان أنّ درس اللغة العربية الكلاسيكي الذي عرفه المستشرقين المتقدمين، لا يعني في فهم اللغة كما ينبغي وأن هناك قصور في إدراك كثير من المعاني التي تتضمنها هذه اللغة، لذا كان فولفد فيشر يرغب في التخلّص من آثار الدرس اللغوي العربي، الذي كان سائد في الجيل الأول مع المستشرقين الألمان وجعل الدرس اللغوي يؤسّس وفق النظريّة الغربية ذات العصر اليوناني، وقد ظهرت بوادر هذا التّغير في وقت سوسين وبروكلمان ومع ذلك فإن فيشر يعترض على أسلوب بروكلمان لكثرة ما ورد من مصطلحات عربية في أعماله، كونه أعتد الطريقة الغربية الوصفية في دراسة اللغة العربية."²

اهتم الجيل الجديد من المستشرقين الألمان بالدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في البلاد العربية

أضف إلى ذلك الاهتمام المتزايد بالأدب الحديث والدراسات اللغوية المعاصرة، ممّا يعرف في يومنا هذا بالألسنية على عكس الجيل القديم من المستشرقين، الذين ركزوا بصورة أساسية على الأبحاث التقليدية ودراسة التاريخ وعلوم اللغة العربية وفقهها، هذا المنهج الذي أعتبر قاصراً-نوع ما- في دراسة اللغة العربية.

يظلّ الاستشراق الألماني مهتم بالدراسات الأدبية واللغوية حتىّ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن

العشرين، بل تطور في أدواته وموضوعاته وذلك للأسباب الآتية:

¹ عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق المفاهيم، صلاة جهود، (د، م، ذ، ت) ط1، ص 156، 157.

² إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الإستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996، ص 295، 322.

1- يتجسد تطوّر في أدوات البحث من خلال زيادة رحلات الألمان إلى الشرق إما لكشف عن آثار والحافر والنقوش القديمة لدراسة حضارة وإما بإرسال الرّحلات البحثية لقراءة ودراسة المجتمعات الشّرقية وعاداتها وتقاليدها ونظ عيشها والعلاقات الاجتماعية التي تربط هذه المجتمعات فيما بينها، وفق تقاليد معينة مجسدة لتعاليم دينية وأدوات أخرى في إنشاء فروع لمعاهد استشراقية ألمانية في مدن وعواصم عربية في الستينات من القرن العشرين¹ وخير دليل على ذلك **آنا ماري شميل**، التي حاولت أن تفهم الشّعر الصّوفي العربي من خلال دراسات اجتماعية والاحتكاك بالفرد العربي، وهذا التّمط الحديث في الدراسات الحديثة في الأدوات البحثية .

2- تطوّر موضوعات البحث ساعدت فيه الحاجة إلى موضوعات جديدة تتماشى والتّطور التكنولوجي والتّغير السياسي والثقافي وغيرها، كذلك حاجة القارئ والمهتم الألماني بالشؤون الشّرقية وعلومها وآدابها لمعرفة صورة صحيحة عن هذا الشرق الحديث، بمتغيراته وآثار التّطور الفكري وانعكاساتها عليه.²

هذين العاملين ساهما في تحديث آليات وأدوات للتأقلم من المتغير الشّرقى الجديد وقراءة النّصوص الشّعريّة القديمة وفق مناهج أدبية حديثة، هذا ما حدث مع **ريناتا يعقوبي** حينما أعادت قراءة الشّعر الجاهلي وفق أدوات حديثة.

فالدراسات العربية المعتمّقة تطورت في وفاة **بروكلمان** (1956) وهي الحقبة الذهبية للإستشراق الألماني إذ عدل هذا الاستشراق من الموسوعية والتنوع إلى التّخصّص وانتهى عدم أكراته بحاضر العالمين العربي والإسلامي وشؤونهما، هذا لا يعني أنّ المستشرقين الألمان انقطعوا عن مجارة التّيار الكلاسيكي نهائيا، بل هناك منهم من ظلّ في نفس الدّرب أمثال: **هلموت ريتز** و**فلايشر** والأصحّ أن نقول أنّ الاستشراق الألماني ما انصرف عن تقليده البحثية وموضوعاته التي يؤثّر فيها البتّة ولكنه خصّص لها مساحة أقل من ذي قبل وربما استغلّ علم الاجتماع في

¹ ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 81 .

² ينظر، محمد محمود الطنجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مرجع سابق، ص 354.

دراسة الشعر العربي والمناهج الحديثة في ذلك، إذن الصّلة غير مبتورة بين القدامى المحدثين وإنما في الموضوعات والأدوات - كما سبق الذكر - وأعاد دراسة ما ذهب إليه القدامى من طرف المحدثين ولكن بمنهجية حديثة¹.

يرى عمایرة أنّ المستشرقين الألمان المحدثين ابتعدوا عن اللغة العربية الفصحى أو التراثية أو الكلاسيكية

بحسب ما يسمونها بأسباب يرجعها إلى :

1- أنّ الاحتكاك المباشر مع الشعوب العربية أظهر حاجة للتواصل معها باللغة العربية المعاصرة أو العامية .

2- كان المستشرقون الألمان التقليديون متأثرين بالدّرس اللّغوي العربي، ثم بدأ التّخفف من تأثيره، لظهور الجانب

العلمي في النحو العربي، حتى صارت العربية عند المعاصرين تقعد على أساس النظرية الغربية التّقليدية ذات الأصل

اليوناني.²

التّواصل الاجتماعي الذي كان ضمن المنهج الإستشراقي الحديث في دراسة الشعر العربي الحديث، فرض

على هؤلاء معرفة اللّغة العربية الفصحى واللّغة العامية لسهولة التّواصل الاجتماعي مع الشعوب الشّرقية، لهذا

سعى المحدثون الألمان إضافة إلى تأليف الكتب تدريس اللغة العربية بوصفها لغة حيّة معاصرة، الاهتمام كذلك

بتدريس اللّغة العامية.

يظهر الاختلاف بوضوح في طريقة البحث بين الجيلين عند معالجة الموضوعات اللّغوية، فقد أكتشفت في

أيامنا هذه مناهج جديدة لم تكن معروفة سابقا، كالبنوية والتحويلية والكثير من المباحث الألسنية الحديثة التي

قدمت قراءات متنوّعة ومختلفة للنص الأدبي، حيث هو منتج حيّ وثرّي العطاء.

¹ ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 86.

² ينظر، إسماعيل أحمد عمایرة، بحوث في الإستشراق واللّغة، مرجع سابق، ص 295.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام ظهور المنهج الشامل المقارن في الدراسات السامية عند الجيل الجديد من المستشرقين واقتصرهم غالبا في البحث عن اللغة السامية، تتم دراساتها بشكل عميق ومسهب، دون إجراء مقارنات موازية مع بقية اللغات السامية الأخرى وكذلك يجب الإشارة إلى عدد من المستشرقين المتخصصين في موضوع نظرية الأدب والنقد الأدبي قليل بشكل عالم، وهذه ثغرة نأمل تجاوزها في المستقبل القريب.¹

ركّز قدامى المستشرقين الألمان على الدفاع عن التّهج والفكر الإسلامي والشعر الجاهلي، الذي كان ضرورة محتومة يتوجب على الغرب التأثير بها (زيغريد هونكه) ودافعوا بكل ما أوتوا من أجل إيصال هذا الفكر واللغة العربية والإرث الأدبي الشعري إلى الغرب بأبهى صورة وبمنهج يليق بالمنهج الألماني الذي حاول ترسيخ منهج معين (موضوعي علمي) في الدراسة والبحث، فكان نابع من حبّ خالص وتأثر مجنون ودفاع شرس، رغم المضايقات التي تلقوها من بني جلدتهم لهم، أمّا المحدثون فكان التأثير مغاير وبأقل درجة من سابقهم، بحكم التطور وسهولة الإبداع ممّا سهل هؤلاء قراءة الفكر الإسلامي والأدب العربي القديم بمرونة وأقل ضغط مع الانفتاح العالمي، والفكري (العولمة)، لكن لا ننسى أنّ المحدثون ساروا في معظمهم عن نهج القدامى في هذا التأثير والتأثر بالشعر العربي القديم خاصّة ولم يجيدوا عن الموضوعية والعلمية التي أسسها القدامى .

تأثر القدامى بالشعر العربي القديم عكس النشر العربي، لم وجدوا فيه من عذوبة معانية وبلاغة ألفاظه وصعوبة نسجه، وإحكام صياغته، فهم بذلك بذلوا جهدا مضنيا في قراءته وفهرسته، وترجمته إلى الألمانية ولغات أخرى، وبهذا فقد ذلّلوا العديد من الصّعاب التي كانت قد تواجه المحدثين الذين تأثروا بنفس الجنس الأدبي أمثال: يعقوبي ريناتا و شمبل... وغيرهم، بالإضافة إلى التّهج الرّصين، وجدوا الأرضية خصبة أمامهم وهذا فضل يحسب للقدامى في التأسيس والدّرس لحساب المحدثين .

¹ يوسف ظافر، الاستشراق الألماني إلى أين ؟ حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بويسين، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العربي، دمشق، العدد 68، 1997، ص 138 .

يمكن أن نعتبر بروكلمان همزة الوصل بين الجيلين، فقد تتلمذ على يد المستشرقين القدامى وخاصة تيودور

نولدكه، الذي نهل ما غزارة علمه وإطلاعه على العلوم الشرقية والشعرية منها، و تعلم اللغة العربية وأسرارها باعتبارها المفتاح لفهم ذلك (الشعر) وكان أكثر بعداً في طرحه، حيث قرّر أن يرصد تاريخاً عاماً للأدب العربي، فقد "أسس عندهم لمنهج كامل لعلم التاريخ اللغوي والمقارن، الذي انعكس بدوره على الكثير من الدراسات العلمية التي قام بها المستشرقون لاحقاً في تحقيق جوانب معينة لتراث كل لغة من هذه اللغات، خاصة العربية والعبرية.¹

لهذا نحاول في هذا الجدول أن نبين بعض الخصائص الفنية في دراسة الشعر القلسم وأدواته ومنهجيته واهتمامات المستشرقون القدامى وهمزة الوصل بينهم وبين المحدثين (كارل بروكلمان)، ما خلال تأسيس تاريخي للأدب العربي ولغته وأوجه التشابه بينهم وبين بروكلمان، من خلال أصل وماهية الشعر العربي القلسم، وروايته ووصوله إلى اللاحقين وكذلك أوجه الاختلاف، أو التعمق بينهما من حيث أن بروكلمان كانت له الصرامة في البحث، حيث قضى نصف عمره في تأليف كتابه (تاريخ الأدب العربي) وكان منارة للمستشرقين بعده من الألمان وغيرهم، لدراسة الأدب العربي.

¹ يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، القاهرة، مصر، 1968، ص2

كارل بروكلمان	المستشرقون الألمان القدامى رايسكه ، ألوارد ، نولدكه
<p>- اخلص إلى أنه لا توجد لغة من لغات الأصل السامي تتميز بمرونة ودقة في التعبير عن العلاقات التركيبية مثل اللغة العربية¹.</p> <p>- وضع اللغة العربية على خط الفيلولوجيا الصحيح بالمعنى المعاصر وحزرها من حيز البحث التاريخي اللاهوتي .</p> <p>- قارن بين اللغات الثلاث: العربية والعبرية - السريانية .</p> <p>- صارم في التدقيق التاريخي وعالم فيلولوجي .</p> <p>- وجد مبرر للشك والانتحال في الشعر القديم وهذا البعد الزمني في نظم القصائد الشعرية ، مما أدى إلى ظهور المقاطع الشعرية واختلاف موضوعاتها ، وهذا أكد فكرة الشك و الانتحال عند النقاد.</p> <p>- اتبع منهج القصيدة القديمة وعمود الشعر الجاهلي في كتابة الشعر، واعتبره منهجا رغم التطور الحضاري في العصر العباسي .</p> <p>- احترم الرواة والذاكرة العربية القوية في رواية الشعر ونفي الشك فيه والانتحال والصنعة له .</p> <p>- اعتبر العروض فنا وهناك من القصائد الشعرية التي لم يجد لها الخليل مجزاً بعدُ ودافع عن أصالة النظام العروضي العربي حين قال : "ومن الضلال المبين ما زعم هتكاتش من أن عروض العرب ينشأ على أساس شعر اليونان ، فإن الرجز لا يشبه العروض العربي نشأ نشأة مستقلة من الشعر عند البربر والذي أخذ ينمو تسببها بفن العرب"¹.</p> <p>- تجاوز التصوير الفني للشعر العربي إلى الوقوف عند العلاقة بين الشاعر الجاهلي ومحيطه - اتفق مع نولدكه في غرض الوصف عند القدامى الشعراء العرب .</p> <p>- دافع عن الشعر وأصالته العربية عكس ما رُوج عن أجنبيته .</p> <p>- نفى التكسب عن الشعراء والعرب القدامى</p> <p>- اعتمد دراسات نولدكه عن رواية الشعر الجاهلي وصحته وخاصة كتابه " من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم "</p>	<p>- أهم القضايا المشتركة الشك والانتحال</p> <p>- اهتم رايسكه باللغة العربية في الشعر واعتبرها متلازمان لأن في الحفاظ على أحدهما هو الحفاظ على الآخر .</p> <p>- اهتم رايسكه بموسيقى الشعر (الوزن) .</p> <p>- ركز ألوارد على الرواة ووصول الشعر القديم وتحدث عن السرقات الشعرية .</p> <p>- شكك المستشرقون في أصالة الأدب الجاهلي وصحته من خلال نظرية الانتحال التي طورها عدد المستشرقون أهمهم نولدكه في بحث بعنوان (من تاريخ نقد الشعر العربي القديم) يظهر الأشكال الداخلية والخارجية التي يعكسها شعر صدر الإسلام ، حيث يوجد تشابه في البنية الفنية في القصيدة الجاهلية وبعد صدر الإسلام .</p> <p>- بحث نولدكه في بداية الشعر الجاهلي ، وطبيعته وصوله إلى العصر العباسي وحفظه.</p> <p>- تحدث نولدكه عن القصائد المتبورة عن سياقها .</p> <p>- أظهر عدم الثقة في جل الشعر الجاهلي الموجود بسبب الشعراء المتأخرين الذين نسبوا قصائدهم على لسان شعراء جاهلين (انتحال قصائد كاملة) .</p> <p>- قضية الرواة وعدم الثقة في جل رواياتهم مثل حمادة الرواية وفسرها على أنها خلقة بشرية معرضة للنسيان والأهواء .</p> <p>- رغم كل ذلك لم يخلف إعجابه بالشعر العربي القديم.</p> <p>- قدم ألوارد دراسات نادرة وعميقة حول صحة القصائد العربية القديمة مع القدرة الفائقة على التحقيق الفيلولوجي لنصوص الشعر العربي القديم .</p>

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق ، ص 52.

صدرت عن علماء الفيلولوجيا الألمان : نولدكه ، آلوارد ، و بروكلمان، الذين اعتمدوا المنهج

الفيلولوجي في الدرس العربي الشعري واللغوي، حيث تعدّ دراساتهم أعمق الدراسات العلمية التي تمت حول موضوع الرواية في الشعر العربي القديم، كما أنّها تميّزت بحسّ نقدي عالي جدّاً، خاصّة أن كلّهم كانوا على دراية فائقة باللّغة العربية ممّا أهلهم إلى المقارنة بلغتهم الأمّ.

من خلال الجدول أعلاه يتضح لنا أنّ النهج الأول الذي سار عليه القدامى اتبعه المحدثون بداية بـ بروكلمان ومن تبعه وهو إتقان اللّغة العربية، باعتبارها مفتاح الأدب العربي وقراءة الشعر القديم والحديث، لأنّها لغة خاصّة في مقابلاتها عند ترجمتها إلى اللّغات الأخرى وتختلف عن بقية اللّغات السّامية الأخرى وأنّ البلاغة العربية هي مفتاح الشعر القديم .

* قدّم القدامى عرضاً ودراسة حول قضية الشك والانتحال، إلا أنّ بروكلمان دافع عنها واحترم الرّواة .

* كلاهما تأثرا وأعجبا بالعروض وموسيقى الشعر العربي .

* نهل بروكلمان المنهج والمعرفة من القدامى وخاصة أستاذه نولدكه وخاض في تاريخ الأدب العربي وبحث في أسرار اللّغة العربية، وبذلك نعتبره محافظاً محدّداً .

* كان الإعجاب بالشعر العربي القديم والشعراء العرب البارزين السّمة المشتركة بينهما .

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الدّراسات الألمانية من أكثر البلدان الأوروبية التي اعتنت بالنّاحية اللّغوية أو ما

يسمّى بـ بفتح اللّغة، وذلك لإتقان اللّغات الشرقية بشكل عام وغنى باللّغة العربية والتركية والفارسية، يساعد في

الاطّلاع على التراث الشرقي بلغته الأصليّة، ويعتبر في نفس الوقت المفتاح الأساسي لفهم هذا كله، كان الألمان

السّباقون في فهم هذا، ورغم هذه الجديّة من طرف المستشرقين الألمان والحرص على دراسة اللّغة العربية وتدريسها

إلا أنّهم وجدوا صعوبات في نطق بعض الأصوات العربية الغير موجودة في اللّغات الأوروبية، إضافة إلى مشكلة

القراءة والكتابة، فهي ليست سهلة على الأجنبي على عكس اللغة الألمانية، وصعوبات في النحو والقواعد، خاصة النحو التراثي القديم، الذي يعتمد على نظرية العوامل وغيرها من المسائل الأخرى.¹

ومن ثمة تظهر لنا ثلّة من المستشرقين الألمان لهم نفس التّوجه والانتماء، من حيث التّأثر بالشّعر العربي وعلوم الشّرق، وحتى الشّعر الإسلاميّ عامة، وهذا الجدول يُلخّص لنا هذه المقارنة بين النّظرة القديمة والحديثة للمستشرقين في هذا الباب من حيث أنّ لهم نفس الميول في حبّ الشّعر الصّوفي ودراسته وترجمته .

¹ ينظر، يوسف ظافر، الإستشراق الألماني إلى أين؟ مرجع سابق، ص 134 ، 142.

آنا ماري شميل	هيلموت ريتز	فريدريش روكوت
<p>- تأثرت بالشعر الصوفي وأتقنت اللغات العربية والتركية الفارسية.</p> <p>- تخصصت في دراسة الشعراء الصوفيين الفرس (جلال الدين الرومي) والعرب (ابن عربي وابن الفارض) .</p> <p>- حاولت خدمة الإسلام من بوابة الشعر الصوفي .</p> <p>- اعتبرت اللغة قاصرة أمام إحساس الشعراء الصوفيين.</p> <p>- أفردت كتبها لهذا الغرض شرحاً وتفصيلاً.</p> <p>- تواصلت مع المجتمعات العربية عن كتب لفهم الشعر وأسرار العلاقة، وأقامت علاقات مجتمعية مع العرب وغيرهم، مما زاد شغفها وحبها، وهذا ما لم يحدث مع روكوت الذي لم يطلع على هذه العلاقة قط.</p> <p>- تأثرت بروكوت في ترجمات المنشوري للرومي وعمقت في هذه الترجمة ووقفت عندما أغفل عنه روكوت في أعماله الترجمة .</p> <p>- كشفت عن حضور فنية الشعر الجاهلي في الشعر الصوفي عند ابن الفارض.</p> <p>- زيادة على أعمال الأدبية كباقي المستشرقين حبها الغير عادي للمسلمين والشعراء.</p>	<p>- ينتمي إلى اتجاه القدامى من حيث الدراسات اللغوية، ألف (نحو اللغات السامية وفقهها)</p> <p>- اهتم بالشعر الصوفي الإسلامي وترجمته إلى الألمانية .</p> <p>- اهتم بالدرس البلاغي في الشعر العربي وحقق أسرار البلاغة للجرجاني (وهذه خصوصيته في الدراسة) .</p> <p>- ركز على التركيب الفني والجمالي في الشعر والفنون البلاغية فيه .</p> <p>- اهتم بالشعراء المتصوفة كجلال الدين الرومي ، السهرودي ، فريد الدين العطار (لكن من منظور بلاغي) وركز على حلقات الذكر والإيقاع الذي تختص به .</p> <p>- اهتم بالشعر البدوي القديم واعتبره إنتاجاً فنياً بالصور البلاغية.</p> <p>- اهتم كثيراً بالدرس البلاغي في الشعر العربي وركز على مضمون الشعر من حيث القدم والجدّة في البلاغة العربية ، وتمظهراته في شعر أبي تمام كما سماه (مدرسة البديع عبد أبي تمام)</p> <p>- من المجدّدين في طرح الشعر العربي القديم من حيث الصياغة الفنية البلاغية</p>	<p>- الترجمة الفائقة للشعراء العربية إلى اللغة الألمانية وأشهر ترجماته مقامات الحريري .</p> <p>- صاغ أشعار المتصوف جلال الدين الرومي .</p> <p>- حاول إبراز الأسلوب الشعري في القرآن (وهذا ما احتص به دون غير من المستشرقين) .</p> <p>- لا يهتم بالقواعد اللغوية في ترجمة الشعر الصوفي وغيره وإنما ترجمة ارتجالية للأشعار .</p> <p>- تأثر بالشعر والشرق عن بعد ولم يسافر يوماً إلى البلاد الشرقية.</p> <p>- الإحساس والعشق الشعري عنده هذا الأساس الترجمي .</p> <p>- أول من عرف الألمان بشعر الغزل.</p> <p>- تأثر بالشعراء المتصوفة مثل الشيرازي وترجم ديوانه الغزليات وفريد الدين العطار .</p> <p>- استفاد في كتابة الشعر الألماني من التاريخ الإسلامي والحكايات والأشعار وصاغها في لباس أشعار ألمانية.</p>

في قراءة سريعة لهذا الجدول نلاحظ نقاط تشابه بين القدامى والمحدثين في دراسة الأدب العربي والتأثر

بالشعر الإسلامي العربي وهناك أخرى يميّز بها كل مستشرق عن البقية، رغم أن موضوع الدراسة والاهتمام هو مشترك بينهم وهذا ممّا زاد من ثراء الدّراسة الفنية للشعر العربي قديمة وحديثة، لأنّ كلّ زاوية هي عين فنية منهمرة، ودرب خصب يستهوي الباحث العربي والمستشرقين على حدّ سواء، يتمتع فيه ببحثه ويقدم للقارئ جوانب عدّة عن هذا التراث الفني بالمعارف الباطنية والخارجية .

تأثرت ماري شمبل بروكوت في الشعر الصوفي، حيث كان لهم نفس التأثير والاهتمام وكذا ريتز¹، لكن اختلف عنه من نواحي عدّة أهمّها حبها الكبير وتأثرها اللافت بالشعر الصوفي والشعراء الصوفيين، حيث لم تكن دراسة جافة ضمن إطار الترجمة والدراسة فحسب، بل كانت شعور متناهي مع كل بحث، نابع من عمق المجتمع العربي الذي خالطته، إضافة إلى ذلك أنها احتكت بالشعوب الإسلامية ولمست هذا الشعور رعايته عن كتب، ممّا أعطاهما فرصة أكبر للتعمّق في الدراسة والبحث، زد على ذلك اكتشافها للصلّات التاريخية والأدبيّة والفنيّة بين الشاعر الصوفي (ابن الفارض) والشعر العربي الكلاسيكي، وهذا في نظرها مجسّدا في أشعاره من حيث الآداء التروماني والبلاغي .

بالعودة إلى هيلموت ريتز، فهو من المستشرقين الألمان المحدثين، إلّا أنّه سلك نهج القدامى في الدراسة والبحث، حيث كان مهتما بالدراسات اللغوية على غرار رايسكه ونولدكه وبروكلمان وكان تأثره بالشعر الصوفي متميّزا عن القدامى والمحدثين، حيث أقحم الدرس البلاغي في تأثره بالشعر الصوفي وكان بعيدا عن الشعور الذي تميزت به آنا ماري، فكان فيها في دراسته في حدّ بعيد وحاول دراسة الشعر من داخل داخله، أي في مضمونه الفنيّ و الجمالي، مستندا في ذلك على دراسته لكتاب أسرار البلاغة للجرجاني، فكان تأثره تأثيرين: أولها بالشعر الصوفي وثانيهما بالبلاغة العربية، محاول توظيف الثاني (البلاغة) في فهم الأول (الشعر الصوفي)، واعتبر أنّ ميزة الشعر الصوفي هي بلاغة ألفاظه وفنيته، إضافة إلى الموسيقى أو الإيقاع الفنيّ داخل حلقات الذكر واهتمّ بالشعر البدوي من الناحية البلاغية أيضا.

هذا التناغم في الطرح من حيث المضمون والسياق، ساهم في الإحاطة الكبيرة بالشعر الصوفي وإعطائه القدر الكافي وبعدا آخر يختلف عن المتأثرين بالشعر الصوفي في الدراسة والبحث .

¹ خالد محمد عبده ، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق ، ص 42.

وهنا نقطة تستحق التنبه إليها، كانت آنا ماري شمبل كما يرى أحد الألمان وكما يشعر القارئ العربي، تنظر إلى الشرق من منظور متحمس بعين الحب الهائم، الذي يعيش تاريخاً يفارقه الواقع أحياناً ويتعد عنه أحياناً أخرى، وينتخب منه ما أراد، لكن نظرتها هذه لم تمنعها من التعاطي مع الأمور بمنهجية علمية¹

نلمس من خلال هذه المقارنة بين المستشرقين الألمان (قدامى ومحدثين) نقاط تقاطع لأن موضوع الدراسة مشترك يفرض نفسه عليهم، وخير دليل على هذا القول عودة ريناتا يعقوبي إلى دراسة الشعر الجاهلي الذي كان موضوع مشترك لدى المستشرقون القدامى، لكن نجد دراستها مختلفة في الوقت الحاضر، فكانت نقاط تشابه ونقاط اختلاف سوف نقف عندها .

أوجه التشابه:

- * عادت ريناتا إلى دراسة الشعر الجاهلي القديم وتعرضت للأغراض الشعرية القديمة كالغزل، الوصف... وغيرها .
- * التركيز على بيئة الشاعر التي كانت حاضرة في أشعاره واعتبروا الشاعر مرآة عاكسة لبيئته .
- * الإقرار بفنية القصيدة القديمة، فكانت الداعي لكل هذا الجهد والاهتمام الكبيرين والعودة من طرف المحدثين إلى القراءة الحداثية للعمل القديم .
- * اعتماد الدراسة التاريخية للشعر، مع تعمق القدامى في هذه المسألة بالشكل الكبير، لكن ريناتا أعطتها القدر البسيط من الالتفات .
- * الاهتمام بالسياق الخارجي للقصيدة وملابساتها .
- * الغوص في تسمية المعلقات الشعرية، فكانت حقيقتها محل اهتمام الجميع .

¹ خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 160.

* التّركيز على دراسة القصائد المشهورة للشّعراء الجاهلين المعروفين .

* التّحدث عن البدايات الغير موجودة زمنيا للشعر العربي وكانت هذه المسألة محلّ اتفاق الطرفين .

أوجه الاختلاف :

* اختلفت ريناتا يعقوبي في دراستها وطرحها للشعر العربي القديم وذلك من خلال :

- عادت ريناتا إلى دراسة القصيدة القديمة لكن بمنهج مختلف بعيد عن المنهج التاريخي والفيلولوجي الذي اعتمده

المستشرقون القدامى، بل يخضع لمناهج اجتماعية وغربية لأجل فهم بنية القصيدة العربية، وبذلك فهم التسيح

الاجتماعي والعربي والشرقي، فالشعر هو الوسيلة لفهم واكتشاف الرّابط بين بنية القصيدة وبنية المجتمع .

- كان تأثير ياكوبي في الشعر القديم من خلال أنّها قدّمت منهجا جديدا التناول في الشعر الجاهلي وهو منهج

معاينة النصّ في ذاته، دون النظر إلى السياقات التي أفرزته، فتحوّلت النظرة إلى الشعر الجاهلي من الاهتمام بقضية

الشك والانتحال، إلى أن أصبح الاهتمام منصباً على معاينة النصّ الشعري الجاهلي في ذاته وعلى أنّه فنّ في

مضمونه لا سياقه .

- حاولت ريناتا دراسة بناء القصيدة دراسة فنية مستقلة عن ظروفها الاجتماعية والتاريخية، فالشعر الجاهلي يمكن

أن يدرس بمعزل عن فكرة الموضوعات التقليدية أو فكرة السّداجة العقلية التي تملئها البنية الخارجية على عقول

الباحثين، فالشاعر ليس مرآة بيئته وعقله، وليس موقوفا على تمثيل عناصر خارجية، فالشاعر البدويّ قد يبدو أروع

وأعمق ممّا نتصوّر لأوّل وهلة.¹

¹ أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسة المستشرقون للشعر الجاهلي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص أدب جاهلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009، ص 146.

- نفت ريناتا الغنائية عن الشعر القديم وصنفت القصيدة العربية على أنّها ذات طابع درامي أو ملحي وألغت الطابع الغنائي الذي أكدّه مستشرقون آخرون، فالقصيدة الجاهلية ليست غنائية محضة أو درامية محضة وإنما تجمع بين الآخرين .

وأما الذين رفضوا تصنيف الشعر الجاهلي ضمن النظريات النقدية الغربية، فقد وجدوا في ذلك مزلق ومخاطر لا يمكن للمرء تجاوزها، فالإشكالية التي وقعت فيها يعقوبي في نفيها للغنائية عن الشعر الجاهلي جعلت شولر يرى أنّ من الأفضل أن يصنف الشعر الجاهلي حسب آراء التقاد العرب.¹

يقول ايفالد فاجنر: "من قال بغياب الغنائية عن الشعر الجاهلي فهو أمر فيه كثير من المجازفة هؤلاء المستشرقون، إذ ليس منطقياً أن تكون القصيدة الجاهلية ذات طابع درامي أو ملحمي، لكنها لا تكون ذات طابع غنائي"²، وابتعد فاجنر عن التقسيمات التي أقرت بها ريناتا .

نفيها للغنائية عن الشعر الجاهلي، "فكيف تستطيع -على سبيل المثال- تصنيف شعر الرثاء الجاهلي، كقصائد الخنساء وغيرها، الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بذات الشاعر ووجدانه".³

- لم تهتم بالدّرس اللغوي بينما اهتم به قدامى المستشرقين وحتى بعض المحدثين أمثال ريتز .
- لم تنظر إلى موضوع رواية الشعر القديم ولا الرّواة، الموضوع الذي ركّز عليه كثيراً قدامى المستشرقين الألمان .
- كلا الفئتين على بحث القصيدة لكن من منظورين :

¹ موسى سامح الربابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، مرجع سابق، ص 290.

² أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسة المستشرقين للشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 174.

³ الرجوع نفسه، ص 170.

1- خارج النص (القدامى) :

- * اعتمد القدامى مسألة الشك والانتحال وربطوه بالسياق التاريخي والاجتماعي .
- * التركيز على الرواة ومقاييس الرواية والبحث في بدايات الشعر الجاهلي .
- * اعتبروا دراسة القصيدة بمعزل عن السياق الاجتماعي والتاريخي دراسة مبتورة وقاصرة، فغرض التسيب يكشف عن عالم افتراضي غير حقيقي.
- * أصل الشعر هو المكان و الترحال والغربة.... وغيرها، " فالعرب لم تكن تهنئ إلا بـغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج".¹
- * اهتمت ماري شميلي بالسياق الاجتماعي وظروف عيش المتصوفة، وحلقة الذكر .

2- داخل النص (المحدثون - ريناتا يعقوبي) :

- * اعتمدت منهج بناء النص الشعري والعناصر المكونة له .
- * ركزت على انفصال الأغراض الشعرية (التفكك بين أجزاء القصيدة) .
- * تطبيق مناهج تحليل الخطاب الحديثة في دراسة بنية القصيدة القديمة (الأسلوبية، البنيوية، الشعرية) الصورة الفنية)، النفسي، في ترابط الأغراض) .
- * اهتم ريتز بالدروس البلاغي للقصيدة الجاهلية .
- * اهتمت ماري شميلي بإحساس النص الشعري الصوفي وسياقه الخارجي .
- * الاهتمام بالموسيقى الداخلية (العروض)، (وكانت خاصية القدامى أيضا) .

¹ أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص 65.

* تأتي القصة في الشعر العربي على أنها وسيلة من وسائل الإبداع الفني، إذا تجد الشاعر لا يلجأ إليها لغايتها، بل يتخذها وسيلة لإبرازها مهاراته الفنية وأثبت مقدراته على ممارسة الجديد متجاوزاً بها رتبة المعالجة، أو تماثل الأسلوب في أداء المعاني.¹

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : لماذا العودة إلى دراسة الشعر القديم ؟ .

1- أعادت " ريناتا يعقوبي " وأمثالها من المحدثين إلى دراسة الشعر العربي القديم، لم تأكد لديهم من قناعة على أن هذا الأخير لم يُعط حقه من الدراسة والاهتمام والتّمحيص والبحث .

2- حاولت الوقوف عند الحقب التاريخية المتتالية باحثين عن خصائصها وفي خصائص العقلية العربية الإسلامية التي ظهرت جليّة في ما كتبه العربي من أشعار ونصوص نثرية مختلفة، وانعكست فيها طبائع شخصيته، وأسلوب تفكيره، وكذا ملامح من البيئة التي ولد فيها هذا الشاعر وعبر عنها بأساليب وفي قوالب شتى .

3- عكس الأدب القديم والشعر تحديداً بحق مظاهر الحياة العربية ونقلها بكل إتقان وفنية، شهد له بذلك كل من تناول الشعر القديم من المستشرقين وغيرهم بالتحليل والدراسة وكان صورة واضحة عن الحياة التاريخية والاجتماعية والإبداعية للعربي .

4- التّصورات المختلفة الموجودة في القصائد القديمة التي تعكس مظاهر الحياة المختلفة، مثل شعراء المعلّقات في العصر الجاهلي فهي تعدّ - بغض النظر عن الشك والانتحال فيها- من أروع النّماذج التي أبدعها الشعراء العرب، ففي كل مقطع منها يقدّم لنا الشاعر تصويراً عن البيئة التي عدّها قاموسه، الذي يأخذ منه مادة شعره، إضافة إلى إحساسه المرهف.

¹ موسى سامح رابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 272 ، 273.

5- شعر الفتوحات الإسلامية يعكس ملامح الحياة العربية في العصر الأموي، خاصة في شعر التفاضل، الذي يعدّ وثيقة صحيحة تعكس بوضوح العقلية العربية في ذلك العصر .

6- لم يعبر الشاعر عن بيئته الخاصة به بقدر ما كان يرصد واقع اجتماعي بمختلف أبعاده وتعكس الشرقي في مختلف أطواره وتفاعلاته مع الطرف الآخر (الاستشراق)، الذي ساهم في تغييره، فأراد بذلك مستشرق اليوم الكشف عن هذا التغيير ويقف عنده ليقدر ردود أفعاله إزاءها " والمصنّف الأدبي هو التعبير عن نظرة للعالم وعن وجهه نظر إلى مجموع الحقيقة التي ليست واقعا فرديا بل واقعا اجتماعيا، فالكاتب يدرك هذه النظرة ويشعر بها، ويعتبر عنها ولكل حقبة زمنية مسائلها العامة والملائمة للتركيب الاجتماعي."¹

كانت هذه أبرز النقاط التي حقّزت المستشرق المحدث للعودة إلى دراسة الشعر الكلاسيكي العربي وفق مناهج حديثة، تساهم في الإثراء المعرفي واللغوي والأدبي للشعر القديم.

- ما اقتصت به المستشركة ريناتا يعقوبي عن باقي المستشرقين قدامى ومحدثين :

* اعتمدت في دراستها للقصيد على أنّها نوع أدبي على طبيعة الأسلوب الذي تتضمنه القصيدة وهي بهذا تدخل دائرة جديدة غير دائرة المستشرقين الذين سبقوها وقد قسمت الأساليب في القصيدة الجاهلية إلى ثلاثة أنواع :

أسلوب وصفي ، أسلوب قصصي ، أسلوب بلاغي.²

* تهدف الباحثة من خلال فصلها الثالث بعنوان "شعر الغزل الأموي موضوعاته وتحولاته في كتابها المعروف" في كتابها "دراسات حول شعرية القصيدة العربية القديمة"، توضيح التناقض بين الموضوعات وتحولها في القصيدة العربية في العصر الوسيط سعيا لإدراك التغيير الأساسي في المستوى الشكلي والمستوى المفهومي " ¹

¹ كارلونيو فيللو، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، ترجمته : جورج سعيد يونس، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 113.

² أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسة المستشرقين للشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 165.

* بناء القصيدة العربية من التّاحية العضوية، حيث تحوّلت وظيفة الأطلال عندها ليس إلى أنواع شعرية أخرى، بل بقيت داخل المنظور الخاصّ بشعر الحبّ وتحولت من التّسيب إلى الغزل، وترى أنّ أسباب التّحول تمثّلت في الانتقال من الحياة البدويّة إلى المجتمع المدني الإسلامي الذي يأخذ سبيله تدريجياً .

- ناقشت وظيفة الأطلال في الشّعر العربي القديم وخرجت بالتّالي:

* الوظيفة الأصليّة للأطلال أنّها مثيرة الذكريات وبالتالي فإنّ لحظة التذكّر اختلفت في العصر الأموي عنها في عصر ما قبل الإسلام، فحين يقرّر الشاعر الرّحيل لينسى ألم فراقه عن محبوبته ويحافظ على اتّزان عقله، لم يكن الأمر كذلك في الفترة الأموية، فهو في العصر الجاهلي حلّ جماعي وفي العصر الأموي حلّ فرديّ، ويفهم من هذا أنّ تحوّل وظيفة الأطلال تأثر بطبيعة الحياة - كما قالت الباحثة - إلاّ أنّه لم يستطع أن يلغي معاني التّسيب من ذكرياته والاختلاف بين العصر الجاهلي والأموي .

* في الأطلال اختلفت النّهاية ويشترك في إثارة الذكريات في نقاط ثلاث :

نقاط الاختلاف: (1) نھايتها في القصيدة الجاهلية: الانتقال أو الرّحيل .

(2) نھايتها في العصر الأموي: التّعويض-اليأس .¹

* لقد حاولت ريناتا أن تفهم النّوع الأدبي للقصيدة الجاهلية على أساس (وصفي، ملحمي، درامي، غنائي)

وذلك يعني أنّ القصيدة لا يمكن أن تكون أحد هذه الثلاثة وإنما توصف بها .²

* ترى ريناتا أنّ "القصيدة إذا أبرزت الأسلوب الوصفي أو القصصي فإنّها تكون ذات طابع ملحمي."³

¹ عبد القادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، مرجع سابق، ص 75.

² أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 168.

³ موسى سامح الربابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 284.

* ابتعاد الشاعر العربي عن وصف نفسه، حيث يصف الأشياء المحيطة به على اختلافها، وتعتبره نوعاً من تجرد الأحاسيس لدى الشاعر الجاهلي في أشعاره، وبهذا تظهر الخصائص الملحمية في الشعر أكثر من الخصائص الغنائية (نرى أن هذا الحكم قاسي في حق الشاعر العربي القديم، فماذا تغني بالبكاء على الأطلال والشوق إلى الحبيبة وفرقة المكان الذي ارتحل عنه... وغيرها من الأحاسيس).

* حاولت أن تعيد فقر الخيال الجاهلي إلى طبيعة البيئة الجاهلية، إذا تقول: " فالشاعر العربي يعيش في بيئة لم تستطع أن تقدم شيئاً ذا بال للخيال الإبداعي عند الشاعر، فالصورة كانت عبارة عن نبع حقيقي للتفصيلات التي كشف الشعر العربي في وصفها عن حدة عجيبة في المعاينة."¹

البيئة القاحلة التي كان يعيش فيها الشاعر العربي القديم لم تساعده على تطوير خياله وتوسع الانطباع الحسي والشعوري، حتى الطبيعة كانت محدودة من حيث النباتات والحيوانات مشتركة - على الغالب - في الأشعار القديمة وغلبت عليها الصحراء والناقة واستدلت في حكمها هذا بنماذج شعرية عند أبرز الشعراء القدامى وشعراء المعلقات .

* إقرارها بغزارة الشعر العربي وفنية شعرائه الذين يمتلكون القدرة الفنية في استخدام خيالهم في الإبداع الشعري وحسن استخدام الشاعر للغة العربية كاستخدام المجاز والرمز، التي كانت السمة الغالبة على الشعر الجاهلي .

* تحاول أن تحاكم الشعر محاكمة عقلية منطقية بعيدة عن الخيال ولكن ذلك لا يجدي نفعاً، لأنه لا يساعد على اكتناه جوهر العملية الشعرية.²

¹ أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 91.

² موسى سامح الربابعة، قضية الخيال في الشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 5 العدد 2، 1994، ص 575.

كانت هذه أهمّ النّقاط التي ميّزت المستشرقة الألمانية ريناتا يعقوبي باعتبارها أحد المستشرقين الألمان التي عادت إلى دراسة الشعر العربي القديم، وفق منهج يتّسم بالحدّثة في الطرح والدراسة. وفي نفس الوقت لم تخرج عن المنهج العام الذي طالما ميّز المدرسة الألمانية الذي تغلب عليه الموضوعية والحياد .

نسأل الضّوء على جلّ القضايا التي تطرّق إليها القدامى والمحدثون من المستشرقين الألمان التي نراها تتلخّص في النّقاط التالية :

- الاهتمام المشترك لدى قدامى المستشرقين استحوذت عليه قضية صحة الشّعر الجاهلي وحقيقة وصوله إلى الخلف والأجيال اللاحقة وقضية الشك والانتحال له من طرف الرواة على رأسهم خلف الأحمر وحمّاد الرّواية، لكنّها كانت مع المحدثين بدرجة أقلّ .

- السّمة المشتركة بين القدامى والمحدثين هو تمكّنهم من اللّغة العربية وأسرارها البلاغية والتّحوية، وكانت ميزة المستشرقين الألمان، حيث لم يعتمدوا على التّجمات، بل اجتهدوا في معرفة اللّغة العربية لأنّها كانت العائق أمام هذه الدراسة وخاصّة للشعر الجاهلي، والدافع الثاني لدراسة اللّغة العربية هو استحوذوا المكتبات الألمانية على عدد هائل من المخطوطات العربية القديمة، مما شكّل الحافز إلى تعلّم اللّغة، بغية القراءة الصّحيحة لهذه المخطوطات، فكانت اللّغة العربية بذلك المفتاح الرئيسي لدراسة الأدب العربي .

- أثر الشّعر الكلاسيكي العربي في الجليلين، ولا زال يثير شغفهم لحدّ السّاعة وخير مثال على ذلك دراسات ريناتا يعقوبي له .

- فيما يخصّ مسألة نحل الأشعار ونسبتها لغير شعراء، فإن الأشعار لو كانت منحولة على العصر الأموي فلماذا إذن فضّل علماء اللّغة والنحو الذين ازدهروا في العصر ذاته، أخذ شواهدهم من الشّعر الأموي لأنّه لن تكون لغة الشعر الجاهلي أقرب إلى القرآن من لغة الشّعر الأموي.¹

- إقرار نولدكه بصعوبة إدراك التّفاصيل اللّغوية للشّعر القديم بسبب التراكيب وسعتها وكثرتها، وأقرّ بأن الأمر محتاج إلى زمن طويل لفهم ذلك الشّعر (القديم) .

- لم يتأثر قدامى المستشرقين الألمان بالشّعر الصوفي إلى جانب قليل منهم، فكان همّهم الوحيد البحث في الشّعر الجاهلي وفهمه، ومعرفة حقيقته ودراسة الفنية واللّغوية .

- أكّد المحدثون على دراسة القصيدة الكلاسيكية في مضمونها (ريتير، يعقوبي)، دون الاهتمام الكبير بسياقها التاريخي والاجتماعي، لكن هذا لا ينطبق عند أنا ماري شميل، التي أدرجت السّياق الاجتماعي في دراسة الشّعر الصّوفي العربي وأولته الاهتمام الأكبر .

- التّهمة الموجهة إلى الشّعر الجاهلي والمتمثلة في غياب الوحدة الموضوعية في قصائده، طرحتها تلك النظرة السّطحية إلى الشّعر، فانتقال الشّاعر من موضوع إلى آخر كان مبرر أو منسجما مع معنى الوحدة المفهومة في ذلك العصر، وإنّ انتقاله انتقال مترابط إذ ينظم القصيدة خيط نفسي يكشف عن ترابطها وتناميها وذلك لوجود نواة للوحدة العضوية في بعض قصائد الشّعر الجاهلي لاسيما معلقتي : لبيد وطرفة.²

¹ ينظر، عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 141.

² محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، الإسكندرية مصر، 1975، ص174.

- ينفي كارل بروكلمان أن تكون لغة الشعر القديم من اختراع الرواة والأدباء على أساس كثرة من اللهجات الدارجة، بل كانت لغة فنية فوق لغة اللهجات وإن غذتها جميع اللهجات وهي من أرقى اللغات السامية (اللغة العربية).

- إذا كانت لغة الشعر تختلف عن لهجات العرب بين الشمالية والجنوبية، فإن ذلك لا يعني أنها لم تشارك في الثقافة المشتركة لشعر البدو، وإذا كان عرب الجنوب يتكلمون أكثر من لغتين، فإن الأمر ليس بسبب مجيء الإسلام وإجبارهم على تعلم لغة الشمال أو لغة القرآن ومن ثم كتابة شعرهم بلغة القرآن، فلغة عرب الجنوب هي لغات سامية وهي لغة قائمة بذاتها، كان بوسعها أن تجتمع بلغة عالية، ولذا يمكن تفنيد الرأي القائل بكتابة الشعر الجاهلي بلهجة القرآن، فقد دافع المستشرقون عن هذه الفكرة والرأي وعلى رأسهم كارل بروكلمان.¹

- كان الاستشراق الألماني التقليدي دعامة للمعاصر، ذلك من خلال تأسيس منهج متميز عن المدارس الاستشراقية الأخرى البارزة في الدراسات الاستشراقية (الفرنسية والانجليزية) سار عليه المحدثون، وبذلك كانوا مميزين عن البقية ويقول في هذا الصدد أحمد هويدي: "يتكئ الاستشراق الألماني المعاصر على التقليدي ويربطه بالحاضر."²

- حافظ الاستشراق الألماني - قديماً وحديثاً - على أصالة المستشرقين الألمان، محافظاً على صفات الباحث العالم الذي يحافظ على المنهج الوحيد الذي لم يجد عنه لا القدامى ولا المحدثين، رغم اختلاف قراءاتهم للشعر العربي القديم والأدب العربي والإسلامي عامة.³

¹ ينظر، أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 266.

² أحمد محمود هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وتوجهاته المستقبلية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2000، ص 81.

³ ينظر، مشال جحا، مستعربان بارزان، هلمون ريتز، ورودي بارث، دورية الاستشراق، العدد 3، 1989، ص 113.

- عمل عدد من المستشرقين الألمان (قدامى ومحدثون) خارج ألمانيا، "فأسهموا في تصنيف فهارس مكتبات في الغرب والشرق تعنى بالمخطوطات العربية والشرقية، وبشكل عام ومن بينهم : ديلمان، فلوجيل، أرتولوث، تشاين شنايدر، ليتمان، ريتز،... وغيرهم."¹

- تقلد المستشرقون الألمان - إن لم نقل كلهم - كراسي في جامعات ألمانية وأوروبية وأمريكية وعربية، لتدريس اللغة العربية والعلوم الشرقية، فكانوا منبرا مهما للتعريف بالتراث الأدبي والتدريس.

¹ ينظر، محمد محي خراط، الاستشراق الألماني، مجلة المعرفة، بيروت، العدد 558، آذار 2010، ص 72.

الفصل الثالث: الاستشراق الألماني

والتحديات الشرقية

أولاً: الشعر الصوفي عند الألمان بين التأثير والتأثر.

ثانياً: أثر المدرسة الألمانية في الدارسين العرب وموقفهم منها.

ثالثاً: الاستشراق الألماني راهنا.

توطئة :

جذب التصوف العربي إليه الاهتمام المستشرقين الألمان فتعددت دراساتهم وأبحاثهم حوله، وأثارت شعورهم وولعهم بالشعراء الصوفيون المشهورون في هذا الباب أمثال : محي الدين ابن عربي، ابن الفارض، والحسين بن منصور الحلاج، وشخصيات نسائية كرابعة العدوية وغيرها .

حرص المستشرقون الألمان قدامى ومحدثون على دراسة الشعر الصوفي العربي متأثرين بشعرائه ومريديه ، بيد أنّ اهتمام المحدثين منهم كان أوسع فقد وهبت آنا ماري شميل حياتها للتعريف بهذا العلم والوصول الى أبعد نقطة لفهمه لأنه مختلف في شعره وشعرائه، فزيادة على مضمونه اللغوي والفني الإحساس الخفي الذي يربط بين عباراته و مفرداته وأبياته النابع من شعور حقيقي يعكس ما يختلج نفس صاحبه، فهو شعر يهتم بالباطن والوجدان.

ومع امتلاك هذا الشعر لتلك الخصوصية في النظم و المضمون شكل الرغبة عند القراء والباحثين على اختلاف أصنافهم وميولهم، فالأثر الشعري الصوفي لا يكاد يبرح إلى أن أصبح ظاهرة عربية جديدة عند الأكاديميين الألماني سعو إلى تغطيتها ومعرفة ماهيتها وتطوراتها عبر الزمن، فمن هؤلاء المستشرقون الألمان المهتمون بهذا النوع الشعري ؟ ومن هم أبرز شعراء الصوفية الذين أثروا فيهم ؟ وما حقيقة هذا الشعر وطبيعة انعكاساته على القارئ ؟ باعتبار هذا الشعر ترجم إلى الألمانية ولغات أخرى .

وبما أن المدرسة الألمانية مختلفة على نظيراتها في المبدأ والمنهج والفكر الإستشراقي في التعامل مع الشعر العربي كان لها الأثر الواضح على الأدباء و الدارسين العرب من جوانب عدة منهجية، وفكرية وحتى شخصية لأنها استعملت وسائل عدّة للتواصل مع العرب من خلال التدريس والتأليف والترجمة وغيرها وبذلك كانت ردود الأفعال تجاهها متباينة، فشقّ منهم رفض الإستشراق وآخر تحفّظ عنه وآخر أشاد به وبأصحابه، فما هو الأثر الذي تركته هذه المدرسة في الوسط الأدبي؟ وما هي انعكاساته على الشعر العربي؟ وما طبيعة المواقف العربية اتجاه

هذه المدرسة التي ظلت ودية لمبادئها منذ نشأتها؟ وهل يمكن لنا فعلا أن ننكر إنجازات الألمان في مجال الفهرسة و التحقيق وحفظ الإرث العربي الشعري وغيره؟ ومنهم الأدباء العرب المتأثرين بالتوجه الألماني وقضاياها حول الشعر العربي؟.

ففي دراستنا لهذه المواقف العربية من حيث تأثرها بالاستشراق الألماني نحاول أن نكشف عن التمايز الموجود في الأوساط العربية المثقفة لإمام أكثر بهذا الموضوع وإظهار التنوع الفكري في صفوف الأدباء العرب في ارتباطهم بالاستشراق الألماني وإفرازاته الأدبية الشعرية والبحثية، ولتصنيف كذلك التيار العربي الأكثر إقناعا في مواقفه التي لا تبخس الجهود الألمانية في خدمة اللغة والتاريخ والأدب والشعر ، وما قدمته من آثار وأبحاث تناولت الحياة العربية المعرفية والمجتمعية .

ومع تشكل الوعي العربي وبروز فئة من الأدباء المتشبعين بالثقافة الغربية والمطلعين على آدابها متقنين لغاتها ، ظهرت رهانات وتحديات استوجبها العولمة، فقد ساهمت موجة الاتصال العلمي والتكنولوجي ومظاهر العولمة في قراءة الدرس الإستشراقي الألماني الجديد من حيث الدقة والسرعة وإعادة إحياء التراث الشعري القديم ودراسته وفق المنهج العلمي الحديث، وكذلك بروز أنواع شعرية جديدة تمثلت في الشعر الحر وقضاياها الراهنة .

أصبح الشعر العربي أكثر جاذبية وعمق في وقت ظهر الاستشراق الألماني وفيها لمبادئه السابقة ومحافظا على تقاليده في تأثره بالشعر العربي والأدبي عموماً، مما يجعل صورة الألمان ثابتة في الموقف النقدي العربي إزاء ثقافته ومجتمعه، فما هو مستقبل الاستشراق الألماني وحاضره في ظلّ الزهانات العربية ؟ وهل ظلّ ثابتا على النهج الفيلولوجي ؟ وما هي وسائله في التعامل على الشعر العربي الحديث والأدباء العرب ذووا الفكر المختلف والمجتمعات العربية المختلفة في ظلّ التوعية العلمية والتكنولوجية ؟ حيث ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في انتشار المضامين الاستشراقية الجديدة اتجاه الفكر و الأدب العربي المعاصر وتجلياته كافة، واضطاعه كذلك على مختلف مراكز البحث خاصّة في ظلّ تشكلّ فئة المغتربين الذين أصبحوا يشكلون كتلة ذات انتماء مشترك .

وفي هذا كّلّه جاء الاستغراب في مواجهة الاستشراق وقراءة الأدب الألماني والتعرف على فكره وأدبائه وشعرائه ونماذج الدراسات الاستشراقية الجديدة التي تشكل الوعي الأدبي الألماني اتجاه الأدب العربي ويكشف كذلك ظروف تشكّله فما هو مستقبل الاستشراق الألماني ؟ وما هي تمثّلاته ورهاناته المستقبلية ؟.

أولاً: الشعر الصوفي عند الألمان بين التأثير والتأثر

يعدّ التصوف من أهمّ المباحث الأساسية التي يدرسها الفكر الإسلامي الى جانب علوم الإنسانية أخرى كالفلسفة والفكر العربي المعاصر وقد قطع التصوف الإسلامي والعربي أشواطاً كثيرة في تطوّره إلى أن تحوّل الى طريقة معروفة لها أتباعها ومريدوها ودارسوها، وبذلك جلبت اهتمام الغربيين والشغوفين إلى الاطلاع ومعرفة أسرار هذا التصوف مجسداً في أصحابه وأشعارهم ومعاملاتهم... وغيرها .

التصوف له علاقة متينة بالأدب نثراً وشعراً، حيث استعمل المتصوفة الشعر للتعبير عن ما يختلجهم وما في داخلهم من أحاسيس ونوبات ويمكن تقسيم الأدب الصوفي إلى ثلاثة أطوار :

1. يبدأ مع ظهور الإسلام .
 2. أواسط القرن الثاني في الهجري الى القرن الرابع، وتم فيه احتكاك الجنس العربي بالأجناس الأعجمية الأخرى.
 3. يبدأ بنهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن ، وهو العصر الذهبي في الأدب الصوفي غني في شعره ، في فلسفته ، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها وهو سلس واضح وإن غمض أحياناً.¹
- تطور الأدب الصوفي شعر ونثراً، وبلغ الشعر الصوفي ذروته مع ابن عربي وابن الفارض في الشعر العربي، وجمال الدين الرومي في الشعر الفارسي، ولم يظهر الشعر الصوفي إلا بعد شعر الزهد والوعظ الذي اشتهر فيه كثيراً الشاعر أبو العتاهية، وقد ظهر الشعر الصوفي كذلك بعد شعر المديح النبوي الذي اشتهر به كل من رابعة العدوية وابراهيم أدهم وسفيان الثوري، وداود الطائي، و الفضيل بن عياض وعمرو بن عبيد والمهتدي وشفيق البلخي وسفيان بن عينة ومعروف الكرخي، وكان انعكاساً للورع والتقوى بين صفوف العلماء والأدباء

¹ أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، المجلد 3، ط3، 4، 1969، ص 173 .

ويعد ذو النون المصري أول من تحدث من الأحوال والمقامات الصوفية إلى جانب السري السقطي وهو حسب شوقي ضيف: "الأدب الحقيقي للتصوف، هو أول من تكلم عن المعرفة الصوفية فارقا بينها وبين المعرفة العلمية والفلسفية التي تقوم على الفكر والمنطق، على حين تقوم المعرفة الصوفية على القلب والكشف والمشاهدة، فهي معرفة باطنية تقوم على الإدراك الحسي، ولها أحوال ومقامات."¹

وكان أبو العتاهية أيضا قد انغمس في بداية حياته في المجون واللهو قبل أن ينقطع للعبادة والتنسك والزهد، إلا أن حبه الفاضل لعتبة هو الذي دفعه إلى الزهد و التصوف، فكان سيتلهم حب الله من حبه لعتبة فيجد فيه تعويضا لحرمانه، ترك أبو العتاهية شعر غزيرا في الزهد².

كان للمتصوف العرب والمسلمين شعور خاص في كتابة الشعر مما انعكس على فنائه وجماليته لأنه نابع من شعور حقيقي تكون مرآة الكلمات والألفاظ التي يكتبها الشاعر الصوفي ويجسد أحاسيسه فيها، مما يدعم مصداقية هذا الفن الشعري وحقيقة ارتباطه بالشعر القديم والشعور الإنساني الخالص.

الحب الإلهي عند الشعراء الصوفية يعتمد على الرموز والمصطلحات والإشارات ولا تدرك معانيه إلا بالتأويل، يرجح أن أول شعر ورد فيه ذكر صريح للحب الإلهي تضمنته مقطوعة شعرية نسبها المؤرخون إلى رابعة العدوية المرأة الصوفية.³

انتشر الاهتمام بالتصوف في العصر الحالي بشكل لافت خاصة في البحوث العلمية والأكاديمية والمجلات وغيرها، وكانت هناك مؤلفات عن التصوف القديم والحديث ويمكن الإشارة هنا إلى الكثير من الكتابات الاستشراقية التي اهتمت بالتصوف والشعر الصوفي العربي ولا تزال، وتختلف ألوان هذا الاهتمام تبعا للمدرسة الاستشراقية وتختلف بحسب الدراسة وطبيعة المسألة التي تهتم بها.

¹ شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط2، ص 475، 476.

² محمد عباسة، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مجلة حوليات التراث، العدد10، سنة 2010، مستغام، الجزائر، ص 11.

³ أبو طالب المكي، فوت القلوب، المطبعة المصرية، القاهرة، ج 3، 1932، ص 84.

وكان للشاعر العربي القديم والحديث تظاهرات واضحة في التجارب الشعرية العديدة حيث نجد " الخطاب الصوفي يتأسس على التجاوز واختراق الأطر بين مكونات العالم ، أو مكونات المجتمع أو بنية اللغة ، فإذا كانت الصوفية في أساسها ثورة ضد الثبات فإن تحققها في النص الشعري العربي يمدّها بمنطلقات متحررة ، ومن ثمة فإن التجربة الصوفية تمثل نقدا للخطاب العربي من داخله ، واستشراق عوالم الشعر ، وفتح أبواب التساؤل حول الجمالي والديني " ¹ ، ولهذا فالتناغم والاندماج الفني والصوفي في النص الشعري العربي المعاصر يحاول الى تحقيق التحرر والتجاوز في نفس الوقت .

يحتل التصوف اليوم مكانة جد بارزة في الدرس الإستشراقي الألماني ، فأصبح أوسع وأغنى مما كان عليه بالأمس، فظهر بذلك مستشرقون ألمان اهتموا بالمتصوفة العرب وأشعارهم الروحانية وما تعكسه من أحاسيس وتتضمنه من معاني ، وظهرت أسماء أعلام صوفية أخذت الحظ الوافر والقسط الكبير في هذه الدراسات أمثال **الحلاج**، و**رابعة العدوية** و**الغزالي** و**الهروي** و**الجيلاني** و**ابن عربي** و**ابن فارض** وغيرهم من مشاهير الصوفية .
المدرسة الألمانية في التصوف يتزعمها المستشرق **جولد زيهر**، وهي تحاول الكشف عن مصدر التصوف في تاريخ الفكر الإسلامي وحصر ما دخل فيه من مؤثرات بسبب اتصال العرب بوثنيات الهند وفارس، ثم اليهود والنصارى ، و**جولد زيهر** له مصنفات مشهورة في الإسلام ، وله في التصوف رسالة **الحسين بن منصور الحلاج**، ودراسة في الزهد الصوفي وعن الصوفية ، ويقال عنه أنه متحامل كثيرا على المسلمين. ²

اهتم **جولد زيهر** بالتصوف وقدم بعض الدراسات ترجمها **عبد الرحمن بدوي** ومباحث صغيرة جاءت في **ترجمات عبد الهادي أبوريدة** .

¹ عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي في الشعر المغاربي المعاصر، مجلة التبيين، فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية المحاظية، العدد 37 ، السنة 2012، ص 277.

² بشير حلطى، حقيقة التصوف بين التأصيل و التأثير، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2012 ، ص 45 .

أجّه بعض الدارسين الى وضع مؤلفات عدّة من التراث الروحي في الإسلام، ولقوا باللائمة عليهم إذا أنهم قد اهتموا بالتصوف مثلاً الداعي الى الزهد وإلى الخلوّة وهذه نظرة حقيقية فالتراث الصوفي في تراثنا وهو فرع من تاريخ الآداب العالمية، ونظن أن تجاهله أو التعالي عليه، وإهماله يُفقد الأدب العربي والإسلامي رافداً كبيراً ومهماً من روافده المعطاءة.

ولكي نأصل فعلاً لهذا النموذج الفني والنزعة الصوفية وعلاقتها بالتجربة الشعرية القديمة الممثلة في الشعر الجاهلي، المنتج الفني الهام ذو المرجعية الجمالية التي كان لها الأثر البالغ في المنتج الأدبي في عصرنا هذا و"لاشكّ أن النصّ الشعري العربي القديم لا يخلو من أثر للنزعة الروحية"¹ والتي هي لبّ النزعة الصوفية ومن ثمة هناك نقاط يتلاقى فيها الشعر الجاهلي والتجربة الصوفية الغربية و"أي قراءة متأنية للشعر الصوفي تحيلنا على بعض عناصر الالتقاء بينه وبين الشعر الجاهلي، إذ يقف الشاعر على كثير من الموضوعات التقليدية للشعر الجاهلي ماثلة في الشعر الصوفي وهي في مجملها تتعلق بالجوانب النفسية للمبدع كالتفجع على الزمن المنصرم الذي يشكل الموضوع المركزي في الشعر الجاهلي."²

والأمثلة في الأغراض الشعرية المتقاطعة بين الشعر الجاهلي والصوفي عديدة منها غرض الحنين والرحلة، وموضوعات عديدة منها الفراق والبعد والمهجران... وغيرها.

الميل الإستشراقي للشعر الصوفي لم يكن صدفة، وإنما كان امتداداً للشعر الجاهلي الذي كان أصل التأثير والتأثير محل دراسات المستشرقين الألمان فهذه الروابط الفنيّة و الموضوعاتية بينهما دعت إلى اهتمام هؤلاء بالشعر الصوفي والانصراف إلى التأثير به ولقد جاءت جهود بعض المستشرقين الألمان في دائرة التصوف من أفضل ما كتب إذ أنّ معظمهم أجاد عدة لغات، بجانب العربية كالفارسية والأردية وبعض لغات الهنود والتركية وبعض لغات

¹ سعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 2، ديسمبر، 2008، ص 9.

² المرجع نفسه، ص 53.

الأقليات الاسلامية في ربوع الأرض مع إحداتهم للغات القديمة ومعظم اللغات الحديثة الحية مما جعل نظراتهم في الأدب المقارنة تبدو أشمل وأكثر عمقا .

وفضلا عن تأثر الشعر الصوفي بالجاهلي "نسخ الشاعر الصوفي قصائده على منوال الشعراء العذريين أفراد وأشعارهم مستخدما لغة الحب ورموز الحيين بالطريقة نفسها التي يستخدمها شعراء بني عذرة في تغزلهم بمحبوباتهم بحيث لا نستطيع التمييز بين ما يتغنى فيه الشاعر الغزالي بالحب الإنساني وما يتغنى فيه الشاعر الصوفي بالحب الإلهي، وقد فضلوا مذهب العذريين لأنهم وجدوا فيه الوسيلة المثلى التي من خلالها يمكنهم التعبير عن أشواقهم وأحوالهم ولأنهم يقدسون الحب أيضا".¹

تطورت الدراسات الاستشراقية عن التصوف والشعر الصوفي العربي وتشير أغلب المصادر التاريخية والدراسات عن الاستشراق أن القرن التاسع عشر هو ذروة التطور لنشاط الاستشراق ففي هذه الحقبة بدأت أوروبا مرحلة جديدة متمثلة بتطلع الغرب نحو الشرق ، حيث قاموا بالرحلات الاستكشافية ، وتحركت عجلة الترجمة والطبع وكان "أول كتاب عن الصوفية وقد كتب بخط العالم الألماني طوطوك وقد نشر عام 1861م بعنوان (التصوف أو الفلسفة وحدة الوجود الفارسي) ، وتلاه كتاب آخر له بعنوان (باقة زهور من تصوف الشرق) ، ولعل أهم جهد ظهر في هذه المرة يتمثل المؤلفان بالمر وكتابه (التصوف في المشرق) سنة 1867 م ، فقد أكد فيه أن التصوف هو نتاج تطور الدين الأول لدى الجنس الآري ".²

توالت الدراسات الاستشراقية الألمانية في هذا الفن الروحي ، حيث ظهر كل من هارتمان و هورتن كمهتمين بالتصوف والشعر الصوفي العربي حيث قالوا : "أنّ الفيدانتا البراهمية هي أصل التصوف في الإسلام جاءت الى المسلمين من الهند عن طريق الفرس ، وقد لعبت هذه النظرية دورا خطيرا في الفلسفات اليونانية والنصرانية وفي التصوف الإسلامي خاصة ، حيث ظهرت في فكرة إلغاء التمايز ومحو الإشارة عند الأصول والتي

¹ محمد عباسة، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مرجع سابق، ص 9.

² زهير يوسف الحيدري العلوي، جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف، مجلة أوروبك للأبحاث الإنسانية، المجلد 3، العدد 3، 2010، ص 52

قاد لواءها الحسين بن منصور الحلاج بقوله: " حصول الاستعداد في تلك الصور المساواة لقبول فيض التجلي الدائم لم يزال ولا يزال وما يبقى إلا القابل لا يكون إلا ن فيض الأقداس".¹

انطلقت الأعمال الترجمة من إلى اللغة الألمانية للنصوص الشعرية الصوفية مركزين ومتأثرين في نفس الوقت باللمسة الروحية التي ميزت الشعر الصوفي العربي وشغوفين إلى تلمس هذا الإحساس والتقرب منه ومعرفة ماهية وأسراره .

ومن بين المستشرقين الألمان الذين ساهموا في هذا العمل الترجمي المستشرق هامر الذي "بفضل إجادته للغات الشرقية نقل للقارئ الألماني عن العربية والتركية والفارسية نصوصا ساهمت في التعرف على التصوف الإسلامي ، فنشر لأبي حامد الغزالي رسالة (أيها الولد) ، وترجم (التائية) لابن الفارض ... ورغم نقد المستشرقين لترجمات هامر نقدا عنيفا جعل نيكلسون على سبيل المثال يرى أن من سوء حظ ديوان ابن الفارض أنّ هامر هو من ترجمه ، إلا أن أعمال هامر مهّدت السبيل لكثير من الدارسين للتعرف على روحانية الإسلام ... والتأثر به في صياغة أشعارهم التي غلبت عليها الروح الشرقية ، ومن شهد بالفضل هامر الأديب الألماني جوته فقد مدحه وأثنى عليه أكثر من مرّة كونه السبب الرئيس في اطلاع جوته على كنوز الشرق .. وأعجب كذلك بروكرت الذي أفاد منه فيما بعد في أعماله وترجماتها التي قدمها للجمهور الألماني".²

ولم يكن الأثر الصوفي وشعره وروحانيته تمتد من الشرق إلى الغرب فقط بل امتدت في الغرب وعلى محيط المستشرقين الألمان أنفسهم حيث تأثر جملة منهم ببعضهم البعض وعرف بعضهم الآخر بالشعر الصوفي العربي وبشعراء متصوفة عرب ، حيث تأثر جوته ب هامر و روكرت كما أثر هذا الأخير وفتح الباب أمام المستشركة شميل وعرفها بالتصوف وكان دليلها وهاديها إلى هذا الدرب .

¹ بشير جلطي، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، مرجع سابق، ص 56 ، 57.

² خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 32، 33.

اهتمت أنا ماري شمیل بالإشعار الشرقية التي ترجمها روكرت الى الألمانية وبمناسبة مرور 175 عاما على ميلاد الشاعر اعتنت بهذه الإشعار وأصدرته في كتاب في دار "كارل شينان" بمدينة برلين عام 1963م ، وقدمت للكتاب مقدمة ضافية ، وبعد ثلاثة أعوام خصت شمیل في يناير 1966م ، في مجلة فكر وفن روكرت بدراسة حملت عنوان (ورقة من تاريخ الاستشراق في ألمانيا) ، وفي يناير 1988م ، احتفت به مرة أخرى في هذه المجلة وكتبت عنه ورقة بعنوان (مرور مائتي عام ميلاد أب الاستشراق الألماني).¹

هذا التأثير العرضي الذي دفع مستشرقين ألمان أكثر من الاهتمام بالشعر الصوفي العربي والإسلامي والاهتمام به أكثر ، بنفس منهجية الأدب العربي كله ، مما ساهم في إثراء الدرس الصوفي العربي واكتشافه بشكل أكبر وبصورة واضحة لدى الآخر .

ومن المستشرقين الألمان الذين ساهموا وبالشكل الملفت في دراسة للتصوف نذكر هنا هورتن الذي كتب (نصوص صوفية في الإسلام) ، وهذا الكتاب في أصلية ثلاث قصائد لابن عربي ترجمها من العربية وشرحها ، وله أيضا (المذهب الفلسفي للشيرازي) ، وهناك أعمال أخرى قامت بترجمة بعض القصائد الصوفية منها ما كتبه ماكس مايرهف وكتابه (في الصوفية الفارسية والتركية) ، وجورج جاكوب وكتابه في الوحدة الصوفية عام 1922م.

وما كتبه هلموت ريتز "الذي ظهرت له ترجمة ممتازة للنشيد الأول من القصيدة الصوفية لجلال الدين الرومي وكذلك كلمات ليزيد البسطامي ، ولعل أهم أعمال ريتز هو كتابه الصوفي (بحر الروح الإنسان والدنيا والله) في حكايات فريد الدين العطار عام 1955 ذلك الكتاب الذي يعد بحق معينا لا ينضب للأفكار الصوفية.²

¹ خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق ، ص 33.

² بارت رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية والمستشرقين الألمان منذ تيودور نولدكه، الترجمة : مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة، القاهرة، 1967، ص47.

كان فريدريش روكرت الشاعر الألماني الذي تأثر بالشعر الصوفي العربي والفارسي ، حيث تعرف على أسرار اللغة العربية وترجم الأشعار ارتجلا في شكل منظوم ، وكان شاعرا أقرب منه إلى روح الشرق، لأنه متبحرا في اللغات الشرقية وكان له الاستعداد الفائق التعبير عن المفاهيم والمعاني ، وكانت قصائده التي نشرها تحت اسم التصوف الإسلامي مستوحاة من تراجم هامر و بروجستال ، وصف الشعر العربي والفارسي بأهمها معشوقته الجميلتان.

درس لويس ماسينيون التصوف الإسلامي وتخصص في دراسته للحلاج وكانت له رؤية خاصة ومنهج يعتمد، حيث كان يحاول دائما إرجاع التصوف الإسلامي إما لأصول مسحية أو لديانات شرقية وضعية وقديمة هذا التوجه في التصوف لم يرى المستشرقين الألمان ومنهم هارتمان الذي انتقد وبشدة ماسينيون وعلى صورة ملاحظتين الأولى " على التأويل المسيحي الذي يرفض التأويل الإسلامي السني انطلاقا من فهم أنه لا يمكن الكلام عن الاتحاد وميتافيزيقيا ، وهي الفكرة ذاتها التي تناولت التصوف عند العرب والمسلمين فيما بعد من قبل أصحاب وحدة الوجود ... أما الطرف الأخر للمستوى المضموني ، فهو التأويل لاسني الإسلامي وهو ما يعيبه ماركس هورتن على محاولة ماسينيون، ويتعلق برفض التأويل المسيحي، عبر سؤال هورتن الجوهرية كيف أمكن أن يقرأ الحلاج بصفته مفكر إذا نزع ريبوية ومتصوفا "1

الثانية : كانت من المستشرق هورتن من جهتين :

أ- عرض فكر الحلاج وفق منهج الفلاسفة والمتكلمين حيث الانطلاق من الفرضيات بشكل مختلف، فالفلاسفة من أمثال ابن سينا والفارابي مثلا ينطلقون من فرضيات أساسية ذات نزعة ريبوية، بينما العلاقة بين الله والعالم عند الحلاج تختلف كصوفي .

¹ قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة (التفسير الطواسين ...) دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002 ، ص

ب- محاولة ماسينيون تأسيس قراءة تعتمد على منهج الاستبطان والتعاطف ، الامر الذي يبرر لنا ذلك السحر الذي تتحلى به مؤلفات ماسينيون ، لأنها تابعة من عمق التجربة الشخصية ، وتكرار التجربة ، ويقترح هورتن المنهجية النسقية التصورية كبديل يميز النظريات ، ويرى أن المنهج العلمي الوحيد الممكن هو المنهج الذي ينظم المضمون تنظيمًا منطقيًا .¹

فكان نقد الألمان هارتمان و هورت" عن تلك الرؤية الضيقة لماسينيون حول الفكر الصوفي والشعراء المتصوفة وخاصة الحلاج ، وخاصة فكرته حول أنّ الحلاج في تصوفه لا يمكن أن يحمل الطابع الإسلامي السنيّ والمسيحي في نفس الوقت ، وذلك لاختلاف الفكرتين والمعتقدين إضافة الى نسبته في التأثير بالنظريات كالميتافيزيقا فهنا نلاحظ الاختلاف في المنهج الإستشراقي بين المدرسة الفرنسية والألمانية في قراءة علوم الشرف عامة ، والشعر الصوفي والتصوف خاصة .

هلموت ريتير من المستشرقين الألمان البارزين في دراسة التصوف والشعر الصوفي العربي حيث " كان مهتماً بالتعاليم الصوفية خاصة الى جانب تحقيق الكتب ونشر كتابا كبير بالألمانية عن أفكار فريد الدين العطار"² وكتابه هذا يسمى " بحر الروح " الذي يقول عنه رضوان السيد: "أراد به منافسة حلاج ماسينيون دون أن ينجح في ذلك".³

كتب ريتير في هذا الكتاب (بحر النفس) يقول : " لم يعد توقف وجود الفرد نهاية تهدده ، أو بوابة تفضي به الى مصير غيبي مجهول ، نتطلع إليه وفرائضها ترتعد، كما أنه لم يعد جسرا يحقق لنا أن نشهد محيا الرب

¹ ينظر، قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة (التفسير الطواسين ...)، مرجع سابق، ص 22، 23.

² حامد ناصر عبود الظالمي، المستشرق ه ريتير ومقدمته عن أحوال البيان العربي، مرجع سابق ، ص 124.

³ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 47 .

المعشوق، إنما هو الانفتاح والانطفاء في قاع الوجود ذاته وهو تلاشي القطرة في بحر ما وراء الدنيا الذي نشأت عنه ومنه جاءت ، وفيه تظل أبدا باعتبارها فريدة مطرودة ومحتفظة لها في آن واحد : ضائعة مختفية ومؤتمنة عليها¹.
تأثر بالبلاغة العربية وبكتاب " أسرار البلاغة للجرجاني " واعتمد الأساليب البلاغية التي استفاد في معرفتها ، ومن خلال تحقيقه هذا الكتاب أطلع على أسراره وحاول تطبيق الأسرار البلاغية على الأشعار العربية و منها الأشعار الصوفية التي تميزت - كما سبق الذكر- بميزات الشعر العربي القديم ، ونسج الشعراء المتصوفة أشعارهم على منوال القصائد القديمة التي كانت ملهمتهم ، خاصة الغزلية و المدحية منها في شخص الرسول -صلى الله عليه وسلم - واقتفى هؤلاء المتصوفة آثار الشعراء الإسلاميين في الحب الإلهي وحب الرسول-صلى الله عليه وسلم - و التدبر في الآيات القرآنية والتمتع بالأسرار البلاغية الموجودة فيها إضافة الى المجاز والاستعارة والتشبيه ... وغيرها .

كتب ريتز عدة مقالات عن المتصوفة الأوائل كالحسن البصري واليزيد البسطامي وعبد الكريم الجيلي وأبو حامد الغزالي وأبو سعيد بن أبي الخير في مجلة الإسلام الصادرة بالألمانية ، كما كتب بعض الدراسات على الأفكار الصوفية من مثل (الفتوة) في الأعوام بين 1920-1924م.²
في أقصى الغرب البروسي (ألمانيا) وفي التحديد في مدينة كولونيا ، ولد إيكهارت تول عام " 1260م ، مبتدئا حياته الدينية واعظا ضمن جماعة الدومينيكان التي انتشرت في أوروبا في بداية القرن الثالث عشر ، وما أن أئنع عوده حتى راحت أفكاره الصوفية وآراؤه الفلسفية تصدح في الدوائر الدينية ، حتى عُدد من أهم المفكرين الذين تركوا بصمة واضحة في الأجيال اللاحقة في مجال التصوف وحب المتصوفة والشعر الصوفي الروحاني .

¹ خالد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق ، ص 41.

² المرجع نفسه ، ص 42.

كان المستشرق إيكهارت يشترك مع الحلاج في المكانة المرموقة التي حازها في الوسط الذي منه بُنت أفكارهما في عالم التصوف ، والمعارضة الشديدة التي جوبهت به أفكارهما فالحلاج كان قد اقتحم المعقل الرئيس لما يعرف بالتصوف المعتدل ، ذلك التصوف الذي اتسمت به مدرسة بغداد بزعامة الجنيد البغدادي ... فضلا عن المركز الذي بالإمكان أن يناله هذا الشاب الوافد من الشرق ، وبالتالي إزاحة باقي رواد هذه المدرسة ... فذات الشيء كان يقال عن إيكهارت حيث لم يكن فيلسوفا نسقيا أو مذهبيا ولم يفكر أبدا تفكيراً نسقياً من خلال الأفكار والجمل التي وحدها عند المؤلفين مختلفين ، وهذا ما ينعكس على الطرح الصوفي لكلا الشخصين من الجهة البساطة التي يعالج فيها الإثنان علاقة الإنسان بالله.¹

كان العطاء الصوفي لإيكهارت منمق بالإنتاج الإبداعي الذي قدمه في عالم التصوف ، وقد أصبح فيما بعد الملهم الأكبر للمتصوف الذي جاءوا بعده ، وذلك نظراً للأطروحات الجديدة التي قدمها ، فالتجربة الصوفية العميقة التي عبّر عنها من خلال أقواله وأفعاله التي تنطلق بالحياة الصوفية هي ليست تجربة عقلية وإنما تجربة روحية بكل معنى الكلمة والتي أعادت الإنسان إلى طبيعته .

لعلنا نصل إلى أبرز المستشرقين في التصوف الإسلامي والعربي وهي المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل التي تعدّ من تلك الأسماء التي تعاملت مع التراث الإسلامي والعربي بجدية ومصداقية ، وخصوصاً في زاوية بحثها في التصوف الذي تأثرت به كثيراً ودعت من خلاله إلى الحوار بين الديانات والحضارات.

لا ينكر أحد فضل آنا ماري شميل في دراسة التصوف والتراث الروحي للإسلام وعلاقته بالمسيحية وتقديم الأدب وتقديم الأدب الإسلامي بلغاته إلى القارئ الأوروبي مع تقديم شرح وتبسيط لأعمق معاني التصوف

¹ ينظر، فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ومحمود السيد أحمد تقديم : إمام عبد الفتاح إمام المركز القومي للنشر والترجمة، القاهرة، المجلد 3 ، ط 1، 2013، ص 268.

في سهولة ويسر ولعلها قد نجحت في ذلك من خلال المقاربات المستمرة التي تعقدها بين الإرث الروحي الإسلامي والإرث الروحي المسيحي الغربي.¹

تعلمت اللغة العربية و أتقنتها وتقلدت بذلك كراسي عدّة لقد ريسها في جامعات أوروبية وأمريكية و آسيوية وبذلك ساهمت في التعريف باللسان العربي عبر أقطار العالم شرقه وغربه ، كما كانت لها بحوث عدّة في مجال التصوف الإسلامي ومؤلفات ساهمت بما يثراء الدرس الصوفي العربي لعل أشهرها مؤلف الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف " ، كما ساهمت بتعليم الدبلوماسيين الألماني ، وكانت محررة نشيطة في مجلة (فكر وفن) هذه المجلة التي كانت تنشر باللغة العربية كما ساهمت أيضا في شرح بعض المفردات والعبارات وإعطائها مفهومها ومدلولها الصحيح الذي يؤدي المعنى الحقيقي لها ، وخاصة في الشعر الصوفي الذي يستعمل فيه الشاعر الصوفي مفردات روحانية تجسد إحساسية باعتباره مرید قبل أن يكون شاعرا، وهذا ما كشفت عن المستشرقة الألمانية .

قدمت عدّة تعريفات للتصوف التي تصبّ في وعاء واحد حيث عرّفته على أنه: " أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها " ² وكذلك على أنه : " إدراك الحقيقة المطلقة سواء سميت هذه الحقيقة " حكمة " أو " نور " أو " عشق " أو " عدم " ³ ، وكذلك قدمت تعريف آخر حيث تقول : " فالتصوف يمكن أن يُعرّف بأنه " حبّ المطلق " ، فبذلك الحبّ يميز التصوف الحقيقي عن طقوس الزهد الأخرى ، وحبّ الآلة يجعل المرید يتحمل كل الآلام والمصائب التي يتلوه الله بها ليختبر حبه ويظهره ، بل ويجعله يتلذذ بها ، وذلك الحبّ يمكن قلب المحب من الاتصال بالحضرة الإلهية ، كالصقر يحمل صيده بعيدا ، ويجعله يغيب عن حاضره " ⁴.

عشقها للغة العربية ، وحبّها الكبير للتصوف الإسلامي والشعراء المتصوفة العرب وغير العرب ، ولعلّ ابن عربي الملقب في الأوساط الصوفية بـ " الشيخ الأكبر " هو أوفر المتصوفة حظًا من هذه الدراسات ، فحسبنا

¹ أنا ماري شمیل، روعي أنثى، ترجمة: ميس فايدة، خان الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2016، ص7.

² أنا ماري شمیل، الأبعاد الصوفية في الإسلام تاريخ التصوف، مرجع سابق، ص 7.

³ المرجع نفسه، ص 7.

⁴ نفسه، ص 8 .

الإشارة إلى أن عكوف المستشرقين على ترجمة آثاره ودراسة تصوفه يعادل اهتمام الدارسين المسلمين والعرب به أو يزيد، مما حمل بعضهم على الحديث عن نهضة أكبرية في ذلك .

أقرت شميل بصعوبة تحليل أفكار الشاعر الصوفي ابن عربي ولا يمكن الوقوف عند تحليل شاف لاستعارة لأنه يمثل مذهب وحدة الوجود أو الوجدانية ، أفردت له جزء مهما في كتابها الأبعاد الصوفية في الإسلام " وقدمت مساره وحياته ومجموعة من أشعاره وحتى معجبيه أمثال الجامي حيث يقول فيه :

لو أن مؤلف " الفصوص " رأى شفتيك

لكتب مائة صف في حكمة المسيح¹

أكدت على وحدة الوجود " التي يمتاز بها شعر ابن العربي وهو مجسد في أشعاره من خلال أبيات له تقول :

ويعبدي وأعبده

فيحمدني واحمده

أساعده ، فأسعده

فأني بالغنى وأنا

فأعلمه فأوجده .²

لذلك الحق أوجدني

كانت شميل من أبرز المستشرقين الذين دعوا الى وحدة الأديان وحوار الحضارات ولابن عربي في وحدة الأديان مذهب لا يختلف كثيرا عن مذهب الحلاج ، وهي تأثرت بالاثنين ، وذهب الى أن العبادة هي أن ينظر العبد الى جميع الصّور على أنّها حقيقة الاله، غير أن وحدة الأديان عنده لها تأويلات ورموز ولا تغني خروجه عن الشريعة فهو يرى أن الصّوفي يجد الله في كل الأديان :

ترفقن لا تضغفى بالشحو أشحاني

ألا حمامات الأراكة والبان

¹ أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الاسلام تاريخ التصوف، مرجع سابق ، ص 299.

² المرجع نفسه، ص 301.

لقد صار قلبي قابلا كل صورة

فمرعى الغزلان ودير الرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف

ألواح نورة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب ألى توجعت

ركائبه فالحب ديني و إيماني¹

حاول محي الدين ابن عربي إقامة علاقة بين الخيال والشعر، فجعله السبيل الأنجح للسفر في عالم

الخيال الذي تنتقل فيه الحقائق المعنوية والتي تبقى بطبيعتها فوق الأشكال".²

تحدثت عن فكرة التسامح الديني والعقائدي التي نادى به ونادى بها ابن العربي في أشعاره التي

جسدت فكره وتوجهه حين ينشد في أبيات قائلا :

وجاءت من الشوق المبرح والجوى

ومن طرف البلوى إلى بأفنان

فمن لي بجمع والمحصب من مني

ومن لي بذات الأثل من لي بنعمان

تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة

لوجد وتبريح وتلثم أركاني

كما طاف خير الرسل بالكعبة التي

يقول دليل العقل فيها بنقصان .

صنّف ابن عربي كتبا كثيرة ما بن منظوم ومثور من أهمها " الفتوحات المكية " و " نصوص الحكم "

الذي مزج فيه التصوف بالفلسفة و "ترجمان الأشواق" وهو ديوان شعري جسّد فيه معاني الحب الإلهي ، ولجأ في

الكثير من مصنفاته إلى الرمز تجنبا لانتقادات الفقهاء ممن يستثقلون تأويل كلامه"³ ، فكلها من أشعار وقصائد

أثرت في المستشرقنة شميل وغيرها من المستشرقين الآخرين.

¹ محمد عباسة، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مرجع سابق ، ص 13.

² خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف، دار تو يقال ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2000 ، ص150.

³ محمد عباسة، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مرجع سابق ، ص 14.

ولم ينحصر تأثير ابن عربي بالغرب الى الحدّ فحسب ، بل قد اعترف بعض المستشرقين بأكثر من ذلك اعترفوا بتأثيره الواضح على نهضة الفكر الأوروبي وتطور معارفه في الأدب والفلسفة واللاهوت والتصوف وفي الإصلاح الديني.¹

نال ابن عربي حيزا كبيرا من مساحة الدراسات الاستشراقية الألمانية والأوروبية لما نال من الإعجاب بسبب كثرة مؤلفاته ، وتنوع أفكاره ، وقوة عباراته وألفاظه وطبيعة الإحساس الموجود فيها الذي أثر في العرب والغرب، لذلك تعددت الإشارات به قبل كبار المستشرقين .

كان لشميل آراء خاصة تعبّر عن نظرتها تجاه الصوفية والمتصوفة حيث عقبته على رأي المستشرق أ.هـ بالمر في كتابه (التصوف في المشرق الذي نشره عام 1868م)، ذكر أن التصوف هو نتاج تطور دين المغول لدى الجنس الآري ، فلم يكن لهذا الطرح أن يروقها واستهجنته لدى بعض العلماء الألمان ، وكذلك كان لها رأى حول التصوف الصيني وتوصلت إلى إمكانية إثبات ما إذا كان للشرق الأقصى له تأثير على الإسلام ، وقد كان عمر فروخ أول من أراد أن يثبت الآثار الطاوية عن البناء الفكري للعقيدة الطاوية ونظام ابن عربي ، وكذلك مسألة التأثير اليهودي في التصوف الإسلامي فلم يكن في رأيها إلا موسيقى شعبية ، حيث كانت لهم علاقة بمجموعات من الصوفية ، وكانوا ينشدون أشعار صوفية في لقاءاتهم فكلهما سائل حساسة وقفت فيها شميل مدافعة تارة ومصححة تارة أخرى ومذلة للمفهوم أحيين أخرى.²

لم تكن شميل لوحدها من اهتمت بابن عربي وأعماله - كما سبق الذكر - حيث اعترف بروكلمان بمكانة الشاعر الصوفي الكبيرة وغزارة إنتاجية الأدبي في مجال التصوف بقوله : " هو من أحصب المؤلفين عقلا و

¹ ابن عربي، لطائف الأسرار ، تحقيق : أحمد زكي عطية وطه عبد الباقي سرور، دار القلم العربي، 1961، مقدمة المحقق.

² ينظر، طالب جاسم حسن العنزي، المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من منظور الشرقي، دراسات استشراقية، العدد 1، 2014، ص 47 ، 58 ، 63.

أوسعهم خيالاً ، وإذا قيس بسواه من كبار الفلاسفة والمؤلفين في الإسلام كإبن سينا والغزالي ، فإنه يفوقهم جميعاً في هذا الميدان من ناحيتي لكمّ والتنوع معاً.¹

إنّ محي الدين ابن عربي وإن كان مفكراً ذا منهج مختلف ، فإنه كذلك كان شاعرًا مختلفًا وتظهر أهمية الشعر عنده في تصديره بالشعر أغلب ما يكتبه خاصة في الفتوحات المكية وكأنه يجد ملاذّه ومتعته وافقه الخيالي في الشعر الذي وصل إلى العربي والمسلم والأوروبي وأثر فيهم التأثير البالغ .

لم يكن ابن عربي وحده من أثر في شميل بل معاصره ابن الفارض نال من اهتمامها القسط المناسب والاهتمام اللائق ، واعتبرته شخصية مرموقة وشاعر صوفي له مكانته وما يميز أشعاره من حيث تأثره بالأدب العربي القديم ، وانعكاس بعض القوالب الفنية في أشعاره الصوفية ، حيث تقول شميل : " وقد صبّ ابن الفارض خبراته الصوفية في قليل من الإشعار العربية رائعة الجمال على غرار أساليب الشعر العربي الكلاسيكي ، إلا أنه لم يكتب نثراً.²

كما أقرت بصعوبة أشعار ابن الفارض وجود صياغتها ، فلا يمكن لأحد أن يقرئها إلا إذا كان متمرسًا دراسًا ملتمًا بهذا المجال ، فهي تقول : "ومن قرأ فأشعار عربية خالصة ، شكلا ومضمونًا ، وحي توحى بهجة العرب بالتلاعب بالألفاظ والاشتقاقات وأساليب التصغير ، وتعبّر عن حب الاطلاق تعبيراً صورته مأخوذة من تقاليد ما قبل الإسلام ، ويخاطب فيها الحبوب بأسمائه المؤنثة مأخوذة من الشعر العربي القديم ، مثل ليلي وسلمى".³

فهي جملة من الخصائص الفنية والإبداعية ذات الغموض والسلالة في نفس الوقت ذات عبارات موحية مستنبطة من تراث عربي قديم ، يستعمل عبارات و أسماء عربية خالصة ، ارتأتها شميل انعكاسًا وامتداداً للشعر

¹ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق ، ص 441 .

² آنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص 308 ، 309.

³ المرجع نفسه، ص309.

القديم ، وهذا أبرز ما ميز شعر ابن الفارض وهذا ما جذب اهتمامها واهتمام مستشرقين آخرين ، وجدوا في أشعاره الصوفية مزيج صعب النسيج ، معقد الرّصف ، سهل الفهم والوصول إلى المغزى ، كلها ميزات جعلت منه الشاعر الصوفي المقلد المجدد.

وتذكر شمائل أن فون هامر قد أقدم على ترجمة (التائية) أكبر قصائد ابن الفارض لكن الترجمة لم تكن قد أصابت المعنى الحقيقي لأن شعر ابن الفارض – كما ذكرنا – سهل ممتنع ، وهذا ما أغضب نيكلسون ورفض هذه الترجمة .

وهناك قصيدتان من ديوان ابن الفارض قد أصبحتا لهما شهرة خاصة منها قصيدة الخمرية التي تصف

تخمر الحب الإلهي الذي بفعل المعجزات حيث يقول :

ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت	ولم يبق منها في الحقيقة ولا إسم
وإن خطرت يوماً على خاطر امرئ	أقامت به الأفراح وارتحل هم
ولو نظر الندمان ختم إنائها	لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها	وفي الغرب مزكوم لعادله الشم
ولو جلّيت سرا على أكمه غدا	بصيرا ومن رواقها تسمع الصم ¹

زيادة على تأثر الشاعر بالشعر العربي الكلاسيكي في ألفاظه ونسيجه نجد هنا متأثراً بأغراضه أيضاً وموظفها في التصوف ، فهو متأثر بالشاعر الخمري أبو نواس، لكنه طرح ذلك في حبّ الإله ، وشبهه بالمختمر في حضرته.

¹ أنا ماري شمائل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص 310.

وقصيدته " الجيمية " المستوحاة من رومانسية الشعر الكلاسيكي العربي ، مفعمة بالإبداع البلاغي واللغوي ومن ذلك نموذج أبيات حيث يقول فيها :

تراه إن غاب عني كل جارحة	في كل معنى يطف رائق بهج
في نعمة العود والناي الرخيم إذا	تألّفا بين ألحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الحمائل في برد	الأصائل والإصباح في البلج
لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي	وخاطري أين كنا غير منزعج
فالدار داري وحي حاضر ومتى	بدا فمنزعج الجرعاء منزعجي ¹

أبيات عكست وفاء الشاعر لأصل وميوله وحبّه وتأثره بالشعر القديم ، محاولاً الحفاظ على قالب الكلاسيكي في ظل اختلاف المقام والغرض ، وعليه فقد جمع ابن الفارض في تصوفه بين ثلاثة هي :

➤ الشعاعية ذات الحسن الدقيق والشعور الرقيق (الرومانسية الكلاسيكية) .

➤ الصوفية ذات الحركة والتذوق الفني الرّاقى الصّعب والمعقد .

➤ " المحبّة ذات العواطف الشرقية والانفعالات العفيفة تستبد بها النزعة الروحية" .²

لم يكن ابن الفارض شاعراً صوفياً عادياً في كتاباته الشعرية على الرغم من أنّه " لم يدل لنا آثار مكتوبة

غير ديوانه الشعري الذي ينظر إليه أهل الأدب على أنه كغيره من دواوين الشعر الغزلي البشري ، وينظر إليه أهل التصوف على أنه ديوان شعر صوفي نظمه صاحبه في الحبّ الإلهي " .³

اعتبرت شمائل ابن الفارض الشاعر الصوفي الثابت في أشعاره، "فهو يبقى كحاله في جميع شعره وفيها

للغة التصوف الرمزية في إسلام القرون الوسطى ، كان شعره يفهم دائماً على أنه شاهداً على التفسير القائم على

¹ أنا ماري شمائل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق، ص 310 .

² مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية ، دار الكتاب العربي، دمشق ، سوريا، ط1، 1997، ص 129 .

³ المرجع نفسه، ص 129 .

وحدة الوجود في الإسلام ، غير أننا علينا ألا ننسى أنّ الشعر لا يمكن مساواته بالنقاشات النظرية حول المسائل العقيدية .. وعلاقة حبّه لله المكني عنها بالصور الجميلة لليلى وسلمى وإمّا هي علاقة شخصية ، وإن روح هذا الصوفي الذي يرمي بإرادته الشخصية وراء ظهره تصل الى توحيدها بإرادة الله ، فتكون كما قال نيكلسون محبوبة لله¹.

ترك ابن الفارض إرثاً شعرياً في التصوف وديوناً مشهوراً " الثائية الكبرى " التي تحتوي على 762 بيتاً وأخري ميمية ، ويوجد لهذا الديوان نسخاً كثيرة منها، "ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع ، وبعضها نصوص لما نظمه الشاعر من قصائد لا شرح لها ولا تعليق عليها ، وبعضها الآخر نصوص شعرية مشفوعة بشرح لغوية خالصة حيناً أو صوفية بحثية حيناً آخر ، أو مزاج بين الشرحين اللغوي والصوفي حيناً آخر"².

لا ننسى الحسين بن منصور الحلاج الشاعر العراقي العباسي من أعلام التصوف في العالم العربي والإسلامي تأثر به مستشرقون كثر ممن اهتموا بمجال التصوف وبالأخص شميل "اهتمت بالحلاج وجعلته ابناً للبيئة العربية بكتابتها الخالد (القران)، فهناك من رأى الحلاج ابناً للمسيحية"³ ، وحاولت أن تكون لها دراسة متميزة عن أشعاره وأعماله الصوفيّة في مقابل الدراسات الاستشراقية التي درسته أمثال لويس ماسينيون الذي اعتبره من الشخصيات القلقة في الإسلام وكان رأيها عكس ذلك.

سمّته في إحدى مؤلفاتها (شهيد الحبّ الصوفي) وتأثرت بعبارة كان قد قالها الحلاج عندما طرق باب الجنيد وسأله من الباب؟ فقال : " أنا الحقّ " واعتبرتها أشهر عبارة في الصوفية ، ولم فيها من تأمل وإحساس يستوقف القارئ والمتدبّر ، كما تحدث عن انصرافه لمشاكل السياسة موازاً مع حبّه الصوفي ، ولعل أهم أعماله في هذا المجال كتاب " الطّواسين " .

¹ أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام ، مرجع سابق، ص 313.

² محمد مصطفى حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1971، ص 87.

³ خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، مرجع سابق، ص 72.

دافعت عنه بشراسة خاصة في مسألة عدم إيمانه وتوحيده حين تقول : " ومن بين الأحاديث التي أقرّ بها الحلاج كان قوله : " إن الله لم يخلق أحبّ إليه من محمد وأله " ، ولو كان هنالك شك في أن الحلاج كان مسلماً صالحاً ، فما على المرء وصفه لمحمد في " طاسين السراج " في كتابه (الطواسين)¹ ، واستدلّت عن هذا الكلام والإقرار الصّرخ عن إسلامه واستقامته في حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، بأبيات له يمدح فيها سيد الخلق حين يقول :

أنوار النبوة من نوره برزت ،

وأنوارهم من نوره ظهرت ...

همته سبقت كل الهمم ، ...

ووجوده سبق العدم ،

واسمه سبق القلم ،

قبل أن يخلق القلم ،

لأنه كان قبل الأمم ،²

فهي بهذه الأبيات تؤكد حبّ الحلاج للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتنفي في نفس الوقت كل ما راج عنه من اتهامات من العرب والمستشرقين الذين درسوه .

تقول شمّيل: "يعتبر شعر الحلاج تعبيراً رقيقاً قوياً عن الشوق الصوفي ، فلغته غير متدنية ، وكانت أحبّ

الرموز إليه كأس الخمر والهلال ، وكأس السعادة الصوفية المسكر ، والمرأة العذراء ، وطائر الروح ، وما شابه ذلك ،

¹ أنا ماري شمّيل ، الأبعاد الصوفية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 82 .

² المرجع نفسه ، ص 82 .

وأحياناً كان يتلاعب بالمعاني المبهمة لحروف الهجاء ... وكذلك كانت كل أشعاره مليئة بالمعاني العقائدية و الصوفية العميقة ، لكن روعتها الشديدة تجعل المرء يستمتع بها ، لكونها أشعار عربية بديعة ... وهي إبداع دقيق مزوج بكثير من التغمات تحدث صدى عجيبيًا في قلب قارئها .¹

كلها ميزات موجودة في شعر الحلاج وقصائده الرائعة وكشفت عنها وعددها شميلي وهاهي تثبت مرة أخرى توحيدة وانضباطه الديني حين تقول و تستدل بأبيات من شعره : " ويمكن أن نفهم من هذه الأشعار ما كان يقصده الحلاج حين يقول إن الله موجود في كل شيء حتى لو لم يره الناس :

وأي الأرض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهراً وهم لا يبصرون من العماء .²

كان لشميل كتاب بعنوان (روجي أنثى) تحدثت فيه على المتصوفة من جنس النساء اللواتي أترن في الغرب عمومًا ، وأفردت فعلاً كاملاً في كتابها هذا العنوان (النساء في التصوف) و أول من بدأت بهنّ هي المتصوفة رابعة العدوية التي وهبت نفسها وروحها وقلبها في آفاق الحبّ الصوفي .

تحدثت عن نشأتها في البصرة ، وأهم محطاتها وبداياتها في الزهد ، وما نسب إليها من كرامات حيث تقول عنها : " نسج حول رابعة البصرية الأمة المعتوقة ما لا يعد من النوادر ويبدو أن البصرة في البداية كانت موطناً لكثير من الزهاد .. ونُسب إلى رابعة الكثير من الكرامات ، منها أن أصابعها كانت تنير ليلاً كالمصابيح ، وأن الكعبة أتت إليها سعيًا أثناء أدائها لفريضة الحج".³

¹ أنا ماري شميلي، الأبعاد الصوفية في الإسلام، مرجع سابق ، ص 83 .

² المرجع نفسه، ص 83 ، 84.

³ أنا ماري شميلي، روجي أنثى، مرجع سابق، ص 64 ، 65.

كما ذكرت شمائل شخصيات صوفية أنثوية أخرى مثل أم حرام ، أم قصر ، ومريم البصرية ، وقد كانت مريم البصرية خادمة رابعة ، ما أرو عرفت الحبّ الإلهي حتى سقطت فيه خائرة قواها ، وفي إحدى حلقات الذكر توفيت فجأة من الحبّ، فلله إماء كالمطر إن تساقط على الأرض فما الحبّ ، وان تساقط في البحر أضحي لؤلؤًا¹ ، وكذلك بحرية الموصلية وريحانة الوالهة ، كلها شخصيات وسيدات تغنين بالشعر الصوفي واتسمن بحبهنّ المتدفق ، وقدمنّ أشعارًا صوفية و هن سيدات ورعات مجهولات وورد ذكرهن كثيرًا في الأدب² ، وهذا نموذج من أبيات بعض ما قلن في الحبّ الإلهي :

هو الحبيب الذي لا يعادله حبيبا .

هو وحدة من خطف قلبي

هو الغائب عن نظري وجسدي

إلا أنه لم يغيب دوما عن قلبي³ .

كانت ترى أنّ السيدات الورعات قد بلغن مكانة كبيرة في التصوف والنماذج كثيرة وعديدة .

عرف عن شمائل أنّها من أكثر المستشرقين الألمان دراية بالإسلام والمتصوفة فضلا عن كونها قد ساهمت دون مبالغة في حدوث نقلة نوعية في مدرسة الإستشراق الألمانية خاصة في التطلع الى التصوف كجسر بين الأديان والحضارات ، فحياتها الزاخرة بالكتب والمقالات والترجمات ، يكشف عن نشاط لا ينتمي الى عالمها الغربي فكانت استثناء من بين المستشرقين بأنّها لم تقرأ عن الشرق فحسب، بل قرأت وتأثرت واندجحت في ثقافة الشرق .

¹ أنا ماري شمائل، روعي أنثى، مرجع سابق ، ص 68.

² المرجع نفسه، ص 69.

³ نفسه، ص 69.

كانت أنا ماري شمیل كما يرى أحد الألمان وكما يستشعر القارئ العربي تنظر إلى للشرق من منظور متحمّس ، بعين المحبّ الهائم ، الذي يعيش تاريخاً يفارقه الواقع أحياناً وبيتعد عنه أحياناً وينتقي وينتخب منه ما أراد لكن نظرهما هذه لم تمنعها عن التعاطي مع الأمور بمنهجية علمية.¹

ومن بين المستشرقين الألمان المعاصرين هانيس هالم الذي درس العلوم الاسلامية واهتم بالتصوف وشعراء الصوفية ، فكانت له أعمال ودراسات وتحقيق لبعض المسائل التاريخية الاسلامية العربية ، وركز على أصل الفكر الصوفي في كتابه (الغنوصية في الإسلام) الذي نشر عام 1982 م ، ومن أبرز ملاحظاته حين يقول: "إن كثيراً من الباحثين الشيعة توصلوا إلى أن التشيع في حقيقته ليس إلا مظهر الخارجي للتصوف".²

ركز هالم على منطقة العراق من المنطقة العربية واهتم بالأشعار الصوفية العربية المتأثرة بالصوفية الفارسية وحاول الكشف عن العلاقات الموجودة بينها و القاسم المشترك بينهما بحكم العلاقة الجغرافية .

إذا عدنا إلى المستشرقين الألمان الذي سبق ذكرهم في هذا البحث الذي اهتموا وتأثروا بالشعر الصوفي العربي والشخصيات الصوفية المشهورة نلاح أن منهم صنف تأثر بشخصيات قلقة في التصوف العربي على سبيل الحلاج ، وصنف حاول حقا أن يستظهر الشعر الصوفي العربي وقيمته الفنية وعلاقة بالشعر العربي الكلاسيكي ويكشف عن الجانب الروحي والبلاغي الذي أثر في الغرب برمته كابن العربي، وابن الفارض وهذا ما حاولت أن تكشف عنه أنا ماري شمیل في أبحاثها ومؤلفاتها الكثيرة في هذا الحال .

التصوف نشأ في كنف الإسلام ولم يكن وليدا لمصادر أجنبية كما يزعم بعض المستشرقين ، أما التأثير ببعض التيارات ببعض التيارات الخارجية فقد ظهر في مرحلة من مراحل تطور التصوف الإسلامي ، وذهب ابن خلدون في (المقدمة) إلى أن ظهور الصوفية راجع الى أنه قد تفشي اللهو والانغماس في ملذات الدنيا في القرن

¹ خالد محمد عبده ، المستشرقون والتصوف الاسلامي ، مرجع سابق ، ص 60.

² فاضل الحسيني الميلاني، مراجعة ونقد لأثر صادر عن مستشرق معاصر، مجلة دراسات استشرافية، العدد 1، 2014، ص 19.

الثاني المهجري وانقطع كثير من الناس عن أمور الدين ، فعكف الأتقياء على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وهذا دليل آخر أن التصوف الإسلامي نشأ على كتاب الله وسنة رسوله¹ ، ليس كما روج بعض المستشرقين الذين انحرفوا عن حقيقة التصوف الإسلامي ، وهذا ما نجده بدرجة أقل لدى الألمان الذين احترم جلهم التأثير الإيجابي ، الذي يحقق فعلا طبيعية الدراسات الأدبية المقارنة وفعل التأثير والتأثر بين الأدب والثقافات والتفاعل الإيجابي والعلمي معها.

ويمتاز الشعر الصوفي المعاصر باستعمال التناسل بكثرة ، كما يشتغلون في قصائدهم ودواوينهم الشعرية خطاب بالانزياح الصوفي والرموز والعبارات الموجبة ومع انطلاق الشعر العربي المعاصر (شعر التفعيلة) قلما نجد شاعراً عربياً معاصراً يكتب شعر التفعيلة أو الشعر المنثور أو الكتابة الصوفية أو يتحدث عن شخصيات صوفية وعلى هذا فالشخصيات عديدة من أهل التصوف واجهوا بها قارئ قصائدهم ، واتخذوا منها قناعاً يتحدثون به ومن ورائه عن مشاغلهم ومعاناتهم و مواقفهم ذلك فحسب بل نجد الشاعر المعاصر أحيانا يندمج في الشخصية الصوفية ويحل فيما حلولا صوفيا ، ويتحد بأبعادها بفعل تشابه أحواله بأحوالها.²

لا تزال الأشعار الصوفية وشخصياتها تشغل مكانة مهمة في أغلب دراسات المستشرقين وخاصة الألمان ، لم تتمتع هذه الأخيرة باللغة الجزلة المعبرة و إحساسها المرهف ، والروح المحبّة العاطفية الموجودة فيها المتجلية في العناصر الغزالية عند الشعراء المتصوفة والمتجددة في الحب الإلهي .

¹ محمد عباسة، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر، مرجع سابق ، ص 19 .

² ينظر، محمد بنعمارة الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص 266.

ثانيا : أثر المدرسة الألمانية في الدارسين العرب وموقفهم منها

اقتنع الغربيون أنه كي يكون هناك تقدماً فكرياً وحضارياً وحتى اقتصادياً ، فلا بد أن يسلك نفس الطريق الذي سلكه أهل الشرق منذ زمن مضى عندما بدأوا بإنشاء المدارس ودور العلم وتعليم اللغة العربية ، فكان التأثير بالشرق ردّات فعل مختلفة في أوساط الشرقيين والعرب تحديدا .

يقول إدوارد سعيد : " فقد كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق و ترجموا النصوص ، وفسّروا الحضارات والأديان والسلالات والثقافات والعقليات ... وكانت العلاقة بين المستشرق والشرق بصورة أساسية تأويلية فإذا وقف المستشرق والباحث أمام حضارة أو منجزة ثقافية نائية لا تكاد تُفهم ، قلّص الإبهام عن طريق الترجمة ... بيد أن المستشرق بقي خارج الذي بقي نائياً عن الغرب" ¹.

شارك الاستشراق بشكل أو بآخر في نقطة الأدب العربي ، وهذا باعتراف الدارسين والباحثين العرب واهتم ، المستشرقون اهتماما كبيرا بتاريخ الأدب العربي فنجد مثلا كارل بروكلمان يقسم كتابه " الأدب العربي " إلى خمسة عصور :

1- عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الأمويين 132هـ .

2- عصر الدولة العباسية .

3- عصر ما بعد سقوط بغداد سنة 665هـ .

4- حكم المغول إلى سنة 1949م .

5- عصر البعث الجديد في القرن الماضي حتى الحاضر .

وما أثاره الفكر الإستشراقي ودراساته الأدبية لتراث العرب ، جعل الردّ هو السبيل الوحيد إما للتأكد أو الرفض والتصحيح وهذا ما انعكس على الأدب، وانكب جملة من الباحثين أمثال : جمال الدين الأفغاني

¹ إدوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق ، ترجمة، كمال أبو ديب، ص. 231.

وقاسم أمين، ومحمد عبده، ومحمد حسين هيكل، ومحمد كرد علي، والعقاد ... وغيرهم كثر، على دراسة أعمال المستشرقين المهتمين بالأدب العربي، وصناعة الوعي العربي لتراثه وتقويمه .

ومن بين المدارس الاستشراقية موضوع دراستنا اليوم الألمانية منها حيث كان الأثر الواضح من خلال أعمال مستشرقها في الأدب العربي والشعر، تأليفا وترجمة وتدريسًا، ولعلّ أكبر آثار الاستشراق الألماني انتظاما وأبرزها و اوضحها ، كان تأسيس الجامعة المصرية (القاهرة) 1908م ، إذا قدم إلى التدريس فيها مستشرقون ألمان كثر منهم : " اينو ليتمان، وبرجيستراسر، و شاده وبول كراوس، فأرسوا الدعائم الأولى لعل اللغة، وأبرز تلامذتهم طه حسين ، ومما ساعد على دخول أثر الاستشراق الألماني هي " حركة الإصلاح العربي " بروادها : الأفغاني ، والكواكبي ومحمد عبده ، وقبلهم رفاة الطهطاوي ، فقام هؤلاء المستشرقين بإلقاء المحاضرات على الطلاب العرب ، وسهل هذا في غرض بعض المناهج العلمية والفكرية ، كما تأثر هؤلاء بأساتذتهم التأثير الشديد¹.

ومن صور أثرهم وحضورهم الفعال في الساحة العربية تعيينهم في الجامعات اللغوية العربية ، فقد عُين فيشر وليتمان عضوين بارزين في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعُيّن بروكلمان وهارتمان وريتر في مجمع اللغة العربية بدمشق .

إرسال البعثات العلمية للجامعات الألمانية ولا سيما الاستشراقية منها ، وحين عادت ترجمت إلى الألمانية مؤلفات ودراسات مهمة ، ومن أبرز طلابها الأوائل على هذه البعثات : عبد الهادي أبو ريده ، وعبد الحليم النجاز ، وتلاههم جيل ، آخر ممن وفقوا في الدراسة بألمانيا والاستفادة من هذه البعثات مثل : مراد كامل ، خليل محمود عساكر، وفؤاد حسنين، و خليل يحيى بحيري، ومحمود حجازي، ومحمود عوني ،عبد الرؤوف

¹ ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 53.

ورمضان عبد التّواب، وسعيد حسن بحيري، ومحمود أحمد نخلة ... وغيرهم ومنهم من درس علم اللغة في جامعة القاهرة¹.

تحتفل الأدبيات العربية بالدراسات العميقة عن الإستشراق الألماني كما الاستشراقات الأخرى مما يمكن أن يكون موسوعة جيدة في هذا المجال ، إذا قام أحد مراكز البحوث في إحدى البلاد العربية أو في ألمانيا بنشر هذه الإسهامات كتباً ومقالات في عمل واحد ويتم تحريرها والتعليق عليها بيان ما قد اعتبرا بعضها من أخطاء علمية أو منهجية ، فلاستشراق الألماني عامل مهم ومؤثر في منحنى التأثير والتأثر في العلاقة بين العرب والألمان ، فقد تأثر الإستشراق الألماني أولاً ثم أثر ثانياً ، ولا يزال الإستشراق الألماني العميق يتأثر ويؤثر ، رغم ما يقال إنه أصبح أثر من الماضي بفعل قلّة الترجمات عن الألمانية².

تأثر بالمدرسة الاستشراقية الألمانية مفكرين ودارسين عرب منهم محمد البهي الذي يعدّ من الدارسين العرب الأوائل الذين تأثروا بالمدرسة الألمانية ، وأثر كذلك في الثقافة العربية (فقد كان وزير لشؤون الأزهر (1962م-1964)) وهو من خريجي ألمانيا أواسط الأربعينيات ، وقد أرسل مجموعة شباب للدراسة بمنح في ألمانيا ومن بينهم محمد حمدي زقزوق ، وكانت أطروحته (مقارنة بين ديكارت والغزالي) ، وكتب مقالات عن كتاب رودى بارث (محمد والقرآن) وكتب (الاستشراق والصراع الحضاري)³ ، وغيرها من الأعمال المهمة بدراسة الإستشراق ، وسر العلاقة بين الشرق والغرب .

نفس الشيء بالنسبة للطرف الأخر (الغربي) ، وهذا ما يمثل فعلاً العلاقة بين الشرق والغرب ، وما هي الارتباطات المتنوعة بين الحضارتين "ويعد شودل وجوه تأثر الألمان ثقافياً بالعرب ، معيد البدايات الحقيقية لهذا

¹ ينظر، محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غربي، القاهرة، 1993، ص 80.

² ينظر، رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مجلة التسامح العدد 8، 2004، ص 245، 252.

³ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 70.

التأثر بالترجمة المباشرة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية سنة 1694م¹ وكان هيلكلمان من أوائل المستشرقين الألمان الذين أحيوا الاهتمام الغرب بالعرب اتصال الشرق بالغرب خاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

وهناك دلالات مؤثرات كثيرة للإستشراق الألماني على الشرق وتواصل العلماء الشرق مع مؤتمرات المستشرقين (لبنان نجد تأثر جبر نومط ، و ابراهيم اليازجي وشكيب أرسلان بأبحاث المستشرقين الألمان) ولا سيما جورج زيدان من خلال تأليفه بالمنهجين : المقارن والتاريخي ، ومثالهما كتاباه : (الفلسفة اللغوية) و(اللغة العربية كائن حي) وتأثر بطريقتهم أيضا في كتابة الأدب العربي وأسلوب دراستهم للعربية² .

أدب الرحلة والرحالة الألمان كان لهم الدور البارز والمهم في إحياء عملية التأثر والتأثير بالشرق من خلال تصويرهم له وفق مخيلات مختلفة ذات مصدر واقعي جميل أمثال الرحالة فوشية دوتشارتر ، وويلبر اند الاولند بوري و ثيتمار ، و جيمس الفيتري و بوركهارد و وبنيامين التطلي وغيرهم ممن قدموا صورة مشرقة عن الشرق أو قدت شعلة الإعجاب ومحاولة الاستكشاف .

ولعل من بين أوائل تأثيرات الاستشراق الألماني في العالم العربي أيضا كان سنة 1870م ، وإذا تم الاتفاق بين مصر والسلطات الأوروبية على أن يكون عالم ألماني مديرا للمكتبة الخديوية ، فكان أول مدير لها شتينر ثم خلفه شيبينا وفولرز و موريتس ثم شاده³ ، فكل هؤلاء تعاقبوا على رئاسة المكتبة العربية بمصر مما سمح لهم بتحديد مناهج العمل المكتبي وتحديد طبيعة إقتناء الكتب الأدبية والعلمية والتوجيه المعرفي، والإصرار حتى على كتب معينة بغية ترسيخ التوجه الألماني في الأوساط العربية والتأثير على الطلاب الدارسين العرب هنا .

¹ علي بن إبراهيم النملة، عوامل التأثر والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، العرب و الألمان أنموذجا، مجلة الإسلام، العدد 1، 2008 ، ص 3 .

² ينظر، جورج زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1922، ص 33، 36.

³ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 53.

ولعل أكبر وأكثر أثار الاستشراق الألماني انتظاما وأبرزها وأوضحها أيضا ، كان بعد تأسيس الجامعة المصرية (القاهرة الآن) عام 1908م ، إذ قدم إلى التدريس فيها مستشرقون ألمان كثر مثل : **ليتمان** و **شاده** وغيرهما فأرسوا الدعائم الأولى لعلم اللغة¹ ، فكان التأثير المباشر بالجامعة وخاصة مع النهضة الأدبية والفكرية التي كان يشهدها العالم خاصة في أوروبا ، والتأثير المتأرجح بالحضارة الأوروبية و الغربية عموماً ، كان ليسهل له عملية تأثير المستشرقين في العقل العربي وتوجيه الأدب العربي وسهولة إكتساب المنهج العلمي المسطر لأجل ذلك، فالتوقيت ساعد بالقدر الكافي في تأثر العرب وسلاسة تأثير الاستشراق الألماني وخاصة حينما كان بطريقة مباشرة.

وكان هناك طلاب عرب انبهروا وتأثروا بشكل كبير بمدرسهم ونذكر على سبيل الذكر لا الحصر **هاشم الايوبي** حينما تأثر و يشكل كبير ب **فريدريش فيشر** ، وكتب لأجل ذكره كتابا أهداه له تحت عنوان (أبحاث عربية مهداة إلى المستشرق فريدريش فيشر)، وكان لهذه الصلات الأدبية والعلمية بين الطرفين (الشرقي والألماني) عمق في الأدب العربي وذلك سببه :

- 1- إرسال البعثات العلمية للجامعات الألمانية ، ولا سيما الاستشراقية منها .
- 2- الانفتاح على الثقافة واللغة الألمانية ، وعد الاقتصار على الإنجليزية والفرنسية منها.²
- 3- التواصل المباشر مع العرب في الجامعات العربية حيث كانت كراسي التدريس للغات والآداب لمستشرقين ألمان - سبق ذكرهم - .
- 4- الترجمة من وإلى اللغة العربية حيث كانت " بدايات العلاقة من الترجمة بين العرب والألمان تمثلت في قيام أحد شبان المستشرقين بترجمة الجزء الثاني من كتاب **جورجي زيدان** (تاريخ التمدن الإسلامي) عام 1913م الى

¹ عبد القادر الفارسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ص 152.

² فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 86.

الألمانية ، وقد عرف المصريون على لخصوص أشياء كثيرة من أعمال المستشرقين الألمان من خلال العلاقات الشخصية من الزيارات والرحلات المتبادلة ولأهداف عملية¹.

العملية نفسها كانت من العربية الى الألمانية حيث " تكفل بعملية الترجمة الأدبية لمجموعة من الروايات العربية إلى العربية إلى الألمانية ومجموعة من الأدباء العرب المقيمين في ألمانيا أمثال : ناجي نجيب ، ومصطفى هيكل ، وسامي قباني ، الذين امتلكوا كفاءة ثقافية ولغوية أهلتهم لتعريف الألمان بالأدب العربي الحديث بعد أن ترسخ في أذهان المستشرقين آنذاك أن الأدب العربي ينتهي بنهاية العصر العباسي الثاني ، وكانت ألمانيا الديمقراطية أكثر إقبالا على الثقافة العربية"².

العمل الترجمي الأدبي وغيره وجد حركية بعد التواصل العلمي خاصة بين الجامعات العربية والألمانية بالإضافة إلى الملتقيات والتظاهرات الفكرية والندوات العلمية ، وكل ماله صلة بالأدب والفكر .

فقد ترجموا إلى العربية " التاريخ العربي القديم " في الخمسينات ، وهو عبارة عن مجموعة دراسات في الأربعينيات من أعمال علماء الساميات والرحالة والحوارين الألمان عن الجزيرة العربية وجنوبها ، وقد وجدوا الباحثون في أوراق طه حسين رسائل مطولة من فؤاد حسنين علي إلى أستاذه في الثلاثينيات تتضمن تقارير عن مؤتمرات المستشرقين الألمان ، لكن أكبر الإفادات من بحوث الألمان في التاريخ العربي القديم قمت على يد العالم العراقي جواد علي صاحب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) في عشرة مجلدات ، فقد راجع الرجل إلى ستة وعشرون كتابا ألمانيا وحوالي الأربعمئة مقال للباحثين الألمان من بوركهارت و غلازر إلى هومل وماريا هوفنر و رودوكانا كاس والتهائم³.

¹ رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 59 .

² مديحة عتيق، فصول الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2001، ص 76 .

³ ينظر، رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 61، 62 .

ومن أبرز المترجمين العرب الى اللغة الألمانية مصطفى ماهر علي راغب متخصص في فقه اللغة الألمانية القديم والحديث ، ودرس في جامعة كولونيا عام 1962م ، وعمل أستاذاً للجامعة عين الشمس المصرية رئيساً لقسم اللغة الألمانية بها ، وكان له الفضل الكبير في دعم التواصل بين القطبين العربي والألماني خاصة في مجال الدراسات الأدبية .

ترجم العديد من أمهات الأعمال الأدبية من وإلى اللغة العربية والفرنسية والألمانية ومنها مسرحيات وروايات من الأدب الألماني لجوته و ليسينج و هارمان و بتر هاندكه ... وغيرهم .. بالإضافة إلى ترجماتهم العربية للألمانية ومنها على سبيل المثال مختارات من أعمال أكثر من أربعين قصاصاً وروائياً عربياً وترجمة رواية (الأيام) لطفه حسين ، وغيرها من الأعمال¹ ، كما ترجم إلى العربية أيضاً كاسبارو بيتر هاندكه و النيزك و لفريدريك دونمات والعينة الكريات الزجاجية (لهيرمان هيصة .

يقول إدوارد سعيد : " الإستشراق الألماني يهتم بالدراسة المهنية للنصوص وليس بممارسة السلطة الاستعمارية ..."² وبالتالي كان الاستبعاد ألمانيا من دراسات إدوارد سعيد الاستشراقية ، أن أبقى الإستشراق الألماني غير مكتشف حتى قام أحد بعض المفكرين العرب نخوض غمارها ، وبقية الدراسات الأدبية الشرقية في طابعها الأدبي الموضوعي دون اللجوء إلى إيديولوجيات أو دروب أخرى ، وبالتالي ساهم العرب المحدثون أمثال مصطفى ماهر وغيره من التعريف حقاً والتأثر بالشكل الكبير بالأدب الألماني وإنما الحركة الترجمة بين الأدبين .

¹ أندكه ماير، الشطح الابداعي ضرورة حياتية، ترجمة : مصطفى ماهر وطارق عبد الباري، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 2009 ، ص 253.

² إدوارد سعيد، الإستشراق، ترجمة : كمال أبو ديب، مرجع سابق، ص 203.

وهكذا درس المحدثون أدبهم على نهج بروكلمان و ناليلو و ينكلسون و جولدزيهر" وغيرهم وحتى لا تكاد تخلو جامعة العربية وإسلامية ، ولا باحث عربي وإسلامي من الفكر العربي وثقافته من أثر هؤلاء المستشرقين وطريقتهم ومنهجهم¹ .

كما حاول محمد محمود الطنجي دراسة منهج المستشرقين في نشر التراث العربي ، فهو يعترف بفضلهم في ميدان الشرق والترجمة والتأليف والطبع فيقول : " ولقد عملت مع بعض المستشرقين في مصر ، بل إن نظراتي الأولى في النصوص كانت من خلال أعمالهم ، ثم كان ما كان ، من اتصال بالتراث العربي ، وذلك الاتصال الوثيق ناسخا و مفرسا وقارئا ومحققا وباحثا بمعهد المخطوطات ، ومجالسًا لأكبر علماء هذا الفن"² . استطاع من خلال اطلاعه المباشر عمل المستشرقين وخاصة الألمان الذين أثبتوا جدية كبيرة في التعامل مع

التراث العربي بمراحله وحفه والمحافظة عليه ، فكانت له ملاحظاته لخصها فيما يلي :

- أتخذ نشاط المستشرقين ثلاث الاتجاهات :

1- نشر النصوص .

2- التعريف بالمخطوطات .

3- دراسة الفنون وأعلام التراث³ .

ومن أبرز ملاحظاته والتي استوقفتنا ، هي أنه كان يرى أن المستشرقين " لم يكن اهتمامهم متساو في الشعر ، فنشاطهم دار حول التاريخ والبلدان والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات والأدب دواوين الشعر وخاصة الجاهلي والمجموعات الشعرية الخاصة مثل شعر هذيل والنقائض"⁴ ، وهناك علوم أخرى لم تلقى ذلك الاهتمام

¹ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الادب العربي والمعاصر، مرجع سابق، ص 606.

² محمد محمود الطنجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مرجع سابق، ص 215.

³ محمد قدور تاج، الإستشراق، مرجع سابق ، ص 171.

⁴ محمد محمود الطنجي، مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي، مرجع سابق، ص 217.

الكبير من المستشرقين الألمان تعلم النحو والصرف والبلاغة والعروض ، فالشعر أخذ القسط الكبير من اهتمامهم وأعماله المختلفة .

يقول محمد أبو الفضل : "إن الاستشراق الألماني يظل بمعزل عن الاستشراقات الأمريكية والبريطانية والفرنسية ، ويظل له نكهته المميزة حتى لو اختلفنا معه وإن المختلفون ، بيد أن هذا الاختلاف يجعلنا نردّد مع الشاعر الألماني الكبير يوهان فولفجانج جوته (من عرف نفسه أدرك أن الشرق والغرب لا يفترقان) ، وهي مقولة نحن في حاجة إليها الآن بعد مُضي قرنين ونصف القرن من رحيل قائلها الذي أراه من كبار المستشرقين الألمان الذين أنصفوا الحضارة الأساسية وتأثروا بها " ¹.

يعترف أبو الفضل بفضل الاستشراق الألماني على التراث العربي وفي تعامله معه بالمنهجية المناسبة التي تل مختلفه عن المدارس الاستشراقية الأخرى ، وفي تأثرها الايجابي مع الشعر العربي القديم والحديث والارتباط الوثيق بين الشرق والغرب.

كان للمستشرقين تأثير كبير في التوجهات الثقافية التي سجلت على مستوى الفكر والأدب ونقده في الثقافة العربية ، وذلك بما تميزوا به آراء فقدها ولو تطبيق ما توصلت إليه النظريات عامة كمنهجية الأدب المختلفة ومنهج علمي لم يبتدعه المستشرقون ابتدعا ، بل هو منهج أشاعه في الغرب أعلام المفكرين ² ، من أمثال رايسكه ، وويتير و كارل بروكلمان وفشير من خلال إسراء المنهج التاريخي والمقارن وتأثر المفكرين والمهتمين العرب بهذه المناهج وانعكست على أعمالهم الأدبية والفكرية وتأسست بذلك قاعدة فكرية جديدة ذات منهج ألماني يعكس التأثير الايجابي للأديب العربي .

¹ محمد أبو الفضل بدران، الاستشراق الألماني المعاصر، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 6، 1995، ص 50، 57.

² محمد قدور تاج، الاستشراق، مرجع سابق، ص 195.

أثر منهج نولدكه في كتابات بعض أدباء العرب المعاصرين ممن ساروا على طريقة نولدكه في تعاطيه مع التراث الأدبي القديم وتصدر هذه الفئة عميد الأدب العربي طه حسين ، الذي قدم بحوثه وفق نظرية المستشرقين النقدية ، ورفض الكثرة المطلقة في الأدب الجاهلي ، واعتبرها متحولة بعد ظهور الإسلام وليس من الجاهلية لأنها تمثل - بنظرة- حياة المسلمين وميولهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين¹.

من أبرز العرب المتأثرين بالاستشراق الألماني سواء في المنهج أو الفكر أو حتى بعض القضايا التي مست خاصة الشعر الكلاسيكي العربي وقد ألف لذلك كتاب تحت عنوان الأدب الجاهلي ، وأثار فيه قضايا حول الشعر الجاهلي ونسبة وأصحابه و حقيقته ، نفس القضايا التي تحدث عنها مستشرقون ألمان كثر واستفاضوا في دراستها البحث عنها أبرزهم يوهان بالحرب رايسكة و ووفلهالم الوارد وغيرهم.

يعتبر ليتمان من أشهر أساتذة الاستشراق وأبرزهم ، تخصص في دراسة اللغات الشرقية وتدرسيها ... ويتحدث طه حسين في الجزء الثالث من أيامه عن أستاذه ليتمان الذي كان يدرسه السريانية خاصة واللغات السامية عامة².

طريقة تدريس المستشرقين كانت قوية ومؤثرة بحيث ، جذبت إليها اهتمام وعقول الطلاب العرب في الجامعات وأبرز مثال طه حسين الذي لم يخفي يوماً تأثره بهم و إعجابه كذلك بنهجهم وفكرهم حيث نجده معجبا بفكر أحد المستشرقين: " علمني أحدهما الآخر كيف استنبط الحقائق من ذلك النص وكيف ألائم بينهما وكيف أصوغها آخر مرة علما يقرأه الناس فيفهمونه ، ويجدونه فيه شيئاً ذا بال " ³.

¹ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 141 ، 142.

² محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته الاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973، ص 572.

³ طه حسين، نقد واصلاح، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، 1980، ص 167.

وقف طه حسين موقف بعض المستشرقين الألمان القدامى ممن شككوا في حقيقة الشعر العربي القديم وانتحاله من بعض الرواة وغيرهم الذين نسبوا أشعارهم الى القدامى لأجل أسباب كثيرة ومنها الشهرة والافتخار ، حيث يقول عن موقفه هذا : " أنا أرفض شعر اليمن في الجاهلية ، وتكاد نرفض شعر ربيعة أيضا ... وأقل ما توجهه علينا الأمانة العلمية أن تقف من الشعر المضري الجاهلي ، لا نقول موقف الرفض أو الإنكار وإنما موقف الشك والاحتياط . " ¹

تقدم في شكّه في الشعر الجاهلي حيث تعرض لجملة من الشعراء الجاهلين المعروفين وشكك في صحة شعرهم وما نُحِلُّ عليهم وأضيف إلى شعرهم وحتى فيما قيل عن شخصيتهم وشاعريتهم وتناصه مع أشعار كثيرة ، ومن بين هؤلاء امرؤ القيس وعلقمة ، وعبيد بن الابرص وعمرو بن قيمته والمهامل وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والأعشى ، فضلا الشعر المضري .

وقد أجمع النقاد على أن طه حسين لم يورد شيئا من الشعر الجاهلي الذي دعت السياسة الى نخله -

وقد عقد فضلا عن الشعر في كتابه فيها - على الرغم من أنه أطال حديثه عن المقامات الظنية والفروض المتخيلة، لكنه لم ينته بها إلى النهاية التي عقد من أجلها عنوان فصله ² .

سار على التشكيك في وجود الشعر الجاهلي على خطى المستشرق الألماني نولدكه الذي يرى أن شكل القصيدة في عصر امرؤ القيس لم يكن قديما جدًا وأن الاشكال المنقولة في الشعر تنير الشك والاهتمام ، وأنها قد نشأت قبل ذلك بزمن طويل ، وأنه لا يوجد بيت شعري وثيق النص يرجع في زمنه إلى خمسمائة ميلادية ، ويرى أن نقطة تحول الشعر العربي من بداية العصر العباسي وقيام الدولة العباسية في القرن الثالث الهجري أين تغير الشعر العربي وكان مختلفا .

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 271، 275.

² ينظر، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1969، ص 421

ويرى طه حسين أن ما يسعى بالشعر الجاهلي ما هو سوى مرآة عاكسة لحياة المسلمين، فإن الكثرة المطلقة مما يسمى أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي متحولة بعد ظهور الإسلام فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين¹.

وذهب كذلك فيما ذهب إليه نولدكه الذي كان يرى في الشعر العربي القديم أنه يحتوي ألفاظا وتراكيب صعبة الفهم وغزيرة المعنى، وبذلك فهي صعبة الترتيب، و المحافظة على ذلك الترتيب وتكرار الألفاظ والأفكار بين نصوص الشعراء يحتاج وقتا وزمنا أطوال لفهم هذا الشعر، بل أنه لمن يتسنى فهمه إلا إذا جاء كاملا مضبوطا، كما يتحدث عن حفظ الشعر وترتيب أبياته ووحدة موضوع القصيدة واختلاف أشعار الشعر أو تشابها بين نصوص الشعراء يحتاج وقتا وزمنا أطول لفهم هذا الشعر، وهذا مما يجد الصعوبة بمكان ويصعب توارثه بين الأجيال العربية، فكان التوافق واضحا جدًا بين آراء نولدكه و طه حسين في هذه المسائل كلها.

كان لطه حسين دافع خمسة اعتمدها للشك في الشعر الجاهلي :

1- رأى أن الشعر " يظهر لنا حياة غامضة جافة بريئة في الشعر الديني القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسطرة على الحياة العلمية... وأما القرآن فيمثل لنا حياة دينية قوية تدعو أهلها الى أن يجادلوا عنها ما وسعهم الجدل.²"

فهو بهذا - الشعر الجاهلي - لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين، فالشعر لا يجسد من الناحية العقلية تلك الخشونة والغلظة والحياة الجافة، وإنما وصف عواطف رقيقة، أما من الناحية السياسية فكان للعرب علاقات قبل الإسلام مع الروم، و ترحال قوافل قريش دليل على ذلك، وأما الناحية الاقتصادية فلا يوجد أي إشارة الى المعاملات الاقتصادية التي كانت موجودة في الجاهلية، أما من الناحية

¹ ينظر، طه حسين، في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 67.

² المرجع نفسه، ص 80.

الاجتماعية فيقول: "لا يُعزى إلا بحياة الصحراء والبادية ولا يعزى بها إلا من نواح لا يمثلها تمثيلاً تاماً... ومن عجيب الأمر أنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهلي ذكر للبحر أو الإشارة إليه، فإذا ذكر فذكر يدل على الجهل لا أكثر ولا أقل..."¹

2- اختلاف اللغة بين عرب الشمال وعرب الجنوب بحيث "الشعر بعيد كل البعد على أن اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه."²

3- الدافع الثالث هو اختلاف اللهجات بين القبائل العدنانية و القحطانية ف "كل قبيلة من هذه القبائل العدنانية لغتها ولهجتها ومذهبها في الكلام، وأن يظهر اختلاف اللغات وتباين اللهجات في شعر هذه القبائل الذي قيل قبل أن يفرض القرآن على العرب لغة واحدة ولهجات متقاربة، ولكننا لا نرى شيئاً من ذلك في الشعر العربي الجاهلي."³

4- تداخل الألفاظ بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وتشابهما بشكل كبير وكأن الشعر الجاهلي قد قد على القرآن والحديث كما يُقدّ الثوب على قدّ لابسه لا يزيد ولا ينقص عمّا أراد طولاً وسعة⁴، فهو يرى بذلك أن الأمر بعيداً على الطبيعة والمنطق ولا يمكن للتطابق أو التشابه إلى هذه الدرجة من الموازنة.

5- الرواية والرواة: فالرواية الشفوية تبقى وإنما محل الشك والانتقال فهي مرتبطة بإنسان يخضع للأهواء والمؤثرات كما هو معرض للنسيان وغيرها من العوامل الأخرى على اختلافهما لهذا لا يمكن التصديق بها أو الإطلاق لصحتها أبداً، فالشعوبية قد تؤثر على رواية الشعر وحينها يضيف ويقول: "ونحن لا نقف عند استخلاص هذه النتيجة وتسجيلها، وإنما نستخلص منها قاعدة علمية، وهي أن مؤرخ الآداب مظطر حين يقرأ الشعر الذي يسمى جاهلياً أن يشك في صحته، كما رأى شيئاً من شأنه تقوية العصبية أو تأييد فريق من العرب على فريق

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 87.

² المرجع نفسه، ص 88.

³ نفسه، ص 103، 104.6.

⁴ نفسه، ص 120.

ويجب أن يشتدّ هذا الشك كلما كانت القبيلة أو العصبية التي يؤديها الشعر قد لعبت دور في الحياة السياسية للمسلمين.¹

وجهت لطفه حسين انتقادات كثيرة خاصة فيما يتعلق بالأسباب التي رآها أنّها مدعاة للشك في الشعر الجاهلي ، وسلم بها حقائق لنفي وجود الشعر الجاهلي أصلا ، ومن الأسباب من ردها الى سياسة أو دينية أو اجتماعية أو جغرافية أو أخرى ردها إلى القصص وما وضعه الرواة أو القصاصون أو ما وضع لغايات شعبية لأجل الشهرة أو غايات أخرى اتخاذاها الرواة ووضعوها ونحلوها على الشعر الجاهلي ، فهو بهذه الاحكام والأسباب ويتوافق بشكل كبير مع المستشرقين الألمان – الذي سبق ذكر أسمائهم – الذين نفوا الشعر الجاهلي وشكوا في صحته .

أثر المستشرقون جميعهم والألمان منهم في آراء وأفكار ومنهج طه حسين ، فلطالما عبر عن ثنائه وإعجابه بهم وبمواقفهم ، فهذا هو يعرب عن شغفه في معرض حديثه حين يقول : " إنني شديد الإعجاب بالأستاذ هوار وبطائفة المستشرقين وبما ينتهون إليه في كثير من الأحيان من النتائج العلمية القيّمة في تاريخ الأدب العربي".²

قال طه حسين في حفل تأبين ليطمان بمجمع اللغة العربية : " وما أنسى فلتني أنسى الأستاذ ليطمان في مؤتمر من مؤتمرات المستشرقين في مؤتمر ليبزج ، وكنت ألقى حديثي في هذا المؤتمر ، وإذا الأستاذ ليطمان ، وكان رئيس الجلسة في ذلك اليوم – يبكي بكاءً شديداً كأنه متأثر أن يرى تلميذه يتحدث بين يدي هذا الجمع من العلماء المستشرقين الذين أقبلوا إلى هذا المؤتمر في ليبزج كانت إذن بيني وبين ليطمان هذه المودة التي تكون بين الآباء والأبناء."³

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 145 ، 146.

² المرجع نفسه، ص 144.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 108 .

إذا لاحظنا جيداً ورصدنا جلّ المتدرسين العرب الذين تتلمذوا على يدا الألمان من المستشرقين سواء في الجامعات العربية أو الألمانية فإننا نجد زيادة على الرابط المعرفي رابط المودة والعلاقة الشخصية بينهما وهذا ما لاحظناه مع طه حسين وأستاذه و هاشم الأيوبي وأستاذه فيشر وحتى صلاح الدين المنجد عندما يتحدث عن علاقته وقربه إليهم و مصطفى السباعي ... وغيرهم كثير، وهذا ما لا نجده كثيرا في علاقة العرب من المفكرين والأدباء مع مستشرقين أوروبيين من غيرهم الألمان .

يقول طه حسين متأثراً دائماً بالمستشرقين وآرائهم: " وكيف نتصور أستاذ للأدب العربي لا يُلم ولا ينتظر أن يُلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة ، وإنما يُلمس العلم الآن عند هؤلاء الناس من علومنا وآدابنا وتاريخنا".¹

أسهمت دراسات المستشرقين الألمان بتفسيراتها الجديدة في فهم تشير من قضايا العربية اللغوية والتاريخية والأدبية وغيرها ، مع قصور العرب على معرفة تراثهم لوحدهم بمنأى عنهم وعن مناهجهم ، مما عمّق أثر هؤلاء في الأدب العربي ومعرفته ودراسة وكذلك أثرهم في فكر العرب أنفسهم فهم لا يلتمون العلم الآن و الأمن عندهم . هذا ما ظهرت نتائجه جلية وبوضوح كبير مما قام بتطبيقه أحمد جنيّف و طه حسين ممن درسوا في فرنسا ، أو عبد الرحمن شكري ممن درسوا في إنجلترا ، أو ما أخذه اتصال بالمستشرقين في المعاهد كأمين خولي أو من نقلوا هذه المذاهب من غيرهم كالمازني والعقاد² ، فنلاحظ هنا ثلة كبيرة من المفكرين البارزين الذين كانت لهم البصمة الإبداعية في الأدب العربي الحديث خاصة هم من خريجي معاهد أوروبية استشرافية أو من تلاميذه مستشرقين سلكوا درهم في البحث والإبداع .

¹ طه حسين، في الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص 103.

² أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1975، ص 235.

ومع هذا التأثير والتأثر بالاستشراق عامة والألماني خاصة تولدت آراء مختلفة و تضاربت المواقف حوله بين العرب فكل كان له موقفه وحجته فالفئة الأولى كانت معارضة وبشدة لكل ما هو غربي ورفضته رفضاً مطلقاً أمثال شكيب أرسلان، وأحمد فارس الشدياق، و أنور الجندي، وعمر فروخ، ومالك بن نبي وحسين الهراوي، ومحمد عزت و إسماعيل الطهطاوي ، هذه الفئة من المفكرين العرب غيرها - بالغت في موقفها المعادي ورفضها الاستشراق على اختلاف مدارسه ومناهجه سواء كانت علمية أو غير علمية ، و عبد العظيم الديب نموذج من هؤلاء الرافضين لأي علاقة بالغرب، وكانت له مؤلفات كثيرة في باب الاستشراق وفي حقل التصوف حيث يقول : " تأمل في هذه الكتب وأنظر كيف يبالغون في موضوع الفرق ونشأتها ، وكيف يلجون ويخلفون في هذه القضية ، ثم كيف يستमितون في إبراز هذه الاتجاهات الفكرية المتعارضة وكأنهم يريدون أن يعرفوا التربة التي فيها نشأت والعوامل التي بها ازدهرت حتى يهيئوا لها دائماً أن تظل حيّة متأججة تشغل الأمة وتستهلك قواها وتستحوذ على فكر علمائها ولبّ قاداتها فتضرب بينهم الفرقة و يعشعش الخلاف وللأسف كثير من ذلك قد كان ."¹

لم يقتصر الديب على لوم الاستشراق وذمه وكل ما يتصل به فهو "يوجّه لومًا سديداً إلى تلاميذه الاستشراق من الباحثين العرب وللمسلمين بسبب أخذاعهم (بالأقنعة) العلمية التي يتخفى بها المستشرقون ، وانبهارهم بمناهجهم البحثية وانجرارهم وراءها."²

ومنهم من وقف اللائم لأبناء جلدته ومفكريها - كما رأينا سابقا - وعتهم بالضعفاء الذين لا يستغنون في دراستهم ولا يتقدمون في ذلك الا بتوجيه وارشاف من المستشرقين فهم انبهروا بالاستشراق فانخدعت بمزاعمه العلمية وسهلت عليه مهمة السيطرة وهاهو أحدهم يقول : " ومن أعجب العجب أن تجد أمه مثل أمتنا تشكر

¹ عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، ط3، 1992، ص 26.

² محمد طاع الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق، ص 116 .

وتجّد وتعظم أمر سارقي وثائقها لمجرد أنهم احتفظوا بها أو قدموا إلينا صورة منها ، وعهدي بالدول الواعية أنّها تفضل حرق وثائقها من أن تقع في أيدي أعدائها .¹

نجد أيضا **سعدون الساموك** في كتابه (الاستشراق ومناهجه) يتحدث عن المدرسة الألمانية في الاستشراق وتطلعات الاستعمارية وأفكارها العدائية ويحمل الاستشراق الألماني وزر الحركات الاستعمارية حيث يقول : " بيد أن الاستشراق الألماني قد ساعد في خدمة الأغراض الغربية التي كانت معظم دول أوروبا تسعى إليها " .²

يرى كذلك أن الدور الألماني لم يكن إيجابيا في الساحة الأدبية وغيرها فهو قد سخر طاقاته لخدمة أغراض الغرب والتركيز على المؤلفات الطائفية والتصوف مستشهداً بكتاب **فوللرس** بعنوان (عن لغة الكتابة واللغة الشعبية عند العرب القدماء) ، وكذلك **كارل بروكلمان** وبعض آراءه الساخرة من التراث العربي في دراسته التاريخية ، وكذلك **فلهاوزن** وأعماله التي لم يراعي فيها التوازن بين القرآن الكريم والشعر العربي .

وعن منهج المستشرقين يتحدث ويقول: " فقد قام المستشرق **مارتن هارتمان** بتبنيه الأذهان إلى أهمية دراسة العالم العربي الحديث ، فأسس الجمعية الألمانية لدراسات الاسلامية عام 1912م ، وقد سبقت هذه الجمعية جمعية المستشرقين الألمانية التي تأسست عام 1845م ولا تزال هذه الجمعية إلى اليوم تواصل نشاطها بالقيام بالدراسات الشرقية في ألمانيا. " .³

مع الروح العلمية والموضوعية والاهتمام بالتراث العربي والإسلامي ، إلا أن **ساسي سالم الحاج** لا يبرئ الاستشراق الألماني من النزعة السياسية والاستعمارية فقد حيل بين الألمان والاستعمار ، رغم محاولات قامت

¹ محمد طاع الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق ، ص 113.

² سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2010، ص 113 .

³ المرجع نفسه، ص 116 .

لاستعمار بعض البلدان في أفريقيا ، ومع هذا لا يُعفل سالم الحاج جملة من الميزات للإستشراق الألماني تثبت أنه كان من عوامل التأثير الإيجابي في الثقافة الغربية عموماً والثقافة الألمانية خصوصاً.¹

اتخذ أصحاب هذا الرأي من الاستشراق موقفاً مناهضاً في أقوالهم وطرحهم ، فهم أحياناً لا يقدمون البتة حتى لمجتمعهم حين يقول في هذا الصدد محمد أركون: " إن عدم اهتمام معظم المستعربين وعلماء الإسلاميات الغربيين يدرس إنتاج البعض ومستوياته هذا يدل إلى أي حدّ يبقون هامشيين بالنسبة إلى تقدم البحث العلمي الذي يطبقه الغربيون على مجتمعاتهم بالذات."²

في نفس الوقت يلتقي أركون اللائمة على العرب في تقاعسهم وإهمالهم بمورثتهم الثقافي والأدبي حين يقول طاع الله: " إذا كان أركون لا يجحد أضرار شيخوخة الإستشراق في ارساء دائم منهجية في البحث والدرس لها من خصائص العلم والقدر الرفيع ، وذلك في زمن كان القضاء العربي الإسلامي يشهد فيه تقاعساً في حقل البحث وتخلفاً في منهجه ... والمنهجية الاستشراقية تبدوا اليوم عاجزة من مواكبة ما يستجد في عقروا درها بالذات أي في فضاءات البحث العلمي والأكاديمي من مناهج بحث لا تنفك تتطور بفعل الجهود العلمية المبذولة في حقل العلوم الإنسان والمجتمع."³

ومن الدارسين العرب من كانوا منصفين اتجاه الاستشراق والمدرسة الألمانية في طرحها ومنهجها البحثي ومعالجتها للدرس العرس العربي الأدبي واللغوي والشعري نجد منهم يحي الجبوري يقول: " لقد ظهرت دراسات كثيرة عن الاستشراق والمستشرقين منها السطحي المنفعل الذي يعتبر الاستشراق حركة تبشيرية استعمارية ومنها

¹ ينظر سالم ساسي الحاج، فقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي بيروت، مج 2، 2002 ، ص 146.

² محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة : هاشم صلاح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986، ص 15.

³ محمد طاع الله، خصومة الاستشراق، مرجع سابق، ص 262.

الذي يسير في الاتجاه المضاد الذي يرى الاستشراق حركة علمية منهجية بعثت العلوم الشرقية وجمعت أصولها وحققتها ونشرتها ونشراً علمياً متقناً والاستشراق لا يخلو من هاذين الجانبين " ¹ .

فهو لا ينجفي اعتداله في موقفه وطرحه للأثر السلبي ومقارنته بالأثر الإيجابي فما هو يعود ويقول: " ينبغي أن ننظر إلى الاستشراق على أنه تيار حضاري فيه ما في الحضارة من محامد ومساوئ .. وكان عمل المستشرق الألماني برجستراسر في أصول نقد النصوص ونشر الكتب أول عمل يجمع أصول التحقيق وفوائد النشر " ² .

وينتقل إلى شق آخر في حديثه على الاستشراق ألماني وأثره الإيجابي ، ولهذا رأينا فيه المعتدل في طرحه حين يقول: " إذا كانت جهود المستشرقين الكبيرة في تحقيق التراث ونشره فقد أفادت فائدة كبيرة نستطيع الاطمئنان إليها ، فإن جهودهم في التأليف ليست كذلك ... وعلينا في مجال التأليف أن نقف موقف المستفيد الواعي الحذر و لا ننسى جهودهم التصنيفية في مجالات المعاجم ، وفهارس المخطوطات .. وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان فهذه وغيرها جهود تصنيفية لا يمكن الاستغناء عنها والتهوين من شأنها. " ³

نجد كذلك عائشة عبد الرحمن التي كانت معتدلة في موقفها واعترفت بتحليل أعمالهم ونبل صنيعهم " حيث أظهرت بنت الشاطي أن نهضتنا الحديثة قامت على اكتاف المستشرقين ، وبينت أن صحتنا من إرثنا الدامس الثقيل ، مهدت لها ألوان الدخائر العربية التي وجدت بين أيدينا محررة موثقة ، نولد بها في دراسة مختلف الموضوعات الفكرية والتراثية. " ⁴

لم تنكر مجهودات المستشرقين في الإنتاج الثقافي والأدبي وفي مجالات عدّة ، وتوقفت عند منهجيتهم المتعمقة والموضوعية في التعامل مع الشعر العربي خاصة القديم منه فكل عمل معرض للخطأ والصواب ، وتبقى

¹ يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 9 .

² المرجع نفسه، ص 10 ، 11 .

³ نفسه، ص 12 .

⁴ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 82 ، 83 .

النّية والقصد في ذلك الفيصل ، وحل أعمال المستشرقين الألمان تشهد على ايجابية القصد وموضوعية الطرح والدراسة .

ومن فئة المعتدلين كذلك نجد محمد روعي فيصل الذي تعامل بموضوعية مع الطرح الإستشراقي ومناهجه وكذلك شكيب أرسلان الذي أكد على أحقية الارث العربي لأصحابه وهذا لا ينفي أبدا المجهودات التي قدمها أمثال: نولدكه و ورايسكه و بروكلمان وغيرهم ممن استطاعوا أن يضيفوا إلى الشعر العربي وتاريخه ويفهموا كلام العرب ويتقنوا لغتهم .

في مقابل هذه الشريحة نجد نخبة من الباحثين من أصحاب الثقافة العصرية تبدي تفاعلا أكبر مع الاستشراق سواء في مستوى المنهج وأساليب البحث أو في مستوى الرؤى والأطروحات مما له علاقة بأهم القضايا التي كانت مطروحة في الساحة الفكرية والثقافية خلال الثلث الأول من القرن العشرين وبعده مثل قضايا العروبة والإسلام والقومية والهوية والتاريخ العربي والتراث... الخ وخير نموذج من التفاعل هو الديدب والباحث والمفكر طه حسين¹ .

وثالث المواقف العربية المتأثرة بالاستشراق الألماني وأعماله وبحوثه ومناهجه في دراسة الشعر العربي ، الفئة المؤيدة "الداعمة للإستشراق وأعماله نرها واضحة عند بعض كتابنا المحدثين ، الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن أغراض المستشرقين وتبيان فضلهم في حركة النهضة العربية الحديثة ، وكان من أبرز مؤيدي هذه الفئة والكتاب والمؤلف محمد كرد علي ، الذي سمح لنفسه الردّ على شبهات الاستشراق وإظهار مكانتهم العلمية والتاريخية."² نجد كذلك هاشم الأيوبي وهو يتحدث على فريدريش فيشر المستشرق الألماني الذي كان أستاذ بالجامعة المصرية يقول : "لا أريد للطابع الشخصي أن يطغى في حديثي عن فيشر ، ولكن جميع الطلاب العرب

¹ ينظر، محمد جاسم الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993، ص 141.

² منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 90.

الذين درسوا فيها بعد عنده كانوا متأثرين بهذه الناحية إلى جانب تأثرهم بالروح العلمية والموسوعية عنده ، وهكذا اقترن في نفوسهم اسم فيشر العلامة باسم فيشر صديق العرب.¹

شهادة من تلميذ عربي تدل على التأثير الكبير بالمستشرق فيشر التي تعدت الأطر الأكاديمية والعلمية إلى العواطف الشخصية والتواصل القريب ، فقد تحدث عنه كشخص ، ثم نراه لاحقا يتحدث عن منهجه العلمي حين يقول : "أظن أن هذه الأمور ، العلم الموسوعي المنفتح والدقيق في الوقت نفسه، والصدقة والإحترام المتبادلين بين فيشر و أصدقائه العرب ، الإنصاف والعمق والموضوعية في فهم التاريخ العربي والتراث العربي وتقدم القيم العربية الإسلامية والعمل على إنشاء صدقات وروابط علمية في الدول العربية وخاصة في الجامعات العربية بالإضافة الى بذل كل جهد لمساعدة الطلاب العرب في ألمانيا هذه الأمور هي التي جعلت العرب الذين يعرفون فيشر يعتبرونه بحق صديقا كبيرا لهم."²

كتب كتابه هذا تكريما لفيشر على الجهود النبيلة ومنهجيته الموضوعية الذي درس بحق التراث العربي بالمنهج السليم الذي يرضي العربي و يسمله بإتباعه واقتفاء كل أعماله لمعرفة أصولها المعرفية ، فهو يرى فيه النموذج الألماني الذي يتمتع بكل الصفات الايجابية لمستشرق درس علوم الشرق والأدب الغربي بمنهج سليم ودرس اللغة العربية وآدابها في الجامعات العربية بكل أمانة وصدق .

نجد كذلك نجيب العقيقي من الدارسين العرب المهتمين بهذا المجال وما قدمه الاستشراق الألماني للأدب العربي والشعر منه من خلال كتابه المستشرقين ، وقد تأثر بأعمالهم وحاول ان يظهر ذلك من خلال قوله : " وإذا كنا لا نفرق بين أن ينجلي لنا تراثنا ويحتل مكانته في الحضارة الإنسانية على أيدي العرب أو بالتعاون مع المستشرقين فقد اعترفنا لهؤلاء بفضلهم ، ونشرناه في الناس وهو بعض حقهم علينا."³

¹ هاشم إسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية مهداة إلى المستشرق فولفد فريديريش فيشر، د ت، ط1، 1994، ص 7، 8.

² المرجع نفسه، ص8.

³ نجيب العقيقي، المستشرقون، مرجع سابق، ص 8 .

فهو لا يرى ضير في التكامل المعرفي بين الطرفين لأجل ارساء منهج موحد لدراسة نفس الموضوع ونفس النصوص الأدبية والشعرية ، فلعله يحقق بذلك العرب ما يصبون إليه في تحقيق الحضارة العربية والمدرسة العربية في الأدب المقارن وقراءة ودراسة التراث العربي بمنأى على الدراسات الاستشراقية التي قد تكون في بعض الأحيان مصادر غير موثوق فيها وتشكل الاختلاف بين العرب أنفسهم .

لا ننسى كذلك صلاح الدين المنجد ممن كتبوا عن المستشرقين الألمان حيث ظهر مدافعا أحيانا حين يقول: "إذا ظهر بعض الدراسات الألمانية بعض الانحراف في الرأي أو الخطأ فهذا لا يمكن تعميمه في الدراسات كلها"¹، وتارة معترف لهم بالمنهج السليم في الدراسة يقول: " أن المستشرقين طرّفوا كل ناحية من نواحي ثقافتنا ... متبعين في دارساتهم وأبحاثهم طرق البحث المنهجي المنظم."²

يتحدث أيضا من مستقبل الاستشراق الألمان في بناء الأسس الحقيقية لمنهجه في الدراسة والتعامل مع التراث العربي حين يقول: " وعلى الرغم من العوامل المادية الكثيرة التي تثبط هم الشباب فإن الاستشراق الألماني اليوم ماضٍ في سيره"³ ، في رأيه أنه لا يزال محافظا وفيها لمنهجه الذي عرفناه عليه والذي سار عليه الألمان والقدامى ، فهم ثابتون على ذلك في أعمال الحديثة من أمثال ريناتا يعقوبي و آنا ماري شميل وقد لخص منهجهم في نقطتين :

1- "التعاون العلمي بين المستشرقين والألمان وعلماء العرب .

2- العمل على نقل أحسن الدراسات الاستشراقية الألمانية في الماضي والحاضر إلى اللغة العربية نظرا لقلّة من

يعرف الألمانية بين العلماء العرب".⁴

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق ، ص 7.

² صلاح الدين المنجد، المنتقى من دراسات المستشرقين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، د-ت، ص 102.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 13 .

⁴ المرجع نفسه، ص13.

ومن الدارسين العرب الذي وزنوا الاستشراق الألماني بميزات الايجابية وقدموا الاجلال لمنهجهم وأعمالهم يوسف أسعد داغر الذي "تحمس للمستشرقين الألمان وأعجب بدورهم ، وبما خلفته حركتهم الاستشراقية من أعمال ، وارتاحت سرائره لمنهج البحث الذي اتبعوه ، والطريقة العلمية التي سلكوها ، وادعى أنها نموذجية في القياس والأداء والوسيلة ، لأن المستشرق أخذ في بحثه بأوجه العلم ومنطقه ، وجعل موضوعه أشبه بموسوعة جامعة ... والتزم في تتبع الحدث الماضي وتحمل المشتقة والصبر الطويل."¹

قدّم داغر دراسات عديدة في هذا الباب وتطرق إلى المدارس الاستشراقية والألمانية تحديدا وعرف إذا نفرده بمنهجية خاصة بها ، ولهذا نالت اعجابيه واهتمامه ، من خلال الدارسين العرب زكي مبارك الذي أولى بدوله في هذا المجال واصطف في صفوف المعترفين بفضل الاستشراق الألماني أولاً وبعض المستشرقين الذي كانوا إلى حد بعيد مميزين في الدراسة والمنهج ، حين يقول في هذا الصدد : " وليس لدي ما يمنع من الاعتراف بأن أثر المستشرقين أبقى في ذهني وأوضح ، وأن فضلهم عمليّ أظهر وأرجح."²

ومن أبرز من تحدثوا عن المستشرقين الألمان وعلاقاتهم بالشعر العربي القديم عبد الرحمن بدوي الذي "وقف إلى جانب الاستشراق وأيد أعمال أصحابه ودعم توجهاتهم ، واعترف بريادتهم ، وأثنى على أبحاثهم ، وأطرى مسوغاتهم العلمية ومبادراتهم الموسوعية وأكد إسهام نتائجهم الفكري في تطور الدراسات العربية والإسلامية."³

وكتب كتاب بعنوان (موسوعة المستشرقين) حول فيه جرد جلّ المستشرقين المتأثرين بالدراسات الشرقية "كما اعتبر عبد الرحمن بدوي المستشرقين لاسيما الألمان منهم كانوا السبّاقين في موضوعة الشك في الشعر الجاهلي لأن أبحاثهم امتازت بحسب قوله بالأسانيد التاريخية الموثوقة ، وبالمقارنة في تاريخ أوليات الأدب ، وبالتالي

¹ يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة العربية في الاستشراق في الميزان، منذر معاليقي، مرجع سابق، ص 93.

² محمد قدور تاج، الاستشراق، مرجع سابق، ص 31 .

³ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 95 .

لأن المستشرقين الألمان اعتمدوا النظرة العلمية في دراساتهم ، وارتكزوا على منطلقات أكاديمية تمتد كاتبتنا في حالة تناول بحوث الحضارة العربية لإظهار الصحيح من المدسوس ، واعتماد الموثوق وغريبة الموثوق.¹

ومن بين المواقف المؤيدة المتأثرة إيجاباً نجد كذلك **فاضل السامرائي** الذي يقول: "ومع كل هذا فإن المدرسة الألمانية وحدها أظهرت اهتماماً علمياً جاداً بالإسلام في وقت مبكر من غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية"² ، وكان مهتماً بالكثير من المستشرقين الألمان ومعجبا بأعمالهم في نفس الوقت وخاصة **بروكلمان** الذي اعتبره ممن بين الاحسن الذين تعاملوا مع تاريخ الأدب العربي وأحسنوا التأريخ له والكتابة عنه من خلال التصنيفات والتحقيقات التي وضعها وتعب لأجلها.

وقد أدرك مكانة المستشركة الألمانية **آنا ماري شميل** العلامة والداعية المسلم في أوروبا **زكي علي منذر** أكثر من أربعين سنة حين كتب يقول: "وعلى رأس المحررين مجلة " فكر وفنّ " الأستاذة الألمعية الدكتورة **آنا ماري شميل** المتخصصة في دراسة **محمد إقبال حكيم** شاعر باكستان ... وترجمت إلى الألمانية له ديوان "جاويدنامة" وكتاب (رسالة المستشرق) وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها من أكابر علماء ألمانيا ..."³

كانت المواقف العربية متعددة ومختلفة منهم من عارض الاستشراق وكل ما يتعلق به ويساهم فيه، ومنهم ثلة كانت معتدلة إلى حد كبير ، وأخرى ثالثة كانت منبهة بمنهج المستشرقين الألمان وطريقتهم في البحث والدراسة ومنهم من راح يشاركونهم في الطرح وموضوع الدراسة وهذا ما لاحظناه مع **طه حسين** وقراءة للشاعر الجاهلي وأهم الشروط التي وضعها والنقاط التي تطرق إليها في صحته وانتحاله ورواته وطبيعته ، نفس ما نظرة إليه المستشرقون الألمان القدامى والمحدثون وإن اختلفت **ريناتا يعقوبي** في طرحها وكانت أكثر مدافعة عن الشعر الجاهلي ورواياته ، وكذلك من العرب نجد **عبد الرحمن عبد الحميد علي حسن** الذي تطرق في دراسة نفس الموضوع ومن نفس

¹ منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، مرجع سابق ، ص 100

² قدور تاج، الاستشراق، مرجع سابق ، ص 79.

³ ينظر ، المرجع نفسه، ص 82.

الزاوية حيث اعتبر الشعر الاسلامي هو امتداد للشعر الجاهلي وقد سار هذا الإسلام في النمط الذي سار عليه الشعر الجاهلي بدليل صورة وكثيرة لهذا الشعر التي تدل على تطابقهما وعلاقتهم القوية من حيث الصدق ومثانة الأسلوب ، وقوة الألفاظ ، وأن الانتحال قضية عامة موجودة في الشعر الأمم كلّها فلماذا التحني على الشعر الجاهلي وإصاق هذه التهم عليه وعلى شعرائه ورواته ؟

فلاحظ هنا التشارك الموجود في المعالجة والطرح بين الألمان والعرب وحتى من حيث الحكم والمنهج .

وهناك من الشعر العربي القديم ما اتفق عليه العلماء وعلى صحّة مصدره وكان لهم وسائلهم في معرفة حقيقة هذا الشعر وصحته ، ولهم مقاييسهم النقدية فضلا عن ذوقهم الشعري فيما اكتسبوه من درية وخبرة تنقيح الشعر والاطلاع على المصادر والروايات المتعددة له وعلى قضاية وعن طرق حفظ الشعر ومعرفة أساليبه.¹

فكان الاختلاف وارد بين المستشرقين الألمان والدارسين العرب وهذا لا ينفي تأثر الطرفين ببعضهما البعض ، ولا ينفي كذلك تأثر العرب لمناهج الألمان خاصة بالمنهج التاريخي والمقارن في دراسة الشعر العربي وخاصة القديم منه لأنه أثار الجدل الكبير لأهميته على جميع الأصعدة وقيمتها الفنية الجمالية والشعرية و كان ابن سلام **الجمحي** له رأي فيها حيث يقول : " وقد اختلف العلماء في بعض الأشياء أما ما اتفقوا عليه فليس لأحد أن يخرج منه ... وليس لأحد - وإذا أجمع أهل العلم الرواية الصحيحة على أبطال شيء منه - أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي."²

فلا بدّ من الاختلاف أي يؤدي إلى انتاج ابداعي جديد يساهم في رفع مستوى التأثير والتأثر ، ومستوى الدراسة للشعر العربي وفهمه من خلال المناهج الأدبية الحديثة التي تساهم بقراءة جديدة ومبدعة للإرث العربي القديم ، والمواقف العربية في اختلافها من حيث الحكم والرؤى على الإستشراق الألماني نجدها في:

¹ ينظر، ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 456 ، 468.

² محمد ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2001، ص 6.

الفريق المؤيد للإستشراق	الفريق المعارض	الفريق المعتدل
<ul style="list-style-type: none"> - عمل على يقظة الوعي القومي العربي - بعث حركة الاحياء العلمية والنهضة الفكرية والأدبية . - ايقضت الشعور العربي . - إعادة احياء التراث العربي المنسي والمهمل . - إعادة قيمة التراث العربي القديم . - اكتشاف مخطوطات شرقية . - إثراء المكتبة العربية بالمؤلفات والمخطوطات والترجمات ، والفهارس والنصوص القديمة العربية . 	<ul style="list-style-type: none"> - أعتد الدسّ والتحريف - الوقوف عند المسائل المطرربة في الأدب والاسلام. - الخوف على الغربي من التأثير بالعلوم الشرقية والانصراف إليها.¹ - ابتعادهم عن الموضوعية في الدراسة . - تصنيف المدرسة الألمانية مثل المدارس الأخرى فهي دليلهم في ذلك . - التركيز على الشعر الصوفي والمتصوفة المشكوك فيهم. 	<ul style="list-style-type: none"> - رأى في أبحاثهم ثغرات ونقائص ورأى في أعمالهم ذاتية واندفاعية وانفعالية ، أثرت على العلمية والموضوعية في الدرس العربي والاسلامي . - قلة الخبرة والاطلاع على العلوم الشرقية ومجتمعاتها . - عدم معرفتهم اللغة العربية وفهمهم لها. - أصاب الألمان أحيانا وأخطأوا وأحيانا أخرى .

كانت هذه نظرة على أبرز المواقف العربية من المدرسة الألمانية وفعل التأثير بالشعر العربي ومصادره ودراساته وحتى شعاراته ، فبغض النظر عن انتماءاتهم الثقافية ساهموا في ثراء ثقافي وعلمي وأدبي عربي ، ساعد الدارسين العرب - من خلال مناهجهم - على الدراسة الأمثل للشعر العربي والتراث الشرقي بصفة عامة ، لهذا كان هذا التأثير الألماني وأثره في الجامعات العربية واضحا جدًا ومن خلال المعارف و السلوكات التي تركها الألمان في نفوس وعقول أكبر المفكرين والأدباء العرب ، وهذا لا يقلل أبدا من المكاسب التي حققها المستشرقون الألمان من دراستهم وبحوثهم هذه ، حيث كان فصلا مهما من فصول دراساتهم الاستشراقية للشرق .

¹ أنور الجندى، سموم الاستشراق والمشرقين في العلوم الانسانية فيها، الاستشراق في الميزان، منذر معاليقي، مرجع سابق، ص 104.

ثالثاً : الاستشراق الألماني راهنا

تبيّن لنا أنّ الاستشراق ما يزال حيّاً ، بل شديد الحيوية ، في الممارسة الثقافية والمعاصرة ، وقد جرى امتصاص جميع منجزاته الرئيسية في فكر الحداثة بسهولة وسلاسة ... اكتسبت لحظات أسلوبية مختلفة ، وحفل بتنوع في الآراء وموضات ونقاط تركيز متغيرة ، ومع ذلك فقد أعاد صياغة نفسه ما بين مرحلة تاريخية وأخرى¹ .

الاستشراق الألماني مثله مثل المدارس الاستشراقية الأخرى وإن تميّز في مناهجه وأصحابه ومنهجيته في دراسة الشرق وعلومه، إلاّ أنّه لا يزال موقعه حاضراً في الدراسات الشرقية الحديثة وخاصة في دراسة الشعر العربي الكلاسيكي ونظيره الحديث سواء في الشكل أو المواضيع، وهذا يفرض تغيير الدراسات الاستشراقية واختلافها على سابقاتها باعتبار أن النص مختلف من كل الجوانب وإن توحدت لغته .

بدأ الاهتمام الألماني بالرواية العربية منذ مطلع الستينات من القرن العشرين، وإن كان قد اهتم بالقصص أولاً، ويمكن القول أن تجربة سلسلة (استكشافات) التي كانت تصدر في جمهورية ألمانيا الديمقراطية سابقاً عن دار نشر (VOLK und welt) وهي إحدى التجارب القيمة ليس على الصعيد تقديم العربي فحسب بل تقديم الآداب الأجنبية بوجه عام.²

كان الاهتمام الألماني بالرواية العربية في هذه الفترة ، لأنها كانت المستحوذة على الساحة الأدبية العربية من خلال أعلام عربية ظهرت وقدمت أعمالاً جلييلة وصلت بها إلى العالمية أمثال : نجيب محفوظ ، طه حسين ... وغيرهم ، لهذا وجب على الألمان الخوض في هذا المجال والولوج إلى الرواية التي أخذت الاهتمام الأكبر في الساحة العربية وحتى الألمانية والعالمية وخاصة مع ظهور التيارات الفكرية وأثرها على العرب، وهذا كان مجسداً فعلاً

¹ ضياء الدين ساردار، الاستشراق ، صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ترجمة : فخري صالح ، مراجعة : أحمد خريس، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ، ط 1 ، 2012 ، 187.

² عبده عبود، هجرة النصوص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا ، 1995، ص 35.

في رواياتهم كالتاريخية والرمزية والواقعية والوجدانية ، فكانت بذلك مواكبة للحركة الأدبية والفكرية الموجودة في العالم وتحسد تطّعات القارئ العربي وتلبي رغباته .

في سبعينيات القرن الماضي بدأ المستشرقون يهتمون بالأدب العربي الحديث وخاصة روايات نجيب محفوظ، في الثمانينات انصب الاهتمام الألماني على الأدب الفلسطيني بدءاً بغسان الكنفاني الذي ترجمت روايته (أم السعد) عام 1985م، ثم توالى ترجمة باقي روايات ليتنامي الاهتمام بمحمود درويش، وسحر خليفة، وأميل حبيبي، تعززه في ذلك انشغالات سياسية بما يحدث في الشرق الأوسط ناهيك عن حساسية العلاقة الألمانية اليهودية، وبعد أن نال نجيب محفوظ جائزة عام 1988 م ازداد الاهتمام الألماني بترجمة الرواية العربية كماً ونوعاً ، وان كان قد أخذ عليه تركيزه على الأدب المشرقي وتجاهله نوعاً ما الأدب المغاربي¹.

من بين القضايا الرّهانة التي نالت اهتمام الاستشراق الألماني، القضية الفلسطينية وتطوراتها المختلفة بما في ذلك الأدبية والشعرية، حيث ظهر شعراء بارزون أمثال محمود درويش للتعريف بالقضية الفلسطينية وتدويلها من خلال أشعار تبقى راسخة في أذهان العرب والغرب وسهلة التردد، لذلك حاول الاستشراق الألماني من خلال ترجمات مختلفة سواء للرواية الفلسطينية أو شعرها التقرب من الشعب الفلسطيني والإحساس بمعاناته وتوصيلها للقارئ الألماني في زمن غلبت الصورة وأصبحت تتحكم في القرارات والأحكام .

كان للمستشرقين دور كبير في ترجمة الرواية العربية إلى الألمانية وتعريف الألمان بها، وعلى رأسهم هارتمون الذي ترجم (الصبار عباد الشمس) لسحر خليفة (اللجنة) لإبراهيم صنع الله و (المتشائل) لإيميل حبيبي، و(الزيني بركات) لجمال الغيطاني ولأرضها زعفران ل . إ. الخراط، وفيكة فالتر الذي ترجم (ميرامار) لنجيب محفوظ، و(طواحين بيروت) ترجم (مختارات قصصية ل 28 قاصاً عرقياً) ودرويس كليباس الذي ترجم (مختارات قصصية 32 قاصاً مصرياً) و(مختارات سورية 22 قاصاً سورياً) ، اللّص

¹ مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 77.

والكلاّب، ثرثرة في النيل، زقاق المدق، أ ولاد حارتنا، الثلاثية، وكان لهؤلاء المستشرقين الكفاءة اللغوية والثقافية اللازمتين لنقل الروايات العربية إلى الألمانية بصدق وأمانة وروعة جمالية أسلوبية لا تقل عن النص الأصلي، لكن أغلبها نشر في دور نشر صغيرة في برلين الغربية (Edition orient) و (umionsveily) و (lenos).¹

يشهد العصر الزّاهن اهتماما متزايدا من قبل السّاسة بالعلوم الإسلامية والأدبية وغيرها من فروع علم الاستشراق، كما يلاحظ أورت المختص في الأدب العربي المعاصر، ويرى أنّ ذلك الاهتمام هو النتيجة الطبيعية للتّعقيد المتزايد في القضايا السياسية والعلاقات الدولية، معتبرا أن هناك مصلحة مباشرة للحكومة الألمانية في الوقت الزّاهن لدراسة قضايا وظواهر الإسلام السياسي ولا سيما وقواتها تنتشر في أكثر من دولة إسلامية حاليا، ولأنّ الأدب هو انعكاس لقضايا اجتماعية وفكر وحياة فهم يسعون دائما لفهمه وترجمته .

العلاقة بين ألمانيا والعرب قديمة ويبقى فعل التّأثير والتّأثر من الناحية الأدبيّة موجود ولكنّه يتغير مع مرور الزمن وحسب المستجدات فهل تتغير المواقف العربية من فعل التّأثر هذا؟ أم يبقى هذا الانقسام؟ فهي مجموعة أسئلة يطرحها علي النملة حين يقول: " ولكننا في الحق لا ندري كيف نبدأ؟ هل نبدأ بتصحيح الأخطاء التي وقع فيها الكثير من المستشرقين عمدا أو عن غير قصد؟ إذا لا نكون قد خرجنا من موقف الدفاع، هل نتهم على المستشرقين عامة، ونطلق عليهم عبارات بعيدة عن الرّوح العلمية القادرة على المواجهة و الإقناع؟ إذن نغالط أنفسنا لأن القوم مستمرّون في طريقهم، ولا تصلهم رشقاتنا، هل نفتح بابا للحوار المباشر، وننشر لهم أعمالهم، ونعقد المؤتمرات معهم في ديارهم وفي ديارنا؟ وهنا نقف عاجزين إذا ما قابلناهم بالشعور أنهم متفوقون علينا، وتكون نظراتنا لهم نظرات المستجدي الذي يطلب من الطّرف المتفوق عليه الاستماع لما لديه وليس فقط

¹ مديحة عتيق، فصول في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص 77، 78.

الاستماع له من طرف واحد، وهنا تبرز أمامنا مشكلة الثقة إلى ما تبرز أمامنا مشاعر مختلطة قوامها أن القوم ضدنا ، فهم يريدون التأثير علينا ولا التأثير بنا ".¹

مستقبل العلاقة الفكرية الأدبية يحكمها طموح الاستقلالية الذي ينشره الدارسون العرب عن الإستشراق ومنهج المستشرقين عامة والألمان تحديدا باعتبارهم الأقرب إلى الموضوعية والأكثر تأثيرا في العرب والأكثر استحواذا على المخطوط العربي القديم بالمقارنة مع المدارس الأوروبية الأخرى، فهو لا يجذب القطيعة ويدعوا التواصل بيننا لأنه مهم وخاصة بالنسبة لنا، فمستقبل العلاقة الأدبية محكوم بقوة الطرف العربي ودكائه في الاستفادة وبالقدر الأكبر من هذه العلاقة وخاصة حديثا مع سهولة التواصل ومعرفة الآخر.

في القرن العشرين الميلادي كان للدراسات الإستشراقية الألمانية نصيب من التخصص والمعاصرة بالنظر إلى طبيعة الموضوعات التي تناولتها قياسًا بالقرون الماضية ، وعلى يد أعلام هذا القرن من المستشرقين الذين عملوا على دراسة الموضوعات المرتبطة بالعصر الحاضر، ففي هذا الصدد يشير المستشرق الألماني أودوستا ينيخ في دراسة عن مؤسسات البحث والمعلومات عن الشرق المرتبط بالحاضر في ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية ، إلى بداية جديدة في علم الشرق المرتبط بالحاضر بعد عام 1945م ، خاصة في الجامعة الحرّة في برلين الغربية.²

الإستشراق لا ينتهي بنهاية القرن أو توقف، هو عملية مستمرة تتطور وتمتّ بفترات من الضعف والتراجع أحيانا، ففي الثلاثينات من القرن العشرين أصيب الإستشراق الألماني بانتكاسة عند مجيء النازية إلى الحكم ، وترك ألمانيا المستشرقون اليهود وبعض الألمان وذهب القسم الأكبر منهم إلى الجامعات الأمريكية والأوروبية بشكل قليل، مما أعطى الدراسات العربية والإسلامية فيها دفعا قويًا، وفي فترة الحرب العالمية الثانية أصاب الإستشراق الألماني ركودا لانشغال بعض المستشرقين بالحرب، ومقتل البعض منهم .

¹ علي بن ابراهيم النملة، مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات، المؤلف للنشر، الرياض، 2009، ص 179.

² أحمد محمود هويدي، الإستشراق الألماني تاريخه مواقعه وتوجهاته المستقبلية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، ط1، 2000، ص 16،

بعد الحرب العالمية الثانية أخذ الاستشراق الألماني يستعيد نشاطه، وهنا حصل شيء جديد جاء لتقسيم ألمانيا إلى قسمين (شرقية ، غربية) ، أخذ الاستشراق فيها منحى جديد وفق إيديولوجية كل طرف وأصبح يركز على الدراسات السياسية والاقتصادية والعقائدية وعلى مواضيع حديثة لم يكن الاستشراق الألماني التقليدي يوليها اهتماما كبيرا.

كلها أحدث وتغيّرات ساهمت بشكل أو بآخر في التأثير على الدّراسات الأدبية والشعرية الألمانية، فالجهة الشرقية مثلا ذات التوجّه الاشتراكي اهتمّت بالرواية الواقعية (الماركسية) والشعر السياسي التحرري ذات التّوجه الاشتراكي وغيرها من الأنماط، على عكس الجهة الغربية ذات التوجّه الرأسمالي الحرّ الذي تتغير رواياته وأشعاره ، فالمتغير السياسي أثر على تغيير الفكر الاستشراقي الألماني في المنهج الدراسي المتبع في دراسة الشرق. من أهمّ التّخصصات التي يعنى بها الاستشراق الألماني اليوم (التاريخ ، الأنثروبولوجيا ، والسياسيولوجيا وعلم الدين والدراسات الشرق أوسطية) ، وهذا عمل جيل الكهول الذين بدأوا ينتجون في الثمانينيات ، وما تزال بالجامعات الألمانية عشرون كرسي تقريبا تُعنى بالدراسات الإسلامية والعربية، وفي الكرسي أستاذ رئيسي أو أستاذان أوعدّة أساتذة مساعدين أو مشاركين ... وما تزال المجالات العلمية السالفة تعمل باستثناء مجلة (الشرق) التي أصدرها هلموت ريتير، ويصدر عن الإسلام القديم والحديث حوالي ثلاثين كتابا في العام وأكثر من مائة مقالة.¹

كذلك هناك اعتقاد عن التخلّي على منهج الاستشراق الألماني الكلاسيكي بالنسبة للمحدثين منهم ألا وهو منهج الدراسات الفيلولوجية (فقه اللغة) ، وذلك نظرا للزيادة الكبيرة في المعلومات المتوفرة وسهولة الحصول عليها وفي زمن قياسي، بالإضافة إلى تعدد أدوات البحث وتقدم طرق الدراسة وخاصة بالنسبة للترجمة وأساليبها

¹ رضوان السيد، مستشرقون ألمان، ج1، مرجع سابق، ص 80 .

الحديثة الأخرى، حيث أصبح بإمكان الباحث من تجاوز المرحلة الفيلولوجية أو على الأقل يخصص لها وقتاً أقصر من ذي قبل، وهذا مكان يركز عليه كثيراً **نولدكه** و **رايسكه** وغيرهما من المستشرقين الألمان القدامى.¹

يقول **رودي بارث** عن الاستشراق الألماني حالياً وفي معترك المدارس الأوروبية والعالمية: "الاستشراق في ألمانيا حالياً وفي العالم الأوروبي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع... نعتزف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار... وما تطلبه الدولة والمجتمع منا - معشر المستشرقين - هو بصفة عامة العمل كمدرسين وباحثين مختصين، أما التصرف في أمر الموضوعات الخاصة التي ينصب عليها الدرس والبحث فمتروك لنا".²

نلاحظ الدرب الموحد الذي يسير فيه الألمان القدامى والمحدثين خاصة في مهمة تدريس التراث العربي في المدارس والجامعات العربية للعرب أنفسهم، وهي مهنة لطالما حافظ عليها الألمان لأنها تساعدهم على غرس الفكر والإطلاع على الزاهن في نفس الوقت، إضافة إلى الحرية التي تمتع بها الألمان القدامى وبعدهم عن النشاط السياسي والايديولوجي والأغراض السياسية، تمتع بها المحدثون منهم فلهم حرية التصرف واختيار الموضوعات والتعامل معها وترجمتها بالشكل الذي يتناسب والموضوعية.

في نفس الوقت يلقي المستشرقون الألمان دعماً من حكوماتهم - وهذا لم يحدث سابقاً - لأجل تقديم بحوث استشراقية يقول **أوليريش هارمان** في هذا الصدد: "... وطبعاً هناك أيضاً الضغط الملح من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التي تؤدي إلى احتواء العالم العربي الإسلامي والتشبيث به، باعتباره منطقة

¹ ينظر، محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 64، 65.

² رودي بارث، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص 13، 14.

اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الغرب ومصالحه¹، فهو يصرح ببعض الضغط من الحكومات التي تدعم المستشرقين في بحوثهم وأعمالهم الاستشراقية حول الشرق.

ومن أبرز مميزات الإستشراق الألماني الجديد هو ولوج المرأة الدّرس الإستشراقي " وقد شهدت سبعينيات القرن العشرين ازدهار البحوث النسوية وتصاعدا التنقيب البحثي في التاريخ التّساء وحياتهن في الشرق الأوسط وأدى ازدهار هذا الحقل الى إقامة رابطة لدارسات نساء الشرق الأوسط وذلك في منتصف الثمانينات² من أمثال زيغريد هونكه و آنا ماري شمبل و ريناتا يعقوبي ممن ساهموا في إحياء الشعر العربي الكلاسيكي، والشعر الصوفي العربي وحتى في العلوم الاسلامية وكان لهم منهج موضوعي في الاطلاع والدراسة إضافة إلى معايشة المجتمعات العربية والتّقرب منها زيادة على دراسة تراثها وآدابها وشعرها .

إن الدراسات الألمانية المميزة التي بدأت تبرز في الآونة الأخيرة يمكن تلخيصها فيما يلي :

1- **في الجانب الاجتماعي** : بدأت في التركيز على الدراسات الدينية المعاصرة كالتعايش الديني في لبنان (بين السنة والشيعية والمسيحية) والعلوية في سوريا هذه لم تكن من مرتكزات الدراسات الاستشراقية الألمانية في القديم حيث كانت تهتم أكثر بالدراسات التاريخية والفيلولوجية وغيرها .

2- **في الدراسات السياسية** : كالدراسات في مشاكل الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية والحرب الأهلية في لبنان ... وغيرها، فتختصّ جامعة فرانكفورت بترجمة التاريخ والتاريخ العلمي للعرب، أمّا جامعة " تونيكن " فتختص بفقّه اللغة المقارن والدراسات الأفريقية، وتقوم جامعة " ساربركن " بتدريس العلوم الإسلامية، وتميز دور الألمان في المجال الإستشراقي في بجدية البحوث وجدة التحقيقات وحيادها في الدراسة والتقديم.³

¹ محمود حمدي زقزوق، الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 67.

² عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الاستشراق الجديد، مقدمة أولية، مكتبة الملك فهد الوطنية لنشر، الرياض، 2014، ص 51 .

³ ينظر، سعدون الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2003، ص 50

شكل الشعر الفلسطيني جزءاً كبيراً من اهتمامات الألمان، "وبخاصة الشعر الفلسطيني المعاصر، حيث أنّ الحركة التجديدية في الشعر العربي استطاعت أن تفتح باباً للشعر العالمي وتوفد الثقافة الإنسانية العالمية... وحاولوا أن يستفيد المثقف فيهم من هذه التجارب الشعرية المنظومة بقالب شعري جديد يحاكي الحركة التجديدية المعاصرة في نظم الشعر لدى البيئة العربية المعاصرة.¹

من أبرز أعلام الإستشراق الألماني في هذا العصر هلموت ريتز الذي يعدّ من أكبر المستعربين الألمان فهو لا يقل على نولدكه و بروكلمان شأناً ، إذا امتاز بتعدد نشاطه وسعة علمه وتطرقه إلى موضوعات إستشراقية عديدة منها : الفتوة ، وإصدار مع بيكر مجلة الإسلام وكان الإرث الأدبي الذي تركه ريتز من خلال ترجمات أدبية عديدة منها (نصوص تمثيلية القراقوز) وترجمها إلى الألمانية بمهارة فائقة، حتى استطاع في هذه الترجمات أن يوجد مضاهيات ألمانية شعبية لكل بعد لفظي وارد في الأصول الشرقية.²

من البارزين كذلك في مطلع هذا القرن وممن كانت لهم بصمتهم في الإستشراق الألماني جوليوس روسكا الذي عمد الى تصحيح بعض التواريخ القديمة لبعض المؤلفات العربية مستخدماً الأدلة العلمية وكانت له أعمال كثيرة ومتنوعة، وقد عبّر عن أهمية تلك العلوم وأثرها في أوروبا بقوله : "ليست الأشعار البدوية ولا الأدب الذي نشأ بعد ظهور الإسلام هو الذي جعل اسم العرب لامعاً في الغرب، إذا أردنا أن نفكر بتأثير الحضارة الإسلامية في الغرب المسيحي، فيجب علينا أن نفكر في الرياضيات العربية والطب، ذلك الفروع التي تعلم منها العرب يجد و نشاط قرون عديدة قبل اكتشاف العلوم اليونانية، ولا تزال كثيرة من التعابير العربية المتداولة تنبؤنا عن ازدهار العلوم تحت راية الإسلام."³

¹ محمود فتوح، حركة تجديد في الشعر العربي المعاصر من منظور الدراسات الإستشراقية، دراسات لسانية، المجلد3، العدد1، 2019، رد مد، ص 268.

² ينظر ميشال جحا، مشعريان ألمانيا بارزان، مرجع سابق، ص 388، 389.

³ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، ج 1، مرجع سابق، ص 148.

ازدهرت في هذا الوقت حركة الترجمة الى اللغة الألمانية وخاصة فنّ الرواية والشعر العربي الحديث، مما زاد من تحفيز الأدباء على الإبداع خاصة في الشعر الحرّ المترجم ، " وبما أن الترجمة تعد فناً من فنون نقل المعارف والآداب إلى اللغات الأخرى ، فقد أولاهما الألمان والمستشرقون كافة باهتمام واسع - في حدود اجتهادهم - وكان الشعراء العربي المكتوب باللغات الأوروبية يحظى عندهم بمكانة مميزة واهتماما بالغاً لدى أغلبهم، نتيجة اللغة المكتوبة بالفن الأدبي والمساعدة عندهم على فهم محتواه وأطلق عبد الله الركيبي على هؤلاء الكتاب (المرضى عنهم) ، فهم يعيشون عصرهم ويستحقون التكريم والتنويه بإنتاجياتهم.¹

لم يكن التوجه الألماني يتغير عن منهجه الذي سار عليه القدامى، ظلّ ثابتاً وفيما للدرب الكلاسيكي الذي صنفه ضمن الموضوعيين والعلميين في التعاطي مع الشّعر العربي، كما أصبح متنوعاً وخرج عن النمط القديم الذي يتحدث عن الشعر الجاهلي والإسلامي وما بعدهما والقضايا المعروفة التي آثروها حوله، فمن بين الجدد **ليمان** الذي اهتم بمعالجة الوزن الشعري والأدب الأثيوبي، وأوضاع اثيوبيا الحديثة على اختلاف أنواعها وكان اتجاهه الاختصاصي في ضمن حقل الإستشراق الواسع نتيجة موهبة لغوية فريدة هُذبت منذ الصغر، وتأثير متواصل عميق الأثر من أساتذته المستشرقين وعلى رأسهم **نولدكه**.²

بعد سهولة الاتّصال والتّواصل بين ألمانيا والشرق، ووجود مصالح مشتركة بين الطرفين حيث أصبحا في ذهاب وإياب على حدّ قول **فيشر**، أنتجت جهود عدد المستشرقين الذين تولوا مناصب في الشرق إقامة مؤسسات استشرافية كما في بيروت والقاهرة واسطنبول ، وعلى إثر ذلك جاءت نهضة الاستشراق العلمي، ومن أصحاب هذه الجهود **كارل هاينريش بيكر** فالإيه يرجع الفضل في تثبيت الوضع العلمي للإستشراق الألماني في

¹ محمود فتوح، حركة تجديد في الشعر العربي المعاصر من منظور الدراسات الاستشرافية، مرجع سابق، ص 275.

² صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق ، ص 177.

العصر الحديث، ومن خلال إرساء هذا المنهج سار مستشرقون ألمان كثر على خطاه خاصة في قراءة الشعر العربي الحديث .

أمّا عن معاهد الاستشراق الحالية فيوجد في ألمانيا حوالي 25 معهداً خاصاً بالاستشراق والدراسات اللغوية والأدبية والإسلامية واتجاهاتها المختلفة بحسب اهتمامات الأساتذة الذين يشغلون كراسي الأستاذية فيها، ويمكن القول بأن الطابع اللغوي يغلب على اتجاهات كل من معاهد جامعة إرلنغن ، و توبنغن و كولن و لايبزيغ . الجانب الآخر لهذا التطور في الدراسات الشرقية هو تطوير التعليم الإسلامي الابتدائي والثانوية الذي أدخلته بعض حكومات الولايات الاتحادية الألمانية ويضم برامج التدريب الأكاديمي للمدرسين في هذا الحقل، هذا المشروع ثمّ الشروع به قبلئذ في عدّة أجزاء من ألمانيا خصوصاً في ولاية " نودراين فستغالن".¹

أمّا عن التّواصل بين معاهد الاستشراق الألمانية وبين الجامعات العربية، ليس مريضاً بالصورة التي يتمناها المرء، فقد أخذ في السنوات الأخيرة بالتّحسّن عن طريقة منظمة التبادل الأكاديمي الألماني (DAAD) التي تنظم عملية التبادل في الطلبة والأساتذة بين الجامعات العربية والألمانية، ويشير المستشرق الألماني هارتموت إلى الثغرة الكبيرة في العلاقات الثقافية والأدبية بين الجامعات العربية ومعاهد الاستشراق، فهم ناذراً ما يحصلون على النشرات والدوريات العربية الجامعية التي تحمل إليهم آخر الإبداعات و الانجازات الأدبية العربية .

وقد قام صندوق البحث الألماني وصندوق فولكسفانغن في تمويل مشاريع البحث في الدراسات الشرقية والإسلامية على نحو منظم جمع صندوق البحث الألماني الدراسات السامية و الإيرانية الجديدة، وقد كان للجيل الشاب ما باحثي الدراسات الإسلامية دور في تطوير منظومات مقارنة أوسع، قد أغنت في فهم التّصوف وحركات الإصلاح الإسلامي في الوقت الراهن.²

¹ يوسف كرباح، تملّات في الشرق، تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، ترجمة : عدنان حسن ومحمد صبح، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 68.

² المرجع نفسه، ص 98 ، 99.

حاز المستشرقون الألمان المحدثون على دعم مادي أكبر من سابقهم فكانوا الأكثر حظا ماديا وعلميا من خلال تطور مناهج البحث والدراسة والتطور العلمي والبحثي، "وعلى الرغم من العوامل المادية الكثيرة في الوقت الحاضر التي تثبّت همم الأكاديميين الألمان للتخصص في ميدان الإستشراق إضافة الى عدم وجود مناصب في الجامعات لجميع المستشرقين الجدد، على الرغم من ذلك فإن الإستشراق الألماني اليوم ماض في سيره فمعظم الجامعات الألمانية تحتوي على قسم لتدريس اللغة العربية والإسلاميات وأحوال العالم العربي المعاصر، كما اختصت كل جامعة بنوع من الدراسة حسب الأستاذ المشرف على القسم."¹

أصبحت الجامعات الألمانية تهتم بشكل كبير بدراسة علوم الشرق والأدب العربي والحديد هنا توزيع التخصصات على الجامعات الألمانية واختلاف الموضوعات اللغوية والأدبية والإسلامية وغيرها .

زاد على نحو كبير الإستشراق المتداخل الاختصاصات لكثير من الجيل الشاب من باحثي الدراسات الإسلامية، لقد أدى أيضا الى تطوير منظورات مقارنة أوسع، جرى تطبيقها بدورها على بعض المناطق المركزية من الشرق الأوسط مثل شبه الجزيرة العربية وشمالي إفريقيا، لقد أغنت غناء كبيرا فهمنا للصوفية، وحركات الإصلاح الإسلامي والدول الجديدة، وللشبكات العابرة للأقاليم للعلاقات الدينية والتجارية التي أصبحت تربط الأجزاء المختلفة في العالم الإسلامي منذ تلك الفترة.²

نجد كذلك جمعية " دافو" (davo) من أحد جماعات الإستشراق الألماني المعاصر تعني بالدراسات الأدبية والقافية وتأسست في مبروج عام 1994م ، من طرف أودو إستتاين باخ، وهي تعكس صورة الجيل المعاصر للإستشراق الألماني وتطرق مواضيع جديدة لم يهتم بها الإستشراق الألماني التقليدي كالسياحة و الأنثروبولوجيا وغيرها وتأثيرها في الأدب العربي وانعكاساتها عليه.

¹ صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص 13.

² يوسف كرباح، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ص 65 .

تم تأسيس مجلة جديدة للمعلومات عن الشرق الأدنى والأوسط تدعى " اينامو inamo " الهدف المعلن لايناموا، التي أسستها جماعة من صغار الاختصاصيين الإقليميين والصحفيين في عام 1995م، تأمين تغطية أكثر كفاية للأزمات والتطورات السياسية والاقتصادية و الاجتماعية والثقافية في الشرق الأوسط والقيام بوظيفتها جسرا بين الصحافة والاختصاصيين الأكاديميين . . . مولت هذا المشروع مصلحة التنمية التابعة للكنائس البروتستانتية الألمانية . . . تهتم بالمقاربات السياسية والثقافية التي تصدر الواجهة في الدراسات الشرق أوسطية في التسعينات، كما تهتم بالمساهمات المنتظمة حول الأدب العربي الحديث.¹

صدرت بالألمانية اليوم ترجمات لمختارات من الشعر العربي الحديث، وكان دور مهم في التعريف بجنس أدبي رئيسي آخر من اقتباس الأدب العربي الحديث، فالشعر وعلى الرغم من أنه لم يعد جنسا مهيمننا في الأدب العربي بعد صعود الرواية والقصة، لم يزل يعد جنسا أدبي رئيسيا يجب التعريف به وتقديمه في الساحة الثقافية التي ما يزال يتردد فيها رأى مستشرقين ألمان كبار مثل غوته القائل بأن العرب أمة الشعراء.

أول مختارات من الشعر العربي الحديث باللغة الألمانية سنة 1975م ، وقد حرّرتها المستشرقة الألمانية المعروفة آنا ماري شميل وتبعها في عام 1993م مختارات من الشعر العراقي الحديث قام بتحريها خالد المعالي وسليمان توفيق و ستيفان فايدنز، وفي عام 2000 م صدرت بالألمانية مجموعتا مختارات شعرية عربية حديثة أولاهما بعنوان (بين السحر والرمز) شعر عربي حديث من 1945م الى اليوم ، وقد تولى خالد المعالي الترجمة والتحرير، أما المختارات الثانية بعنوان (لون الفراق) شعر عربي حديث ، وقد ترجمها الى الألمانية وحررها ستيفان فايدنز.²

¹ يوسف كرباح، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ص 64 .

² عبده عبود، تلقي الأدب العربي الحديث في الأقطار الناطقة بالألمانية، مجلة جامعة دمشق، مجلد 23، العدد 1، 2007، ص 29، 30 .

وهناك مختارات شعرية أخرى ترجمت الى الألمانية لتدلّ على الحركة الشعريّة الحيويّة التي لا تزال تميّز الاستشراق الألماني، ولا يزال الشعر جنس أدبي يحتل مكانة هامّة عندهم ويلقى اهتمامهم ويثير شغفهم .

في سنة 2003م صدرت ترجمة ألمانية لمختارات من الشعر الفلسطيني بعنوان (بعد السماء الأخيرة) شعر فلسطين جديد، قام **خالد المعالي** وزميله الألماني **هريبرت بيكر** بتحويلها وترجمتها، وإذا أضفنا الى المجموعات المختارات الشعرية هذه ما تضمنه كتاب المستشرقة الألمانية **آنا ماري شميل** (شعر الشعوب الإسلامية) من نصوص شعرية عربية، فأمكننا القول أن تلك المختارات قد عرفت القارئ الألماني بالشعر العربي الحديث وسدّت ثغرة كبيرة في تلقي الأدب العربي الحديث في الأقطار الناطقة بالألمانية، فمهما قيل عن صعوبة، لا بل عن استحالة ترجمة الشعر، فإن ترجمة الشعر العربي الحديث الى اللغة الألمانية أمر ضروري لأنه جنس رئيسي من أجناس الأدب العربي الحديث.¹

هناك فكرة أخرى وطريق آخر انتهجته المدرسة الألمانية في الوقت الحاضر وهي التّواصل المعرفي بين المدارس الاستشراقية (الفرنسية ، الانجليزية ، الألمانية) لأجل الاطلاع الأفضل والأمثل على الدراسات الشرقية وعلومها، والتّواصل بين المخابر العلميّة والمعاهد الشرقية الموجودة بالبلدان الأوروبية، في نفس الوقت هذا لم يمنع الألمان المحافظة على النهج الثابت الذي سار عليه الاستشراق التقليدي الألماني حيث " اتّسم البحث الإستشراقي اليوم بتعدد الأقطاب من روسيا إلى أوروبا، وأمريكا وتميز بشيء من الاتّساق المعرفي، ذلك راجع إلى اتصال المستشرقين بعضهم ببعض وتعاونهم في العمل على الرغم من اختلاف جنسياتهم."²

هذا التّواصل الأكاديمي والمعرفي حول الدّراسات الشرقية وخاصّة بين المعاهد والجامعات لأجل التنسيق أولاً ثم توزيع التّخصصات والتقسيم المميّز وتوجيه الجهد المعرفي، وبهذا فقد أخذ الاستشراق لنفسه أساليب متنوعة

¹ عبده عبود، تلقي الأدب العربي الحديث في الأقطار الناطقة بالألمانية، مرجع سابق، ص 30 .

² محمد محمود عبود، منهجية الإستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ج1، 1985، ص 346.

لإيصال رؤاه ، لأنه يتكيف مع الزمن والظرف " وهاهو الاستشراق يهاجم ليحتل عالم الأفلام، والتلفزيون و الأقراص المدججة، كما نقلني ملامح الاستشراق في الفن الزيتي، وأجناس الأدب والمسرح وفي الدراسات التاريخية والدينية والفلسفية، ولذا فتحليلاته تمس مختلف الحقول المعرفية والثقافية.¹

ومع ذلك - كما قلنا سابقا - يظلّ الاستشراق الألماني وفيها للمنهج الموضوعي والتاريخي المقارن المختلف في دراساته الشرقية عن المدارس الاستشراقية الأخرى، "فالتقليد الاستشراقي الألماني الأكاديمي هذا والذي هو قبل كل شيء تقليد لغوي، ثم بالفعل وصفه بالتفصيل، وبالتالي فإنه ليس من الضروري الرجوع مرة أخرى إلى إنجازات الباحثين المتميزين مثل : **ايجنز جولدزيهر و بوليوس فلهاوزن و تيودور نولدكه**.²

وعلى كل، فإذا كانت المكتبة الأوروبية غنيّة - إلى حد ما- بالمصادر المتعلقة بالتراث العربي والتي استلهمت تراث العربي قديما وحديثا، إلا أنّها تبدووا في حقيقتها فقيرة وشحيحة المادة العلمية فيما يتعلق بالمصادر التي تتناول أدبنا المعاصر وبالخصوص الشعر العربي الحرّ، لأن ما ترجم منه بالعربية الى اللغة الألمانية قليل جدًا بالمقارنة أولا مع الشعر العربي القديم الذي لاقي ترجمة واهتماما كبيرين من المستشرقين الألمان، ومن خلال جوانب عدّة سواء كانت داخلية من الناحية البلاغية والفنية، ولاحظنا ذلك مع ريتز وغيره، أو من الناحية الخارجية أي فيها يتعلق بالظروف التي أنتجت الشعر وتاريخية كما رأينا مع راييسكه و آلوارد وحتى بروكلمان، وبالمقارنة ثانيا مع غيره من الفنون الأدبية المعاصرة، هذا لا يمنع من وجود الترجمة الشعرية المعاصرة إلى اللغة الألمانية واللغات الأوروبية الأخرى مثل شعر أدونيس الذي يعتبر من أبرز النماذج الشعرية المعاصرة التي ترجمت الى اللغات الأجنبية واعتنى المستشرقون بترجمتها والاهتمام بشخصية أدونيس الذي كانت له مواقف تتماشى والفكر الأوربي ممّا ساعده على الشهرة العالمية وعُدّ الشاعر العربي الأكثر شهرة، هذه المواقف التي ولدت ردود أفعال مناهضة من

¹ ضياء الدين ساردار، الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الإنسانية، مرجع سابق، ص 17 .

² رومان لويماير، ادوارد سعيد، الاستشراق الألماني، ترجمة: مؤنس مفتاح، دراسات إستشراقية، العدد 10، 2017، ص 128 .

أبناء جلدته من النقاد والأدباء العرب بل وحتى بعض المستشرقين أنفسهم مثل أحمد سميلوفيتش الذي قال فيه: "مهلا يا أدونيس أنظر إلى التاريخ فهو الذي سيرد عليك نيابة عنا، أم أنّ عقلك قد تعود على التزييف كما هو شأن سادته الموجهين من أعداء العروبة والإسلام معاً"¹، وهو الذي تحدث عن قيمة الشعر الجديد المبني على صلته بالفكر الصوفي القائل بوحدة الوجود، كلها هذه الأفكار وغيرها التي طرحها في شعره أهله إلى العالمية وجوائزها المغربية، ونلاحظ أن شعره ترجم إلى اللغات الأوروبية، أكثر منه الاهتمام به في البيئة العربية، فقد اكتسب شهرة في الآداب الأجنبية أكثر من المحلية باعتباره الشاعر العربي المجدد.

بالعودة إلى العلاقات الألمانية العربية نجد "الحكومة الألمانية حريصة بشكل كبير على تطوير إستراتيجية سياسية من شأنها أن تمكنها مع مواجهة السياسة الناجحة التي تهجتها ألمانيا في ربط علاقات مستقلة ودية بناء مع دول الشرق الأوسط مثل: مصر وسوريا والعراق و الجزائر، و يجدر الذكر هنا أن هذه السياسة من ألمانيا كانت مرتكزة على جانب التدريب الممتاز والتعليم المتميز المقدم على وجه الخصوص في جامعة لايبزيغ²، مما انعكس طبيعياً على الدراسات الأدبية، وطبيعتها وخضوعها إلى المنهج العلمي والدراسات الحديثة، فقراءة المخطوط العربي القديم مثلاً لم يعد بالطريقة الكلاسيكية الفردية المبنية على التوجه والفكر الشخصي وإنما أصبح يخضع لمعايير علمية ولجنة تشاورية مختصة تدرس القراءات المختلفة وتحدد طبيعة القراءة الصحيحة انطلاق من ذلك وقف مقاييس متطورة ودقيقة.

التفاعل المتنامي والاعتماد المتبادل بين الجامعات الألماني والشرق أوسطية، لقد وصل هذا التفاعل على صعيد غير مسبوق في التاريخ الألماني الى مستوى جذري للأفراد والعائلات³ والمجتمعات للتقرب أكثر من العرب، والوصول الى تفاصيل الأمور ومحاولة فهم العقلية العربية عن قرب ومدى مطابقتها للأثر الشعري والأدبي، وخاصة

¹ أحمد سميلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 633.

² رومان وليماير، ادوارد سعيد، الاستشراق الألماني، مرجع سابق، ص 188.

³ يوسف كرباح، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ص 68.

الشعر الشعبي واستعمال اللغة العامية التي أصبحت تلقى الاهتمام الكبير للإستشراق الألماني وأصبحت بعض الدراسات الألمانية تتخصص في اللغات العامية والشعر الذي يعكس الطابع الاجتماعي البسيط البعيد عن الكلاسيكيات القديمة وهذا تأثرا بالمنهج الأدبية والفكرية الحديثة أيضا كالواقعية والرمزية... وغيرها .

وجد هذا النوع من البحث قاعدة مؤسساتية في (مراكز دراسات الشرق الحديث)، إذ أنّ هذا المركز الناهض والمستمر في برلين منذ عام 1996م وهو أحد مراكز العلوم الإنسانية التي يمولها (صندوق البحث الألماني)، وهو مخصّص للأبحاث التاريخية والاجتماعية والثقافية حول الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا وأفريقية.¹

تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة في ألمانيا اليوم التركيز على المنهج العلمي الحديث دون إهمال المناهج القديمة والاستفادة منها، "ومن أبرز الجهود على الساحة العلمية الثقافية والإسلامية اليوم قبل أمس ولوج المستشرقين التراث، والكتابة عنه دراسة وتحقيقا ونشرا و تبويبا وتصنيفا وتكثيفا، حيث وصلت مؤلفاتهم الى ما يربو على ستين ألف (60000) بين كتاب ومقالة في الفلسفة التاريخ والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية."²

مع هذا العمل الجبار الذي قدمه الإستشراق الألماني طوال سنوات كثيرة وصولا الى العصر الحديث " نحن بحاجة اليوم الى إحصاء ما نشره في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي وهو عمل أسهم بكثير من إحصاء النتائج الفكري في المدّة السابقة، حيث تطورت أدوات الحصر الوراثي (البيبليوجرافي) وانتشرت المعرفة بحكم تقنية نقل المعلومات"³، فهذا يتطلب ردّة فعل عربية ونهضة أدبية وفكرية لمحاولة الانفصال على الفكر الإستشراقي ومنهجه وأساليبه والاجتهاد الفعلي والحقيقي في جرد وإحصاء التراث العربي والشّعري وقراءته وفق الفكر العربي لأنه تبقى القراءة العربية للتراث العربي تختلف عن القراءة الاستشراقية.

¹ يوسف كرباح، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ص 65، 66.

² عبد العظيم الديب، منهج في الكتابات الغربية، مرجع سابق، ص 38 .

³ عبد الستار الحلوي، المستشرقون والعمل البيبليوغرافي في الدراسات في الكتب والمكتبات، مكتبة مصباح، جدة، 1408، ص 121-129.

حاول قطاع واسع من حقل الإستشراق الجديد الاندماج في أنساق النقد ما بعد الحداثوي والتفاعل مع نظريات النقد ما بعد الاستعماري، والمدارس التفكيكية من حيث تركيزه على التعددية الثقافية والنسبية، ومناقشته للأساطير الأساسية للحدثة، وسعيد لتجاوز عادات المركزية والكونية والعقلانية والفتحة.¹

أصبح الإستشراق عامة والألمان تحديدا حرا من حيث الارتباطات السياسية والايولوجيا -- وإن لم تمسه كثيرا- وتأثر بحقل المعرفة الجديد خاصة في مجال الدراسات الأدبية واللغوية فقد ساهمت النظريات النقدية الحديثة في إعادة إحياء النصوص القديمة وقراءتها بأنماط وأساليب مختلفة، فاختلقت بذلك نظرتهم للشعر العربي وماهيته وأصوله وهذا ما حدث مع ريناتا ياكوبي فقد أثر ذلك القراءة الصحيحة والمنسبة للنص الشعري (نظرية التلقي ، والقراءة) ، وحتى النصوص الشعرية القديمة المتأثرة بالتيارات الفكرية الحديثة والمقارنة بينهما لتحقيق المعرفة الصحيحة للنص الشعري قديمه وحديثه، "وبذلك حاول الإستشراق المعاصر إعادة إنتاج مضامين الإستشراق الكلاسيكي في قوالب سوسولوجية معاصرة".²

ومن نماذج هذه الأعمال الشعرية لمحمود درويش المترجمة الى اللغة الألمانية يقول المستشرق الألماني ستيفان فايدز : "كانت أول مؤلفات محمود درويش المترجمة الى الألمانية قد تولت نشرها في وقت واحد تقريبا دار نشر في ألمانيا الغربية وأخرى في ألمانيا الشرقية... وصدر في برلين الشرقية سنة 1979م ديوانه (عاشق من فلسطين) وكان ذا الديوان بترجمة السيدة يوهانا وقرينها مصطفى هيكل".³

حظي محمود درويش وشعره بالاهتمام الكبير في ألمانيا، حيث يعالج في مضمونه القضية الفلسطينية ذات الواقع الحي والشعور المآثر الذي وصل إلى القارئ الألماني من خلال تعابير ومفردات مؤثرة تعكس المعانات و

¹ عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الإستشراق الجديد، مرجع سابق، ص 93، 94.

² عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الإستشراق الجديد، مرجع سابق، ص 65.

³ محمد فتوح، حركة تجديد في الشعر العربي المعاصر من منظور المستشرقين، مرجع سابق، ص 285 .

الحقّ المسلوب في الحياة الكريمة والحرّة، وبهذا رسم محمود درويش صورة واضحة وحقيقية في الآداب الأوربية للشعر الحرّ وبالأخص الذي يتكلم فيه عن قضيته وشعبه، هذا الأمر أكسبه شهرة دون المساس بالأعراف العربية. إن واقع الاستشراق الألماني اليوم يختلف عن واقعه سابقا، وفق ظروف الحياة والمستجدّات حيث أصبح العالم قرية صغيرة بفضل التّقدم العلمي والتّكنولوجي وما حققته وسائل الاتصال والإعلام والمعلوماتية، ومن هنا الاهتمام المتزايد بالشعر الحديث والأدب الحديث عامة والدراسات اللغوية المعاصرة مما عرف في يومنا هذا بعلم الألسنية على عكس الجيل القديم، أما فيما يتعلق بطريقة البحث اليوم، فأصبحت سهلة بفعل التطور في هذا المجال فالعلم يقدم كل يوم اكتشافات جديدة، وقد أتيح للجيل الجديد من المستشرقين أن يستفيدوا في بحاثهم من القفزة الهائلة التي حققتها استخدامات الكمبيوتر وأجهزة الحاسوب المتطورة ونظام الحصول على المعلومات والجداول الإحصائية، مما لم يكن متاحًا سابقا فأصبحت المعرفة متاحة ومتوفرة .

أعاد الاستشراق صياغة نفسه ما بين مرحلة تاريخية وأخرى... ثم الحداثة محافظا طوال الوقت على تمثيلاته المتواضع عليها (الشرق) في رأس اهتمامات العقل الأوروبي... وغير من ووسائطه المتعددة

Microsoft book hlep و Microsoft Encarta و Compton interactive ency

clopeadia ، وغيرهم من التقنيات الحديثة التي تنغمس فيها الثقافة الغربية جميعها... على عكس ما كان

يتعرض له النموذج القديم للتقديم الخطي المطرد، من الكهف إلى زمن الرجل الأبيض، إلى تغيير طفيف يكون فيه

الرجل الأبيض خريج إدارة أعمال من جامعة راقية أوروبية.¹

العولمة أثّرت بشكل ايجابي على تطور الاستشراق ومناهجه من خلال دخول وسائل بحث جديدة وغير

متّعبة في البحث الإستشراقي وحتى التّواصل مع البلدان الشرقية وكذلك وسائل حديثة في الاطلاع على الموروث

¹ ينظر، ضياء الدين ساردار، الاستشراق صورة الغرب في الآداب والمعارف الغربية، مرجع سابق، ص 187، 189، 190 .

القديم سواء أكانت نظرية أم تكنولوجية (آلية) فأثار العولمة انعكست حتى على المجتمعات العربية وهذا نهج الألمان المحدثين حيث أصبح يعتمد على الاحتكاك المباشر .

الاستشراق المعاصر لم يقف مثلما كان في السابق عند الحدود النظرية في البحث العلمي وإنما تجاوز هذه الحدود رهن الدراسة الميدانية للمجتمعات والشعوب الإسلامية من كل النواحي ولقد وظّف الاستشراق في هذه الدراسات المعاصرة تقنيات وأساليب جديدة، فقد استخدم المناهج السوسولوجية والأنثروبولوجية والسيكولوجية والإحصائية والتاريخية، ولم يعبأ كثيراً بنشر التراث وتحقيقه وترجمته كما كان يفعل المستشرقون من قبل¹، وكل هذا اعتماداً على تقنيات ووسائل حديثة في الرصد والإحصاء والتواصل والاطّلاع وحتى الكتابة والتدقيق في الوثائق وكشفها .

استمرت الدراسات النشطة في خضم التطور العلمي والتكنولوجي في ألمانيا وإن يكن من جديد طراً عليها فهو التخصص من جهة وكثرة عدد الشبان والشابات الذين أخذوا يهتمون بها ويقبلون عليها اليوم، مما استوجب تأسيس جامعات جديدة، إذا يوجد في ألمانيا اليوم أكبر من 25 جامعة تعنى بالدراسات العربية، وأن هذه الجامعات أخذت تهتم إضافة إلى المواضيع القديمة المواضيع الحديثة مثل: دراسة اللهجات العربية المحكية، والأدب العربي المعاصر من شعر ونثر، والقضايا السياسية والتيارات الفكرية والقضية الفلسطينية وبالمجتمع العربي. والقول بأنّ الاستشراق الألماني انتهى بنهاية حياة بروكلمان قول فيه نظر، إذ ما يزال الاستشراق بعمومه يؤدي أدواره التي اعتاد عليها وان اعترضه بعض الضعف في جوانب، وبعض القوة في جوانب أخرى مثل النزوع إلى الدراسات الإسلامية المعاصرة بالتزامن مع الدراسات التراثية التقليدية التي اشتهرت بها المدرسة الاستشراقية الألمانية وبالتزامن مع الدراسات اللغوية و الفيلولوجية.²

¹ محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 14.

² علي بن إبراهيم النملة، للإستشراق الألماني بين التمييز والتجيز، مرجع سابق، ص 146.

الانتقال من الدراسات الفيلولوجية الى الدراسات الحديثة لا يعني موت الاستشراق بل أصبح أكثر حركية وأكثر عمق بمساعدة المنهج العلمي ووسائل التكنولوجيا المتطورة التي ساهمت في الدقة أكثر من ذي قبل .

القوة الاقتصادية الألمانية في الوقت الحاضر ساهمت بشكل كبير في تطور الاستشراق والبحث العلمي وفي كل المجالات وفي كل ما يتعلق بالعلوم الشرقية والإسلامية وتقوم الأجيال الباحثين اللاحقة بتحسين ما جاءت به الأجيال اللاحقة... وإذا نظرنا إلى مجال الاستشراق وجدنا أنه له هوية تراكمية وجماعية، وهي تتسم بقوة جبارة بسبب ارتباطها بالعلوم التقليدية وبالمؤسسات (كالحكومات والشركات التجارية و الجامعات الجغرافية ، والجامعات) وألوان الكتابة التي يتميز بها كل منها بطابع خاص (كأدب الرحلات و روايات الخرافة ووصف الغرائب) وكانت النتيجة في حالة الاستشراق ضربا من اتفاق الآراء.¹

يبدو أنّ رضوان السيد له رأي مخالف حول تأثر وتأثير الاستشراق الألماني في الوقت الزّاهن حين يقول: "تبدوا تأثيرات المستشرقين الناطقين بالألمانية يقوم من آثار الماضي ولا يرجع الى النزعة الإسلامية الجديدة – المتنكرة – لكل ما هو استشراقي أو غربي فقط بل لقلّة الترجمات الألمانية بشكل عام ثم لسيطرة الفرنسية والآن الإنجليزية في مجال الدراسات الجديدة عن كلاسيكيات الإسلام وعن الظواهر الإسلامية الحديثة والمعاصرة، وأخيرا بسبب تغير مناهج البحث وثورة العلوم الاجتماعية."²

يرى بأنّ قرب المجتمعات الشرقية والعربية تحديدا إلى اللغة الفرنسية والانجليزية بحكم التبعية الثقافية للاستعمار سبب بعد العرب والشرقين عن اللغة الألمانية وعدم إتقانها، لأنها ساهمت في تراجع التبادل الثقافي بين الجهتين وهذا كان السبب الرئيسي في سيطرة اللغات الأخرى بالمقارنة مع اللغة الألمانية.

ويبدو اليوم تضائل الإستشراقي التاريخاني الفيلولوجي الألماني والغير الألماني، أما الاستشراق الجديد فستوده نزعة مراجعة تفكيكية تتصل بالأجواء السائدة في حقبة ما بعد الحداثة... وما عادت للاستشراق سطوته

¹ ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 318 .

² رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مجلة التسامح، العدد 8، 2004، 250 .

القديمة والتي كانت له حتى الستينات من القرن الماضي، فالتاريخانية التي قام عليها الاستشراق تكاد تستنفذ أعراضها وقد صدرت في العقود الأربعة الماضية مئات البحوث القصيرة والطويلة أبرزها ما كتبه ادوارد سعيد في نقد الاستشراق منها وبشكل محدد.¹

رغم التطور العلمي ووسائل الاتصال والإعلام إلا أن الاستشراق الألماني يبقى خفيّ، وربما هذا ما أثر عليه سلبا وحتى على انتشار اللغة الألمانية في الأقطار العربية، فهي غير معروفة بشكل كبير وهذا لا ينقص أبدا من قيمة الأعمال الاستشراقية التي كانت بعيدة عن عالم الصورة والدعاية الإعلامية والسينمائية.

شحّ ترجمة الأدب العربي المعاصر للغة الألمانية في المقابل إقبال الكبير على ترجمة التراث العربي الأصيل إلى اللغة الألمانية ويظهر أن هذه السّمة قد تكون ميزة في ضوء ترجمات عربية منتقاة للأدب العربي المعاصر الذي قد لا يمثل بالضرورة الشمولية في تغطية الأدب العربي المعاصر، وسمة أخرى تتفق مع عمق الاستشراق الألماني وهي بعده عن أضواء والإغراءات الإعلامية ومن ثمّ عمله بهدوء والانقطاع للموضوعات التي يطرقها.²

الحجم المتضائل للإعلام الألماني في مجال الدراسات الأدبية العربية لم يكبح طموحها ولا حركتها اتجاه الأدب العربي، "فقد كانت مراكز الاستشراقية أحد مواقع الإنتاج الإستشراقي الجديد وتمارس أدوارها بأساليب عدة منها كتابة التقارير الإستراتيجية ومنها تقديم الاستشارات لمراكز صناعة القرار السياسي، ومنها تكثيف الظهور الإعلامي لمسئوبيها للتعليق على الأحداث وقد كان ومزال الخطاب الإعلامي في البرامج ومن الأفلام والمسلسلات وسائر المواد المكتوبة في الصحف من التقارير والحوارات والمراجعات، أحد أهمّ مواقع إنتاج الخطاب الإستشراقي الجديد."³

¹ ينظر، رضوان السيد، الأنثروبولوجيا وتاريخ والاستشراق، مجلة الجهاد، بيروت، العدد 47، 48، 2000، ص 8 .

² علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق الألماني بين التّمييز و التّحيز، مرجع سابق، ص 142 ، 143 .

³ عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الاستشراق الجديد، مرجع سابق، ص 55، 56 .

يرى جارودي ضرورة الاستعانة في هذا الصدد بالعديد من الوسائل عن طريق الحضور المستمر في وسائل الإعلام الغربية ونشر الكتب المبسطة التي تكون في متناول الجميع، أو تنظيم معارض وإقامة مهرجا وغيرها، مما يساعد على التعامل والاحتكاك أكثر بالشعوب العربية وفهمها وحتى الألمانية التي تحتاج الى أعمال تتناسب وفكرها وطبيعة شعوبها من حيث الأضواء والأذواق والمقروئية، فذلك يؤثر إيجابا على الزواج والتأثر.

لا يعني الاهتمام بالتراث التوقع والانعزال عن التطورات العلمية والحضارية في عالم اليوم، فالتراث نفسه يعطينا المثل الواضح، فالمسلمون عندما بنوا حضارتهم لم ينعزلوا وإنما انفتحوا واطلعوا على كل ما كان قائما في ذلك الزمن من علوم ومعارف على اختلاف أنواعها، فالتراث يجدد نفسه بصفة مستمرة عن طريق مواكبته لروح العصر والاستفادة الى أقصى حد من كل الوسائل والأساليب الحديثة التي تفيد في تنميته وتطويره، وكل ذلك بما لا يتعارض مع مقوماته الأساسية.¹

مع هذا التطور والتّضحج الفكري والوعي الأدبي وتكون نخبة لا بأس بها في العالم العربي من الدارسين والأدباء والمفكرين، أصبح لزاما علينا تنظيم الصّفوف ورصّها لأجل الاستفادة الحقة من التراث الأدبي الموجودة في الجامعات الألمانية والتكامل المعرفي والتواصل الحقيقي معها، من خلال اللّقاءات والتّدوات و الملتقيات العلمية والأدبية للتّوصل إلى منهج مشترك لأنّه لا مناص من التّواصل معهم فلا بدا من ذلك، لأن المخطوط العربي الأصلي موجود عندهم ولا مجال إلا بالتنسيق معهم.

ونعتقد أن الدور المطلوب حاليا من رجال الإستشراق بعد أن أصبحت عملية التّعارف بين الشرق والغرب ممكنة وسهلة وهو دور يقوم على دراسة العلوم الإنسانية والأخذ بمنجزات العصر الحديث ومكتشفاته والانفتاح بإخلاص وموضوعية على منجزات الشرق العربي وحضارته الإسلامية العريقة.²

¹ محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 156.

² منذر معاليقي، الإستشراق في الميزان، مرجع سابق، ص 38 .

دخل عامل آخر في الدراسات الاستشراقية الألمانية في العصر الحاضر ف " ثمة تحدّ آخر للدراسات الشرقية في ألمانيا هو نمو الجاليات الإسلامية في ألمانيا ذاتها مع وجود عدد كبير من الطلاب المسلمين والعرب، وهم غالبا من خلفيات أسرية معتدلة تماما، ينتسبون إلى الآن إلى الأقسام الشرقية كطلاب، وبذلك ساهم في نحو البحث في الإسلام على مدى السنوات الأخيرة"¹ ، ويبقى ولوج هؤلاء الطلبة -ذوو الأصول العربية- الدرس الإستشراقي والانغماس في البحوث الشرقية له أثره الإيجابي فانه يعزّز الموضوعية وعدم الانحياز، فرغم نشوء هؤلاء الطلبة بألمانيا إلا أنّ الدافع النفسي والانتماء الروحي له الدور الفعّال، مع حرص الألمان على عدم ولوج هؤلاء الطلبة في المسائل الحسّاسة.

وثمة عامل آخر في العلاقات الشرقية والغربية وهي فكرة إنشاء اتجاه مقابل للحركة الاستشراقية سبق أن أثّرت في بعض المؤتمرات الثنائية، ويشير المستشرق رودري بارث إلى ذلك بقوله: "...ولا بأس من أن نغتنم هذه الفرصة فتثير سؤالا، ولو من ناحية المبدأ، هو السؤال عن إمكانية أن ينشأ في الناحية الأخرى، أي في العالم العربي الإسلامي، اتجاه للبحث شبيه الدراسات الإسلامية عندنا، ولكن في الواجهة المقابلة يهدف إلى دراسة تاريخ الفكر في العالم المسيحي الغربي وتحليله بطريقة علمية..."²

ينبئ هذا بميلاد علم يحاكي الاستشراق وردّة فعل له، هو علم الاستغراب الذي يدرس الغرب وعلومه في شتى المجالات، فقد ظهر وعي جديد في الشرق يمتلك صورة مغايرة ومخالفة للصورة التقليدية للغرب، فهو يتوق إلى رؤية الغرب بصورته الحقيقية خصوصا بعد عصر النهضة العربية وفتح قنوات التفاعل بين العرب والغرب والألمان تحديدا .

¹ يوسف كرباح، تأملات في الشرق، مرجع سابق، ص 68 .

² رودري بارث، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص 13.

والحقيقة أن الاستغراب لم يكن ردّة فعل الاستشراق الغربي فحسب، بل كان ضد المستشرقين العرب والدور الذي لعبه المغتربون من المثقفين العرب في عملية الترجمة والدّراسة وحتى التّأليف، وحتى من العرب ممن كانوا متأثرين بدرجة كبيرة بالمستشرقين الألمان والغرب عامة.

يدخل هذا العلم الجديد كجزء من أدبيات الشرق الغرب سواء من منظور الصّراع و التّقابل والقضاء أو من منظور التّعاون والحوار الالتقاء، إذا يغلب على هذه الأدبيات الطابع الشّعبي الصحفي الإعلامي، وكما ذلك في الأحاديث اليومية والطّابع الأدبي الفلسفي، روحانيّة الشّرق في مقابل مادّية الغرب.¹

واقع المعرفة والخبر التي اكتسبها العرب في فهم الاستشراق وتصنيفه والحكم على بعض مدارسه شكل الاختلاف في التّعامل، فالمدرسة الألمانية وحوارها الجديد مع العرب اليوم وخاصة في القضايا الأدبية، ساهم في تشكّل وعي حديث كان نتاجه على سبيل المثال المستشرقة الألمانية ريناتا ياكوبي وموقفها من الشعر العربي القديم وقراءتها المختلفة له في ثوب حديث وصريح .

مع ازدياد الحديث عن " العولمة " وامتداداتها الثقافية، البعض يرى أنّه لم يعد هناك مبرّر للحديث اليوم عن الشرق والغرب، أو عن تحديد وتحديد موقفنا اليوم من الغرب، في أعقاب هذه التطورات الأخيرة... وفي نفس الوقت فلا بد من الحرص أيضا على الدّفاع عن مقومات شخصيتنا و حضارتنا... فالعولمة لا ينبغي أن تكون ذريعة للهيمنة الغربية على مقدرات الآخرين، إمّا هي ظاهرة كغيرها من الظواهر لا بد، أن نتعامل معها بحذر وتحديد معالمها وصياغة قواعدها وضوابطها.²

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 21.

² أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط1، 2000، ص 265، 266.

لا نستطيع تصنيف المدرسة الألمانية ومستشرقها ووضعهم في خانة واحدة مع المدارس الغربية الأخرى خاصة مع دخول المدرسة الأمريكية واستغلالها لوسائل التطور والتكنولوجيا الحديثة، فلا يزال الألمان مستمرون على عهد أسلافهم رغم اختلاف المعطيات وتشكل الوعي الشرقي وظهور علم الاستغراب.

وقد عبّر **مصطفى السباعي** عن دراسة تراث الغربيين ونقد حضارتهم حين يقول: " يأتي في يوم نقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغربيين ونقد ما عندهم من دين وعلوم وحضارة وسيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبنائنا و أحفادنا مقاييس النقد التي وضعها هؤلاء الغربيين في نقدها عند هؤلاء الغربيين، في نقد ما عند هؤلاء الغربيين أنفسهم من عقيدة وعلوم، فإذا هي أشدّ تهافتا وأكثر ضعفا مما يلحقونه اليوم بعقيدتنا وعلومنا، ترى استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشرقون في كتبهم وعلومهم الموروثة."¹

أما الحديث عن قرب نهاية الإستشراق الألماني والإستشراق ككل، فلا نظّته وشيك الحدوث، لأنّه يعيش بحياة العلاقات وبوجود البشرية، وخاصّة مع تطور الفكر الإنساني وظهور الآلة التي أصبحت عاملا مساعدا على ذلك في توفير الجهد والوقت، فالحركة الإستشراقية لا تزال وستظل في التّواصل بوسائلها وجامعاتها ومعاهدها... الخ مع العالم الشرقي.

وما زال الإستشراق الألماني مزدهر في العديد من الجامعات، وقد لحق الإستشراق الألماني غيره في الاهتمام بالقضايا المعاصرة، فقد قام المستشرق **راينهارد شولنز** بإلقاء محاضرة في شهر سبتمبر 1986م في جامعة " بوستون " بالولايات المتحدة بعنوان (الإسلام السياسي) في القرن العشرين.²

كان **لرضوان السيد** نفس الموقف حيث يقول: " فقد تأثّر الإستشراق الألماني أوّلا ثم أثر ثانياً ولا يزال الإستشراق الألماني العميق يتأثّر ويؤثر، رغم ما قد يقال إنّه أصبح أثر من الماضي بفعل قلّة ترجمات عن الألمانية والتّوجه إلى الإستشراق الفرنسي والإنجليزي في مجال الدراسات الجديدة عن الكلاسيكيات الإسلام والأدب

¹ محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 147، 148 .

² محمد قدور تاج، الإستشراق، مرجع سابق، ص 79.

العربي"¹، أعاد الاستشراق الألماني صياغة نفسه ما بين مرحلة زمنية وأخرى وفق متطلبات ما بين مرحلة تاريخية وأخرى ثم الحدثة محافظا على نفس التسق والتّهج العلمي طوال الوقت ودون الخروج عن التسق الأوروبي في العام الذي يخدم أغراضه الأخرى .

فالصورائية أو علم الصورة أو الصورولوجيا، كان له دوره حيث استغلّ الألمان الجدد من المستشرقين الإرث الثقافي والصمعة الطيبة للقدماء وحافظوا على صورة الألمان في الشرق خاصّة في مجال الأدب والشعر العربي فكانت الحيادية والموضوعية شعارهم ونهجم على خطى أسلافهم .

الاستشراق في التّهاية خضع في نشأته وتطوره ومناهجه وتصوراته الى ما يحدث في الغرب من تطور العلوم ومناهجها، وكما كان الاستشراق القديم جزء من تاريخ الغرب وتطبيقا لمناهجه التاريخية الوضعية، فإن الاستشراق الجديد قائم على الفهم والتأويل أيضا جزء من الثقافة الغربية في دورها الجديد وامتداد بمناهج المركز على موضوعات المحيط.²

أصبح ضروري في الوقت الحاضر تشكيل وعي توافقي عربي ألماني يخدم مصالح مشتركة والتراث العربي، لأننا لسنا في غنى عن الاستشراق الألماني، باعتباره مصدر تراث الأصلي وله خبرة لا يستهان بها في دراسة الأدب العربي، والشعر العربي القديم والحديث لفترة كبيرة من الزمن، عاجلت قضايا مهمة وخلصت إلى نتائج قيّمة .

وأصبحت الحاجة ملّحة اليوم الى إنشاء دار النشر إسلامية عالمية تقوم بنشر مطبوعات إسلامية بكافة اللّغات حتى لا تظلّ مطبوعات إسلامية باللّغات الأجنبية، تحت رحمة الناشر في الغرب... ويمكن أن تقوم هذه الدّار بإصدار الصحف ومجلّات إسلامية وعربية بلغات مختلفة.³

¹ رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مرجع سابق، ص 245.

² بن سالم حميش، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشرق القاهرة، مصر، ط 1، 2011، ص 276 ، 279.

³ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مرجع سابق، ص 160.

ولا مناص من مواكبة التطور الحاصل في العالم واستثماره في الأدب العربي وخاصّة "بعد أن أصبحت الثقافات العالمية تعجّ اليوم بمختلف الفلسفات الجمالية ومذاهب الأدب والفنّ، حتى أصبح لزاما علينا أن نعيد فهمنا للأدب عامّة والشّعْر بخاصّة في ضوء تلك الثقافات العالميّة حتى لا نظلّ متخلفين في ركب الإنسانية العام"¹.

¹ محمد مندور، فنّ الشّعْر، دار القلم، القاهرة، دط، دت، ص5.

خاتمة

خلصنا في بحثنا هذا إلى نتائج يمكننا استعراضها فيما يأتي:

- * بداية لا بدّ من الاعتراف بأنّ هناك جهودا للمستشرقين الألمان بذلت لأجل التراث العربي المكتوب، بغض النظر عن الدوافع والأهداف لهذا الاهتمام وشكّلت أيضا مصدرا فعّالا في بعث هذا التراث وخاصة في المحافظة عليه وتقديمه إلى القارئ العربي والغربي، هذه الجهود الاستشراقية لا يمكن إنكارها أو التّغاضي عنها لأنّها حقّقت الدّقة التي كان يحتاجها الأدب العربي في فترة غطّ فيها العرب في سبات عميق.
- * شكّل الأدب العربي بؤرة تساؤلات غربية وألمانية تحاول فهم حقيقته وماهيته وتاريخه، خاصّة الشّعر العربي القديم الذي استقطب جلّ الدّراسات الاستشراقية في ألمانيا، التي أكّدت أنّ سرّ معرفة الحضارة العربية والعرب أنفسهم في معرفة شعرهم الجاهلي وما نظمه العرب من أشعار بعد ذلك.
- * تأكّد للمستشرقين الألمان أنّ معرفة اللّغة العربية (المذهب الفيلولوجي) هو الأساس في معرفة شعرهم الجاهلي وفهمه، وفهم الأدب العربي ككلّ، فكانت هذه نقطة التقاء الألمان، وهو إتقان اللّغة العربية ومعرفة أسرارها البلاغية، فهو السّبيل الأمثل للوصول إلى المفاهيم الصّحيحة والعميقة في نفس الوقت وتأكّد لهم أيضا أنّه دون معرفة اللّغة العربية هو تقصير في حقّ الدّراسات الاستشراقية حول الأدب العربي ككلّ.
- * اهتمّ الألمان بالتّاريخ لأنّه ضمن المنهج الاستشراقي وفي ارتباطه كذلك بالمنهج الفيلولوجي واكتشفوا التّرابط بين تاريخ الأدب والشّعر العربي القديم ومعرفة اللّغة العربية وهو السرّ الألماني المختلف في دراسة الأدب والشّعر العربيين وكان هذا النهج مشترك بين القدامى والمحدثين منهم.
- * بعد الاستشراق الألماني عن السياسة والإيديولوجيات والاملاءات السياسيّة أعطى مستشرقها الحرّة اللاّزمة في اختيار المنهج المناسب والمواضيع المأثرة، فبعدهم عن الضّغط ساعدهم في الدّراسة المتأنّية والموضوعية البعيدة عن التوجّهات السياسيّة.

* اهتمّ الألمان بالتراث العربي فحفظوا مخطوطاته ونشروا أجزاء لا بأس بها منه، وحقّقوا الكثير منها وترجموا بعضها إلى الألمانية ولغات أخرى ودرسوا العالم الإسلامي والعربي، فظهرت شخصيات استشرافية ألمانية بصمت في هذا التراث الذي أثر فيهم وأثار إعجابهم وكان الشعر العربي على رأس اهتماماتهم، فحاولوا الاطلاع عليه وقدموا في ذلك ما جادت به قرائحهم.

* المنهج الفيلولوجي والمنهج المقارن، من أبرز المناهج التي اعتمدها المستشرقون الألمان في دراستهم للشعر العربي وقّلمًا نجد مستشرقًا ألمانيًا حاد عن هاذين المنهجين.

* اعترف الألمان أنّ الشعر الجاهلي موجود لا محالة، رغم ما أشيع حوله من شكوك وقضايا تحاول زعزعة قيمة هذا الشعر والتشكيك فيه وفي مصداقيته وهذا ما دافع عنه المستشرقون الألمان المحدثون وبشراصة.

* سار الشعر العربي على النمط الذي سار عليه الشعر الجاهلي وأمامنا صور كثيرة لهذا الشعر تدلّنا في صراحة وصدق على متانة أسلوبه وقوّة ألفاظه، فهو قطعة من البادية التي أخرجته، فنجد شعراء صوفيون عرب تأثروا بالشعر الجاهلي وأساليبه الفنيّة.

* خلص الألمان إلى أنّ الشعر الجاهلي في لغته ومواضيعه كان دعامته للأشعار العربيّة التي تلتها وما قاله العرب بعده، رغم ما طرأ عليه من تغيّرات دينية وسياسيّة وغيرها، فهو مرجع الشعراء ومصدر تأثرهم وملهمهم، حتّى الشعر الصوّفي تأثر به كما قالت آنا ماري شميل.

* أكّد الألمان أنّ الشاعر البدوي الجاهلي قدّم منتوجًا شعريًا فريدًا حاول فيه إعمال خياله وتجسيد حياته ووصف طبيعته والدفاع عن شرفه وقبيلته وأهله، مستعملًا في ذلك فنًا ضمن قصائد وموضوعات شعريّة، أبدى فيها الإبداع الفنّي والمقدرة المتميّزة في سبك النصوص وتوظيف الخيال ورقي الفكرة وسمو العبارة وبهذا تقدّم باللّغة والنص إلى مراحل متقدّمة تشهد على ذلك معلّقات الشعر العربي ذات الصّيت الأدبي والفنّي المتميّز في تاريخ

العرب، فأصل ذلك الشاعر البدويّ فنّا لتلك القصائد ذات البناء المتكامل المفعم بالقصص والحكايات والأساطير والرحلات والتجارب الإبداعية، وهذا ما أثر في المحدثون الألمان في إعادة بعث الشعر الجاهلي.

* عاد المحدثون إلى دراسة الأغراض الشعرية القديمة وفق نمط حديث يقدم قراءة جديدة للشعر العربي الكلاسيكي ويساهم في إعادة إحيائه واستمراره.

* الصلة بين الباحثين الألمان القدامى والمحدثون لم تكن مبتورة، بل على العكس من ذلك، كانت حلقات متصلة بعضها ببعض، سواء في الدراسات اللغوية وتجديدها، أو الدراسات الأدبية في اختيار المنهج المشترك في دراسة الشعر العربي وموضوعاته، كما تأثر بعضهم ببعض وتعلم بعضهم الآخر على يد بعض.

* اتفق الألمان (قدامى ومحدثون) على أنّ اللغة الفصحى في العصر الجاهلي هي اللغة الفنية الإبداعية وتعلو على اللهجات الأخرى وأنّ استعمالها في الشعر الجاهلي كان قليلاً جداً.

* عكس كلّ منهج طبقه المستشرقون الألمان ارتباطه بالحركة العلمية والفكرية السائدة في بلدهم، فالمقارنة كانت السمة البارزة ذات الصبغة العلمية للتفكير العلمي، والمنهج التاريخي ازدهر بسبب النزعة العلمية التطورية.

* حاول المستشرقون الألمان البارزون أمثال: فيشر ويوهان فوك وبرجستراير، التأكيد على أهمية المصادر النثرية والشعرية من خارج عصر الاستشهاد مثل: دواوين الشعراء المولّدين وكتابات غير المسلمين وترجماتهم ولغة المؤرخين، لإعطاء صورة واضحة عن تغيّر العربية والتأكيد على تاريخها الطويل المثقل بالإبداعات الشعرية والنثرية.

* أثارت فكرة الشك والانتحال في الشعر العربي القديم موجة من الردود الألمانية والعربية، ممّا أدّى إلى الاعتقاد أنّ جلّ ما وصلنا من الشعر أغلبه منحول وهذا ما نفاه ودافع عن صحته المحدثون وأبرزهم ريناتا يعقوبي، التي قدّمت قراءة جديدة للشعر من خلال أغراضه القديمة.

* كان للمستشرقين الألمان (قدامى ومحدثون) عناية كبيرة بالتصوُّص القديمة وازداد اهتمامهم بها في القرن التاسع عشر، حيث تمَّ نشر المئات منها، كانت تلك التصوُّص متنوِّعة والشَّعر الجاهلي كان على رأس هذه الموضوعات، حيث استقطب اهتمام عدد كبير منهم.

* ساهم الألمان بشكل ملفت في تدريس اللُّغة العربيَّة في الجامعات العربيَّة والغربيَّة، ممَّا ساهم في تأثير عدد كبير من الدَّارسين العرب بشخصياتهم ومناهجهم في البحث، وشكَّلك ذلك نقطة التقاء في الرُّوى والمسائل المهمَّة المتعلِّقة بالشَّعر العربي القديم وأبرز مثال طه حسين حين تطرَّق إلى قضِيَّة الشُّك والانتحال على خطى رابيسكه وآلوارد ونولدكه وغيرهم، فالأثر الألماني في الدَّارسين العرب واضح وبشكل كبير، هذا لا يغفل أبداً نَهضة هؤلاء فكريًا وعلميًّا وحثِّي منهجيًّا، في تأثرهم هذا وذلك في شقِّه الإيجابي.

* الاهتمام بالشَّعر العربي الكلاسيكي كان مشتركاً بين القدامى والمحدثين، لكن المسائل التي أثَّرت حوله كانت مختلفة، فمن القدامى من عالَج النَّص الشَّعري القديم في سياقه التاريخي وطبيعة وصوله إلى اللاحقين، لكن من المحدثين من تطرَّق إلى مضمون هذا النَّص في أغراضه وأساليبه البلاغيَّة، بعيداً عن السِّياق الخارجي والشَّواهد المقدَّمة عن تأصيل بعض الأغراض ونفي بعضها الآخر وتشابه الصُّور البيانيَّة الموجودة فيه وغيرها، هذا لا ينفي في نفس الوقت التَّشابه الموجود بينهما وهذا ما ذكرناه في فصلنا الثاني.

* رغم ما أثَّرت حول القصيدة القديمة إلاَّ أنَّ المستشرقين الألمان أثبتوا وحدة الموضوع في القصيدة الجاهليَّة ونفوا التقطيع الذي نادى به البعض في تقسيمها إلى موضوعات متفرِّقة لا رابط لها إلاَّ الوزن والقافية، هذا ما نفاه بروكلمان وغيره ممَّن أثبتوا وحدة الموضوع بقرائن تاريخيَّة واقعيَّة.

* تفسيرهم للأغراض الشَّعرية للقصيدة القديمة فيه الشَّيء الجديد وذلك نابع من عمق الدَّراسة الحديثة من المحدثين وفهمهم للمسار التاريخي والاجتماعي للحياة العربيَّة قبل الإسلام، ممَّا يعطي للقصيدة قيمة أكبر في الدَّراسة، كالجانب النَّفسي وإحساس الشَّاعر حين يفصل عن مكانه الذي يدفن فيه ذكرياته الذي يخلق شعوراً آخر هو

شعور الغربة والشوق إلى المكان وكان هذا من بين الدوافع في إثارة شاعريته، فالرحلة هي واقع جديد يتعامل معه الشاعر ليشكل نمط جديد يساهم كذلك في إثارة شعور الآخر، وإحساس مختلف ينعكس على النص الشعري المنظوم، هذه من بين الدراسات الاستشراقية الألمانية الحديثة حول القصيدة القديمة وأغراضها الشعرية.

* شخصية الشاعر من بين أبرز ما تطرق إليه الألمان المحدثون والتي تبرز ذات الشاعر التي هي في نظرهم محور القصيدة لأنها منفصلة تماما عن العالم الواقعي، تستقل بعالم خاص بها في إطارها النفسي والاجتماعي، هذا ما يدعم فعلا الرأي القائل أنّ صفة الشاعر لم تكن لتعطي إلا لشخصية قوية وفيها ميزات كثيرة تحقق ذاتها لوحدها، هذا ما يجعلها متفردة وتستحق هذا اللقب.

* لا يمكن إنكار أنّ هذه الدراسات أنارت درب القارئ والدارس العربي والأجنبي حول موضوعات الشعر الجاهلي وبعض القضايا التي أثارها الألمان قدامى ومحدثون حوله، فلا "يمكننا أن ننكر ما للمستشرقين من أفضال في ميدان بحث التراث، فلولاهم ما سمعنا بكثير من أسماء الأعلام في الموروث العربي الإسلامي، فقد احتفوا به وصنّفوه ونشروه في أجمل صورة... ولا أحد ينكر أنّهم قدّموا للغة العربية خدمة كبيرة من خلال تنصيبهم لكراسي لها في مختلف الجامعات الأوروبية"¹.

* تقاطع التجربة الشعرية باعتبارها ذاتية مؤسّسة على الذوق الفني والإحساس الشخصي والوجدان والتجربة الشعرية، لم يحمله الشعر من خصائص في قوة العبارة التي تميّز التجريبتين.

* أثر الشعر الصوفي العربي بشكل كبير في المستشرقين الألمان المحدثين على رأسهم آنا ماري شمبل والقدامى على رأسهم هلموت ريتز وفريدريش روكوت، كما تأثروا بالشخصيات الصوفية والقاعدة الشعبية من مريدي هذا الشعر والخصوصية الألمانية هنا تتمثل في قربهم من هؤلاء واحتكاكهم بهم واتخاذهم ذلك سبيلا وعاملا مساعدا في فهم الشعر الصوفي، لأنّ الواقع والملاحظة عن كتب تساهم في فهمه والإحساس به في نفس الوقت.

¹ قدور تاج، الاستشراق، مرجع سابق، ص196.

* اكتشف الألمان الرّابط القويّ بين الشّعر الصّوفيّ عند ابن الفارض والشّعر الجاهليّ في الشّكل والمضمون واستعمال هذا الأخير لمفردات القصيدة الجاهليّة وأغراضها، ممّا يجسّد التّأثير الكبير بالشّعر الجاهليّ، موضّحين امتداداته على الألوان الشّعريّة الأخرى حتّى على الشّعر الصّوفيّ.

* اهتمّ الألمان بالشّعر الصّوفيّ النّسوي وأعطوه حقّه من الدّراسة، لأنّه لا يختلف عن بقيّة الشّعر عند الشّعراء الرّجال وهذا ما اهتمّت به آنا ماري شمّيل وكتبت فيه مؤلّفًا بعنوان (ورحي أنثى)، رصدت من خلاله مجموعة من الشّخصيّات الصّوفيّة النّسويّة المعروفة على رأسهم رابعة العدويّة وأحصت بعض الأشعار التي رأتها تستحقّ العناية والدّراسة.

* لم يعتبر الألمان المتأثرون بالشّعر الصّوفيّ العربيّ هذا الشّعر مختلف ولم يدرسوه من منظور قلق على غرار المدارس الاستشراقيّة الأخرى وخاصّة الفرنسيّة (ماسينيون)، إنّما اعتبروه إرثًا شعريًّا عربيًّا كبقية الفنون الشّعريّة، بل عدّوه إضافة وميزة جديدة للشّعر العربيّ تدعم الإحساس والوجدان وتجسّد التّعاليم الدينيّة في القصيدة العربيّة ذات التّنوع والتّشابه في نفس الوقت.

* لعب الاستشراق الألمانيّ دورًا كبيرًا في الكشف عن الشّعر العربيّ القديم والحديث، إذ قام بالتّنقيب عن هذا الإرث ودراسة نشأته وتأثيره وتطوّره تمّ مقارنته بغير، متتبّعًا نموه وتقدّمه وازدهاره منذ أقدم العصور إلى أحدث عهوده، ممّا أدى إلى إزالة الغبار عن كثير من الآثار المتعدّدة التي كشفت لنا عن علومه وآدابه وفنونه، وبقية الدّراسات الألمانيّة بنسق متواصل في التّعامل مع الشّعر العربيّ القديم والمعاصر.¹

* تعامل الألمان في دراساتهم للشّعر العربيّ والأدب عمومًا بجديّة واحترام، من حيث إدراكهم لقيمة هذا الإرث العربيّ من جهة وإدراكهم كذلك أنّ الشّعوب العربيّة ذات تراث حضارة من أرقى الحضارات في العالم ولم يتعاملوا

¹ أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربيّ المعاصر، مرجع سابق، ص712.

بازدراء مثلما هو الحال مع المدارس الاستشراقية الأخرى، التي تعاملت مع الفرد العربي بشيء من العلوّ والسلطويّة التي تحدّث عنها ادوارد سعيد في كتابه (الاستشراق).

* طبيعتهم فريدة في البحث تميّزت بالموضوعيّة الغير مصطنعة، حيث كانت آثارها واضحة في أبحاثهم وأعمالهم حول الشعر العربي، فأثبتوا بذلك أهمّ أصحاب فكر رصين، فهم لم يغفلوا الجانب الروحي الذي اتّسم به الشعر الصوفي وحاولوا فهمه من جوانب عدّة، ممّا يعطي الدّراسة شموليّة والتزام، فهم فاقدون له في شعرهم، محكومون بضوابط ماديّة بحثه، هذا ما حفّزهم على الاحتكاك بالشّعراء الصّوفيين ومريديهم وحتى مجتمعاتهم.

* تأثر الألمان المحدثون بأعمال بعض الدّارسين العرب الذين تشرّبوا الثقافة الألمانيّة وتعلموا على أيدي قدامى الألمان، فانعكس أسلوب بحثهم في كتاباتهم وأعمالهم الشعريّة المعاصرة، متّبعين -في الوقت نفسه- الحياد والموضوعيّة التامة التي جبلوا عليها، كما كتب العرب باللّغة الألمانيّة وأثاروا نفس القضايا، مستشهدين بأساتذتهم ومعترفين بأفضالهم عليهم وبذلك تحقّقت صفة التأثير والتأثر بينهما، ولعلّ هذا من متطلّبات قيام علم الاستغراب بصورته العلميّة، التي تحقّق الاحترام الفكري والتّواصلي بين الشّرق والغرب وبين العرب والألمان.

* ثبت الاستشراق الألماني تواصله مع العرب في الوقت الحاضر، من خلال علاقاته السياسيّة والاقتصاديّة التي انعكست إيجابا على العلاقات الأدبيّة والفكريّة، ساع على ذلك التّطور التكنولوجي والآثار الإيجابيّة للعمولة، التي استثمرها الطّرفان في إعادة قراءة المخطوط العربي وفق التقنيّات الحديثة التي تحقّق العمق والدّقة.

* لا بدّ من مواجهة الاستشراق والوقوف على مسافة واحدة من قراءة التراث، لأنّ تأثيراته ووسائله الحديثة حقيقة لا يمكن تجاهلها أو الاكتفاء برفضها، فذلك يفاقم المسألة ولا يحلّها ولا بدّ أيضا تبني موقف عربي مشترك للتصدي للظاهرة الاستشراقية بعلميّة وتجرد من العصبية والدّاتية، فلا يمكن لنا الاستغناء عن خدماتهم ما دامت المخطوطات الأصليّة في جامعاتهم وتحت أيديهم.

* وسائل التطور أدت إلى استحداث المنافسة العلميّة والأدبيّة وبعثها من جديد، حول قراءة جديدة وحديثة للشعر العربي، تتسم بالحدّثة والموضوعيّة في إعداد حلقات جديدة أكثر وضوحاً في حلقات الشعر العربي القديم والحديث.

* نخلص في التّهيأة إلى أنّ الاستشراق لا يمكن أن ينتهي مادام الطّرفان يتأثّرا بينهما ومادام معين الشعر العربي لم ينضب، فهو دائم العطاء في لغته ومضمونه وأساليبه وتاريخه وكلّ ما فيه وما دامت أيضاً المناهج البحثيّة تتطوّر والقراءات تتعدّد، فالإبداع الإنساني حيّ والأقلام الاستشراقيّة تتطوّر وتحيا ما دامت عقول الباحثين - العرب والغرب - تشتغل بحبّ وطموح ومناهج ثابتة متجرّدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع باللّغة العربية

1. إبراهيم الحيدري، صورة الشرق في عيون الغرب، بيروت، 1996.
2. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1965.
3. إبراهيم مذكور، في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1970.
4. ابن تيمية احمد عبد الحليم بن عبد السلام، شيخ الإسلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم تحقيق وتعليق ناصر عبد الكريم، العقل، الرياض، ط7، 1999.
5. ابن عربي، لطائف الأسرار، تحقيق: أحمد زكي عطية وطه عبد الباقي سرور، دار القلم العربي، 1961، مقدمة المحقق.
6. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق أحمد عامر حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد10، ط1، 2005.
7. أبوطالب المكي، فوت القلوب، المطبعة المصرية، القاهرة، ج 3، 1932.
8. أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، (د.ت).
9. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983.
10. أحمد السيد فرج، الاستشراق، الذرائع والنشأة و المحتوى، الرياض، 1992.
11. أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط1، 2000.
12. أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، المجلد 3، ط 3، 4، 1969.
13. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
14. أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق، في عبد الحميد مسلوب، محاضرات في الأدب العربي بين القدماء والمحدثين.
15. أحمد سمائلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998.
16. أحمد محمود هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه و توجهاته المستقبلية، تقديم: محمود حمدي زقزوق، مراجعة: فهمي حجازي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 2000.
17. أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، مصر، 1967.

18. إدوارد سعيد، الإستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981.
19. إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .
20. إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الإيمان العربية، بيروت، ط1، 1981.
21. إدوارد سعيد، الإستشراق، ترجمه إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط7، بيروت، 2005.
22. إدوارد فان ديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، من أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، الهلال ، القاهرة، 1896م.
23. أرنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2 .
24. إسماعيل أحمد عمارة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دار حزين، عمان، ط2، 1992.
25. إسماعيل أحمد عمارة، بحوث في الإستشراق واللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 ، 1996.
26. آلان روسيون، المناقشة الدائرة حول الإستشراق في الساحة الثقافية العربية، جيزة العلوم الاجتماعية، في هاشم صالح، الإستشراق بين دعائه ومعارضيه.
27. ألبرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا تطورها التاريخي وضعها الحالي، دار النشر فرانز تشاينز فنبادن، 1967.
28. آنا ماري شميل ، روجي أنثى ، ترجمة : لميس فايدة ، خان الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2016 .
29. آنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ورضا قطب، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2006.
30. آنا ماري شميل، الجميل والمقدس، تحقيق وترجمة: عقيل يوسف عيدان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
31. آنا ماري شميل، الشرق والغرب: حياتي الغرب -الشرقية- ترجمة: عبد السلام حيدر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.
32. آنا ماري شميل، الشمس المنتصرة، دراسة آثار الشاعر جلال الدين الرومي، ترجمة: عيسى علي العاكوب، مؤسسة الإرشاد الإسلامي للطباعة والنشر، طهران، ط1، 1950.

33. أنا ماري شميل، نموذج مشرق للاستشراق، ترجمة: ثابت عيد، تقديم: محمد عمارة، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1998.
34. أندكه ماير، الشطح الإبداعي ضرورة حياتية، ترجمة: مصطفى ماهر وطارق عبد الباري، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
35. أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1975.
36. أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، دار الجيل، بيروت، ط2، 1985.
37. ايفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، الشعر العربي القديم، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008.
38. بارت رودى، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية والمستشرقين الألمان منذ تيودور نولدكه، الترجمة: مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للنشر والطباعة، القاهرة، 1967.
39. البرت ديتريش، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي ووضعها الحالي فيزياذن 1967.
40. بشير جلطي، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2012.
41. بن سالم حميش، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، دار الشرق القاهرة، مصر، ط1، 2001.
42. تيودور نولدكه، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1963.
43. جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1922.
44. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
45. حسن محسن محمد، الاستشراق برؤية شرقية، دار الوراق، بغداد، ط1، 2012.
46. خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2000.
47. خالد محمد عبده، المستشرقون والتصوف الإسلامي، المحروسة للنشر والخدمات، القاهرة، ط1، 2016.
48. ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1996.
49. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.
50. ر.ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، أحمد عوض، الكويت، 1997.
51. رضوان السيد، المستشرقون الألمان، النشوء والتأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2016.
52. رودى بارث، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، دار الكتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967.

53. روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: أنيس فريجة، دار الثقافة، بيروت، 1963 .
54. زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة: غريب محمد غريب، مؤسسة بافاريا للنشر و الإعلام، ميونيخ، ألمانيا، ط2، 1449هـ.
55. سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية في الدراسات الإسلامية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، مج1، ط1، 2002 .
56. سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط، 2001.
57. سعدون الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2003.
58. سعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 2 ، ديسمبر 2008.
59. سهيل إدريس، المنهل، قاموس فرنسي - عربي، دار الكتاب، ط1، 2004.
60. السيد محمد الشاهد، المسيحية والإسلام، من حوار إلى حوار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 2013.
61. شكري محمد عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، مصر، 1968.
62. شوقي أبو خليل، جورجي زيدان في الميزان، دار الفكر، دمشق، ط3، 1982.
63. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف ، مصر ، ط 2 .
64. صالح جواد طعمة، الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي، الرياض، 1981.
65. صلاح الدين المنجد ، المنتقى من دراسات المستشرقين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، د-ت .
66. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ج1، ط1، 1978.
67. صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان و أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1998.
68. ضياء الدين ساردار ، الاستشراق ، صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية ، ترجمة : فخري صالح ، مراجعة : أحمد خريس ، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، ط 1، 2012.
69. طه حسين ، نقد وإصلاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 8 ، 1980 .
70. طه حسين، في الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط12، 1977 .

71. عادل الألوسي، التراث العربي و المستشرقون (دراسة في ظهور الكتاب العربي و نفائس الكتب العربية التي طبعت في الغرب) دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
72. عاصم حمدان، دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، نادي المدينة المنورة الأدبي، 1997.
73. عبد الحميد المسلول، محاضرات في تاريخ الأدب القدماء والمحدثين، القاهرة، 1969/1968.
74. عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993.
75. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1984.
76. عبد الرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
77. عبد الستار الحلوي، المستشرقون والعمل البيبلويوغرافي في الدراسات في الكتب والمكتبات، مكتبة مصباح، جدة، 1408.
78. عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، ط3، 1992.
79. عبد العظيم محمود الديب، المستشرقون والتراث، مكتبة ابن تيمية، البحرين، 1986.
80. عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية، الدوحة، 1411هـ.
81. عبد القادر الرباعي، جهود استشرافية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم، ريناتا ياكوبي أنموذجا، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
82. عبد القادر الفارسي الفهري، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1991.
83. عبد الله الركيبي، الفروكفونية مشرقا ومغربا، دار الأمة، الجزائر، 1993.
84. عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992.
85. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز النقابي العربي، بيروت، ج2، 2006.
86. عبد الله بن عبد الرحمان الوهبي، حول الاستشراق الجديد، مقدمة أولية، مكتبة الملك فهد الوطنية لنشر، الرياض، 2014.
87. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والمنهج الأمثل، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، 1994.
88. عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق المفاهيم، صلاة جهود، ط1، (د، م، ذ، ت).
89. عبده عبود، هجرة النصوص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1995.
90. علي ابن إبراهيم النملة، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد الوطني، الرياض، ط1، 1996.

91. علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق الألماني بين التمييز والتحيز، مكتبة بيسان للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2018.
92. علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010.
93. علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والإسلام في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010.
94. علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والتنصير، دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصفين، مكتبة التوبة، الرياض، 1998.
95. علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والسنة و السيرة في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010.
96. علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، مكتبة بيسان، بيروت، 2010.
97. علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون ونشر التراث، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد للنشر، الرياض، ط1، 2003.
98. علي بن إبراهيم النملة، مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات، المؤلف للنشر، الرياض، 2009.
99. علي بن إبراهيم النملة، مسارات الإستشراق: من الإلتفات إلى الإلتفاف، مكتبة بيسان، بيروت، ط2، 2016.
100. علي بن إبراهيم النملة، مصادر الاستشراق و المستشرقين ومصدريتهم، مكتبة بيسان، بيروت، 2011.
101. علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.
102. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط8، ج1، 1966.
103. عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، ط2، بدون تاريخ.
104. عمر فروخ، الأدب العربي، دار العلم، بيروت، ط2، ج1، 1978.
105. عمر لطفي العالم، المستشرقون والقران، دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، مركز الدراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط1، 1991.
106. عواد الحين مهدي، فقه اللغة العربية، فصول في نشأته ومباحث في تأصيلات معارفه، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، ط، 2008.
107. فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ومحمود السيد أحمد تقديم: إمام عبد الفتاح إمام المركز القومي للنشر والترجمة، القاهرة، المجلد 3، ط1، 2013.
108. فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، ط1، 1993.
109. فولفد ديتريش فيشر، الأساس في فقه اللغة العربية، ترجمة: حسن سعيد البحيري، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2002.
110. فون جرونباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962.

111. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ط1، 1983.
112. قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة (التفسير الطواسين...) دار رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
113. قدور تاج، الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014.
114. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، عبد الحلیم النجار، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط5، 1962.
115. كارلونيوفيللو، تطور النقد الأدبي في العصر الحديث، ترجمته: جورج سعيد يونس، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
116. مجدي كامل، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ط1، 1997.
117. محسن جاسم الموسوي، الإستشراق في الفكر العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.
118. محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة الاستعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.
119. محمد ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.
120. محمد أبوبكر الرازي، مختار الصحاح، تح: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990.
121. محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة، هاشم صلاح، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986.
122. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته الاستعمار الغربي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1973.
123. محمد البهي، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، ط4، د.ت.
124. محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي في ميزان الفكر العلمي في الدراسات استشرافية وحضارية، مركز الدراسات الاستشرافية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1993.
125. محمد الدسوقي، الفكر الاستشراقي، تاريخه وتقويمه، دار الوفاء، المنصورة، مصر، 1995.
126. محمد بنعمارة، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001.

127. محمد جاسم الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي ، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.
128. محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.
129. محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1983.
130. محمد حمود، الأدب الألماني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
131. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، الإسكندرية، مصر، 1975.
132. محمد طاع الله، خصومة الإستشراق الخطابات والرهانات، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختصر، القيروان، تونس، ط1، 2015.
133. محمد عبد الفتاح عليان، أضواء على الاستشراق، دار البحوث العلمية، الكويت، 1980.
134. محمد عبد الله الشراوي، الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات تحليلية تقويمية، كلية دار العلوم، القاهرة (دت).
135. محمد فاروق النبهان، الاستشراق، تعريفه، وآثاره و مدارسه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، 2012.
136. محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998.
137. محمد قدور تاج، الأدب العربي في ميزان الاستشراق، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
138. محمد كامل عباد، التاريخ والآثار، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1962.
139. محمد محمود الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي في محاضرة عن التصحيف والتحريف، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.
140. محمد محمود الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1984.
141. محمد محمود عبود، منهجية الإستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي ، مناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ج1، 1985.
142. محمد مزوغي، الاستشراق والمستشرقون في فكر هشام جعيط، منشورات الجمل، بيروت، 2016.

143. محمد مصطفى حلمي، ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1971.
144. محمد مندور، فن الشعر، دار القلم، القاهرة، دط، دت.
145. محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
146. محمود حمدي زفروق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1995.
147. محمود سعدون الساموك، مناهج المستشرقين، جامعة بغداد، 1985.
148. محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، دار المدني، جدّة، 1987.
149. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريبي، القاهرة، 1993.
150. مديحة عتيق، فصول الأدب المقارن، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2001.
151. مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1979.
152. مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار، بيروت، ط 4، 1970.
153. مصطفى ماهر، حوار بين الألمان و العرب، الأسبوع الثقافي العربي في تونس لعام 1974، الهيئة المصرية للكتاب، 1976.
154. مكسيم رودنسون، وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات، ضمن كتاب الاستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقى، بيروت، ط 1، 1994.
155. منذر معاليقي، الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997.
156. موسى الربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد، الأردن، ط 1، 1999.
157. ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط 1، 1982.
158. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، 1969.
159. نايف بن تنيان، محمد آل سعود، المستشرقون وتوجيه السادسة التعليمية في العالم العربي، الرياض، 1441هـ.
160. نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب من تراجم المستشرقين و دراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، ط 5، ج 2، 2006.
161. نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ج 3، ط 3، 1964.
162. نديم نجدى، أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند ادوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.

163. نسيمة ناي، واقع اللغة العربية وأثر المستشرقين عليها، جامعة العربي بن مهيدي، ورقلة، دط.
164. هاشم إسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني فولفد ديتريش فيشر، (د.م)، ط1.
165. هاشم إسماعيل الأيوبي، أبحاث عربية مهداة إلى المستشرق فولفد فريديريش فيشر، دت، ط1، 1994.
166. هاشم صلاح، الإستشراق بين دعائه ومعارضيه، دار الساقى، بيروت، ط1، 1994.
167. هويدي أحمد محمود، الإستشراق الألماني، تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1، 2000.
168. يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
169. يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، منشورات جمعية أهل القلم، لبنان، 1956.
170. يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1982.
171. يوسف كرباح، تمثلات في الشرق، تقاليد الاستشراق الفرنسي والألماني وحاضره، ترجمة: عدنان حسن ومحمد صبح، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
172. يوليوس فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، القاهرة، مصر، 1968.
173. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين)، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2001.
- ثانيا: المراجع باللغة الفرنسية:

1. middle east studies list of members& center of near, (1995-1996), tucs, middle east studies association.
2. Eduard Saïd, Drientalismlitirature,(Bloomigton :Indiana Universuty Press,1993.
3. HACHETTE, 2005, hachette livre, paris, 2004.
4. Le petit la rousse, libraire la rousse, paris, 1986.
5. Renata Jacobi, studienzurpoetik du altaraishenqaside (wiesbaden : Franz stunerverlag GMBH), 1997.

6.Middel East events in london, Society fonear and Middel East
Studies, September, 1992

ثالثا: المجلات والدوريات:

1. أحمد أبوزيد، الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة كتاب دعوة الحق، العدد 145.
2. أحمد حسن عبد السلام، تاريخ الاستشراق الألماني، مجلة الفكر العربي، العدد 3، السنة 5، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983.
3. إدوارد بدين، ترجمة الأدب العربي الحديث إلى الألمانية في سويسرا في الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع4، شباط 1990.
4. أعداد مجلة "المشاهد السياسي" العدد 56 و57، 3 و6، 2، نيسان، 1997.
5. أنور عبد المالك، الإستشراق في أزمة، مجلة ديوجين، ع 44، س 1963، ترجمها حسن قبيسي، مجلة الفكر العربي، العدد 31، يناير، مارس 1983، س 5.
6. بايريهنس وآخرون، تأملات في تقاليد الاستشراق الفرنسي و الألماني، ترجمة: محمد صبح وعدنان حسن، مجلة نور، العدد 180، بيروت، 2004.
7. جهاد فاضل، مقارنة بين نزار قباني وأدونيس، مجلة "في الرياض"، العدد 10477، 22 شوال، 1447، مارس 1997.
8. حامد ناصر عبود الظالمي، المستشرق هـ. ريتز ومقدمته عن أصول البيان العربي، قراءة في ضوء الاستشراق الألماني دراسات استشراقية، العدد السادس، 2016.
9. حامد ناصر عبود الظالمي، المستشركة الألمانية أنا ماري شميل وكتابها "وأن محمدا رسول الله"، دراسات استشراقية، العدد 5، 2015.
10. حوار مع د. ريجينا قرشولي، المستشركة الألمانية" أجرى الحوار حسونة المصباحي في مجلة المجلة، العدد 684، 7-23 مارس. 1993.
11. ر.ه، شليجل، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، سلسلة علم المعرفة، 227، الكويت، 1997.
12. رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مجلة التسامح العدد 8، 2004.

13. رضوان السيد، الأنثروبولوجيا وتاريخ والاستشراق، مجلة الجهاد، بيروت، العدد 47، 48، 2000.
14. رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مجلة التسامح، العدد 8، 2004.
15. رضوان السيد، ثقافة الإستشراق ومصائره وعلاقات الشرق بالغرب، مجلة الفكر العربي، العدد 31 يناير، مارس، 1983.
16. رومان لويماير، ادوارد سعيد، الاستشراق الألماني، ترجمة: مؤنس مفتاح، دراسات إستشراقية، العدد 10، 2017.
17. زهير يوسف عليوي الحيدري، جهود المستشرقين في دراسته تاريخ التصوف، مجلة أوروكل للأبحاث الانسانية، جامعة القادسية، المجلد 3، العدد 3، 2010.
18. سعدون بوفلاقة، الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية، العدد 3، 2005.
19. شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق؟، مجلة الفكر العربي، العدد 31، سنة 1983.
20. صالح جواد طعمة، الملتقى الأمريكي للأدب العربي في الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع2، شباط، 1987.
21. طالب جاسم حسن العنزلي، المؤثرات الأجنبية في التصوف الإسلامي من منظور الشرقي، دراسات استشرافية، العدد 1، 2014.
22. عاصم حمدان، "لماذا ومتى يهتم الأوروبيون بترائنا" في صفحة المدينة المنورة، 13/11/1402 (ملحق التراث).
23. عباس شقندي، الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث، مجلة عالم الكتب، مج5، العدد 1، أبريل 1986.
24. عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي في الشعر المغربي المعاصر، مجلة التبيين، فصلية تصدر عن الجمعية الثقافية الجاحظية، العدد 37، السنة 2012.
25. عبد العزيز عطية الزهراني، قبيلة أدونيس، في رسالة الجامعة، نشرة يصدرها قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، الرياض، العدد 558، 03 ذو القعدة 1415هـ.
26. عبد النبي إصطيف، نحن الإستشراق، مجلة المستقبل العربي، س6، العدد 56، أكتوبر، 1983.
27. عبده عبود، تلقي الأدب العربي الحديث في الأقطار الناطقة بالألمانية، مجلة جامعة دمشق، مجلد 23، العدد 1، 2007.

28. علي بن إبراهيم النملة، عوامل التأثير والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب، العرب و الألمان
أتمودجا، مجلة الإسلام ، العدد1، 2008 .
29. فاضل الحسيني الميلاني، مراجعة ونقد لأثر صادر عن مستشرق معاصر ، مجلة دراسات استشراقية ،
العدد1، 2014.
30. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، مجلة عالم المعرفة، رقم 149، مايو، 1990.
31. كاترينا مومزن، جوته والعالم العربي، ترجمة : عدنان عباس علي، مجلة عالم المعرفة ، العدد 194، شباط،
1995.
32. مارسدن جونز وحمدي السكوت، أدباء مصر ومصر القرن العشرين، دراسة بيوجرافية بيلوجرافية نقدية،
مجلة الجديد، 10 ديسمبر 1972، القاهرة.
33. محمد إبراهيم الفيومي، الإستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، سلسلة قضايا إسلامية، العدد3 ، المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994.
34. محمد أبو الفضل بدران ، الاستشراق الألماني المعاصر ، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد 6 ، 1995.
35. محمد أحمد حمدون، وقفات استقرائية حول جهود المستشرقين في الأدب العربي في المنهل، العدد 471،
رمضان شوال 1409، أبريل، ماي 1989.
36. محمد سعدون المطوي، تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية، مجلة دراسات استشراقية،
العدد الثالث، العراق، 2015.
37. محمد صلاح الدين، اجتهاد المرتدين، في صفحة المدينة المنورة، العدد 12219، جمادى الأولى 1417
الموافق ل 1996/11/23.
38. محمد عباسة ، التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر ، مجلة حوليات التراث ، العدد10، سنة 2010 ،
مستغانم ، الجزائر .
39. محمد كرد علي، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، مجلة المجمع العلمي العربي،
دمشق، مج7، 1927.
40. محمد محي خراط ، الاستشراق الألماني، مجلة المعرفة، بيروت، العدد 558، آذار، 2010.
41. محمود حمدي زقزوق، أعمال المستشرقين، مجلة عالم الكتب، العدد الأول.
42. محمود حمدي زقزوق، في مواجهة الاستشراق، بحث بمجلة المسلم المعاصر، قبرص، السنة الرابعة عشر
محرم، جمادى الثانية، 1443هـ، مج7، العددان 65-66، يناير، 1993.
43. محمود فتوح ، حركة تجديد في الشعر العربي المعاصر من منظور الدراسات الاستشراقية ، دراسات لسانية،
المجلد3 ، العدد1 ، 2019 ، رد مد .
44. مراد كامل، كارل بروكلمان، مجلة المجلة، يناير، 1960.

45. مصطفى بدوي، تاريخ موجز للأدب العربي الحديث، مجلة العالم العربي الحديث في البحث العلمي، أكسفورد، العدد 3، 1994.
46. موسى سامح الربابعة، اتجاهات من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، مجلد 15، العدد 40، 1991.
47. موسى سامح الربابعة، قضية الخيال في الشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، محلية جامعة الملك سعود، مجلد 5 العدد 2، 1994.
48. موسى سامح الربابعة، الأنواع الأدبية والشعر الجاهلي في دراسات بعض المستشرقين الألمان، مجلة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العدد 11، 1995.
49. ميشال جحا، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، مجلة الاجتهاد، العدد 51، 2001.
50. ميشال جحا، الدراسات الاستشراقية في أوروبا، مجلة الباحث، العدد 13، أيلول، تشرين الأول، بيروت.
51. ميشال جحا، مستعربان ألمان بارزان، هلموت ريتز ودوري بارث، ضمن كتاب (الاستشراق) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد الثالث، 1989.
52. نادريوز نقشنبند، المنهج الإستشراقي في دراسة السيرة النبوية الشريفة، ترجمة: محمد حسين زقراط، مجلة الحياة الطبية، العدد 21، 22، السنة 7، بيروت، 2007.
53. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، آثار المدرسة الألمانية، عرض وتحليل، مجلة حوليات البحوث والدراسات الإسلامية، العدد 6، 2009.
54. يحيى وهيب الجبوري، المستشرقون و الشعر الجاهلي، سلسلة كتب الثقافة المقارنة (الاستشراق) العدد 1.
55. يوسف ظافر، الإستشراق الألماني إلى أين؟ حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بويتسين، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العربي، دمشق، العدد 68، 1997.

الرسائل الجامعية:

1. أكرم عبد الله محمد العوسجي، دراسة المستشرقون للشعر الجاهلي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص أدب جاهلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

أ	المقدمة
1	المدخل
42	الفصل الأول: الخلفيات الابستمية للفكر الإستشراقي
45	أولاً: المنهجية الإستشراقية في دراسة الأدب العربي
71	ثانياً: دراسة الاستشراق للأدب القديم والحديث
97	ثالثاً: إنجازات الاستشراق الألماني
134	الفصل الثاني: الاستشراق الألماني والشعر العربي
137	أولاً: المستشرقون الألمان القدامى والشعر العربي
169	ثانياً: المستشرقون الألمان المحدثون والشعر العربي
202	ثالثاً: المقارنة
226	الفصل الثالث: الاستشراق الألماني والتحديات الشرقية
229	أولاً: الشعر الصوفي عند الألمان بين التأثير والتأثر.
253	ثانياً: أثر المدرسة الألمانية في الدارسين العرب وموقفهم منها.
279	ثالثاً: الاستشراق الألماني راهناً.
306	خاتمة
315	قائمة المصادر والمراجع
330	الفهرس

ملخص:

أراد الاستشراق الألماني أن يكون متميزًا في اهتمامه بعلوم الشرق والدراسات الأدبية حوله، فقد نأى بنفسه عن السياسات والأيدولوجيات التي اتبعتها مختلف المدارس الاستشراقية الأخرى وكانت لها أغراض ذات تبعية مطلقة لحكوماتهم وسياساتها، أما المستشرقون الألمان ففتحوا نافذة خاصة شعارها الموضوعية والحياد في دراسة التراث العربي الأدبي والشعري ومما ساعدهم على ذلك وجود المخطوطات العربية والتصوص القديمة بصورتها الأصلية في مكتباتهم، ما سهّل عليهم الاطلاع على النسخ الأصلية فحقّقوها وقاموا بفهرستها.

لا يزال الاستشراق الألماني يهتم بالشعر العربي من حيث الشكل والمضمون، حيث حاول مستشرقون ألمان محدثون قراءة الشعر العربي القديم وفق مناهج البحث الحديثة، أعادت بعث هذا الإرث من جديد وساهمت في إثراء الدرس حوله، ولا يزال الألمان المحدثون محافظين على نهج القدامى في الحياد والموضوعية وفي تطبيق المنهج التاريخي المقارن والمنهج الفيلولوجي في التأثر بالشعر، بل ظهرت اهتمامات حديثة بالشعر الصوفي وبرز مستشرقون ألمان تخصصوا في هذا الباب، لم وجدوا فيه من متعة وروح، وتقاطعته مع الشعر الجاهلي واصطباغه ببعض صفاته البلاغية والأسلوبية وحتى في بعض الأغراض الشعرية - حسب دراساتهم - فهذا الثبات عند الألمان حَقَّق لهم المصدقية والتفرد، خاصة في مواجهة تحديات ما بعد الحداثة واختلاف الدارسين العرب في أنماط تفكيرهم وأحكامهم. فقد كان الألمان القدامى فاعلين في تأثرهم بالشعر العربي القديم ولا يزال المحدثون منهم يقتفون أثرهم وفاء للهدف المسطر والدرب الكلاسيكي.

Abstract:

German Orientalism wanted to be distinguished in its interest in Eastern sciences and literary studies around it. It distanced himself from the policies and ideologies that were followed by other orientalist schools, whose purposes were absolutely dependent on their governments and their policies. German orientalists opened a special window, whose motto was objectivity and impartiality in the study of the Arab literary and poetic heritage, for them and thanks to the presence of Arabic manuscripts and ancient texts in their original form in their libraries, they managed to view the originals, verify and index them.

German Orientalism is still interested in Arabic poetry in terms of form and content. Modern German scholars tried to read ancient Arabic poetry according to modern research methods which revived this legacy again and contributed to enriching the lesson about it, as they still maintain the old-fashioned approach to neutrality and objectivity and apply the comparative historical method and the philological approach to being influenced by poetry. Rather, modern interests appeared in Sufi-poetry and German orientalists specialized in this section, to which they found pleasure and spirit; and due to its intersecting with pre-Islamic poetry and staining with some of its rhetorical and stylistic qualities, even in some poetic purpose - according to their studies- this steadfastness among the Germans has brought them credibility and uniqueness, especially in facing the challenges of post-modernism and the different thinking patterns and judgments of Arab scholars. The ancient Germans were very effective in their influence with ancient Arabic poetry, and modernists among them are still tracing them in fulfillment of the underlined goal and the classical path.